صالحُ العَلي

ثـــائِـــراً و... شَـــاعِـــراً

عنوان الكتاب : صالح العلي ثائراً وشاعراً

تأليف وتحقيق : حامد حسن

تقديم : أ.د. حسين جمعة

اختيار : مالك صقور

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/76/ أيلول

الناشر : اتحاد الكتاب العرب

الإخراج الفني : وفاء الساطي

البريد الالكتروني: E-mail: aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
http://www.awu.sy

صالحُ العَلي

ثـائِراً و... شَـاعِـراً

تأليف وتحقيق
حامد حسن

تقديم: أ.د. حسين جمعة
اختيار : مالك صقور

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم (76)



صالح العلي والواجب الوطني الخَلاَّق

د. حسين جمعة

ما برحت الأمة العربية تعاني من أزمات خطرة تحيط بهويتها ووجودها وحضارتها بين الفينة والأخرى وتهدد سيادة دولها الوطنية والقومية، على السواء، وهي التي استطاعت إبراز مكوناتها وخصائصها خلال القرن العشرين بما تملكه من تاريخ مشترك ووحدة جغرافية وتراثية وثقافية ولغوية، وآلام وآمال جامعة... ولا بد لكل باحث في ذلك من الغوص في جذور هذه الأزمات التي تعاني منها الأمة العربية ومعرفة أسبابها وما تستوجبه من تحليل علمي موضوعي لوضع الحلول المناسبة لكل منها...

ولعل الاستقراء المنهجي المعرفي الواعي الدقيق والهادئ يضعنا في متون الذهنية الثقافية التي تشكلت على مدى عقود وسنوات طويلة وفيها كانت الأزمة تحفر لذاتها مفاهيم

الانبعـاث والحركـة المتجـددة مـن دون أن تستـشعر خطـورة التشوهات وانحـراف قانون الحيـاة الطبيعيـة الـتي تأخـذ النـاس إلى دوامـة اللهاث وراء بنـاء الـذات واقتنـاص لقمـة العيش حتـى أخـذت هـذه الدوامـة تطحـن كـثيراً مـن القـيم الخلقيـة والاجتماعية التي أصَّلها الأجداد القدماء في تجاربهم وحياتهم الفكريـة والـسياسية فيمـا تركـوه وراءهـم مـن آثـار نـضالية وثقافيـة، حـين خرجـوا مـن شـرنقة التبعيـة وصـدمة الدهـشة بثقافـة الآخـر... وقـد اسـترجعوا ذاكـرتهم التاريخيـة والقيميـة، وتلمـسوا طريـق الخـلاص وفـق رؤيـة وطنيـة وقوميـة تحـرك الوجـدان والعقـل... بعكـس حـال الأمـة ــ اليـوم ــ فهـي حـال ضعيفة، مضطربة في منظوماتها الفكرية؛ أو أنها قائمة على نسخ المنظومات الأخرى، وبخاصة الغربية؛ بكل عناصرها.

ولعل هـذا يـوحي للمتعجل في الحكـم بأننـا نريـد الثبـات على كل موروث وصل إلينا وتقليده نسخاً وانقياداً وقد عطلنـا إرادة الحريـة والاختيـار... وإذا كنـا نحـتفظ لمـوروث الآبـاء والأجـداد بالوفـاء والإفـادة ممـا أبـدعوه فمـن الحماقـة أن نقتـل طموحاتنا، وما نصبو إليه مـن تـأملات وابتكـارات تحررنـا مـن الجمـود والتحجـر... وتزيـد تأثيرنـا في الكـون مـن حولنـا... وقـد استوعبنا حركة التكيف مع المناخ الحضاري المتجدد... فنحن ممـن يـؤمن بـضرورة إعمـال العقـل، وتجديـد حِبْـر المعرفـة،

ومواكبـة التحـولات الثقافيـة والفكريـة والاجتماعيـة والتقنيـة والاقتـصادية والـسياسية والإعلاميـة و... الـتي تتـسارع وتيرتهـا لحظــة بلحظــة علــى الــصعيدين المــادي والروحــي. فــالمتخلف الجاهل هو الذي يرى أن الزمن يمكن أن يتوقف عند أحد مـا؛ أو عند فترة ما؛ أو مفهوم من المفاهيم...

فالتغيرات ـ وعلى كل صعيد ـ تـدهم المجتمعات في كـل نـواحي الحيـاة وتـضع كـل فـرد مـن أبنـاء الـوطن والأمـة أمـام مسؤوليته التاريخية. وحينما يؤمن بمبدأ الحقوق والواجبـات في مرحلـة زمنيـة مـا ويـساوي فيمـا بينهـا فـإن عليـه أن يقـدم مبـدأ الواجب على الحقوق أو العكس في مرحلة أخرى تبعاً لمتطلبـات الحياة الاجتماعية والوطنية؛ والقومية، وخدمة للأهداف النبيلة الـتي يناضـل الـوطن مـن أجلـها. والتـاريخ الناصـع يـسجله مـن يكون قادراً على تطويره وصناعة تقدم أبنائه.

وما أحـوج الأمـة الـتي تمـر بأزمـة مـا ـ ولاسـيما إذا كانـت أزمة مركبة ومعقدة ـ إلى أن تغلّب الواجب ـ من أي نوع كان ـ وبخاصـة الواجـب تجـاه حريـة الـوطن وسـيادته ـ علـى الحقـوق المشروعة للأفراد أياً كانت قدسيتها؛ وحـين تُغلّب الـولاءات في مرحلــة مــن المراحــل ــ وفــق متطلبــات الحاجــة الفكريــة والاجتماعية ـ فعليها أن تغلّب الكفاءات في مرحلة أخرى؛ وهـو مـا نفـذ إليـه (مكيـافيلي) في ختـام كتابـه (الأمـير)... ومـن ثـم

علينا دائماً أن نخلق البيئة الاجتماعية المناسبة لمفهوم الواجب، وألا نترك للمؤامرات السوداء والمسمومة أن تنتشر في عتمة الليل البهيم لتخطف حرية الأوطان وهويتها وكرامة أبنائها، وتوقعها هي الأخرى في إشكاليات معقدة تؤثر في العمق الاجتماعي، ما يثبت أن الجوهر الروحي الحي في مثل هذا المستوى يتعلق بالوجود الحُرّ الكريم؛ والمصير الذي يمضي بالإنسان والوطن إلى غير رجعة...

وفي ضوء ذلك يصبح لزاماً علينا أن نلتزم بتربية ثقافة المقاومة في الذات والمجتمع؛ وما مكانة الذات الإنسانية وعزتها إلا من مكانة الحياة الحرة في وطن حُر يعانق الحضارة الممتدة في تاريخه الإبداعي العظيم... أي ينبغي على كل مواطن أن يعي واجبه تجاه وطنه، وألا يستكين لرغبات السكينة الذاتية الخادعة والشهوات المادية العابرة؛ فيقفز هارباً بعيداً خارج أسوار الوطن ويترك السفينة للأمواج العاتية إذا ما تعرض لأول هزة عنيفة... فالوطن ليس حقيبة سفر يلقيها المسافر عن كاهله متى أراد؛ وليس مكاناً للارتزاق الآني النفعي الذي تنتهي العلاقة به بمجرد انتهاء المنفعة...

وإذا كان هذا قد وقع في الأزمة السورية التي يعاني منها وطننا الحبيب حين تنكّر له عدد من أبنائه الذين امتلأت أوداجهم وجيوبهم من خيراته ولكنهم تنكروا له... نتيجة

أوهام مريضة أفقدتهم معنى المعنى للإرادة الوطنية السامية؛ أو نتيجة ضعف إنساني أوقعهم في انفصال معرفي وخلقي عن واقعهم فإن كثيراً من أبناء الوطن عضوا على النواجذ؛ وراحوا يقتاتون الصبر والأمل؛ وهم يمضون جادين للتخلص من كل تبعات الأزمة داخلياً وخارجياً... في الوقت الذي لم يخجلوا من المكاشفة والمصارحة مع الآخر الذي يختلفون معه في الرأي والفكر والمذهب والعقيدة... كانوا ينطلقون من عقلية مدركة لمفهوم الإخاء والتسامح؛ ويتدبرون بوعي كامل وناضج حقيقة اختلاف الولاء الأصغر مذهباً وطائفة، عائلة وعشيرة؛ عرقاً وقومية... مقابل الولاء الأكبر في الانتماء الوطني الذي يجمعهم ليقهروا دهاقنة الموت والدمار، وينتصروا على الخوف والقلق والتردد والاضطراب؛ والإحباط والقنوط واليأس...

لقد تشبث هؤلاء الشرفاء الأخيار بالعقل الواعي والعلم المعرفي الموضوعي؛ والتاريخ الوطني الموروث الذي جمعهم، ولم يفرقهم... احتملوا وطنهم عقيدة وفكراً وانتماء في أرواحهم وعروقهم؛ وأقسموا على الإخلاص له، أياً كانت غلالة القتل؛ وهمجية التدمير التي أناخت بظلها الثقيل في رحابه، وقد تكالبت عليه كل ذئاب الغدر؛ وثعالب الخيانة؛ وأفاعي السراديب المظلمة... كانوا في ذلك كله يسيرون على هدي

تـراث يوسـف العظمـة وصـالح العلـي وإبـراهيم هنـانو وأحمـد مريود وسـلطان باشـا الأطـرش... وكـل الـشرفاء الأحـرار الـذين قَدَّموا لنا سـورية الـوطن العزيـز والـوطن الحـضارة مكلـلاً بغـار المجد والكرامة، وقد استحق منهم كل تضحية وفداء...

وإذا كنا قد ذكرنا هؤلاء الأجداد الأفذاذ الـذين احتفـوا بـالوطن الغـالي وهويتـه وثقافتـه؛ وحرصـوا كـل الحـرص علـى القيم الوطنية الجامعة؛ وأقسموا علـى أن يفـدوه بـالأرواح والمهـج ليزهــر بالحــب والخــير والتعــاون والإخــاء؛ ولتــورق حقولــه بالحكايات النضالية الـتي تعبر عـن جـلال التـضحية والفـداء... وبنوا فكـرة الهوية النضالية الموحدة والمنفتحة على مـشروع بنـاء الوطن المنشود ودولته المدنية التي تحقق الحياة النبيلة لأبنائها...

فما الذي فعلناه حتى نوفّيهم حقهم؟! هل استطعنا أن نفتح فكرنـا علـى حقيقـة الفـضاء العروبـي الأوسـع الـذي جمـع بـين الوطني والقومي؛ وتزيَّن بأبعاده الكبرى بكـل أطيـاف الجمـال الجذاب؟!... ولماذا رحنـا نهـرب خلـف النظـرات المغلولـة بالـضياع والخوف والقلق؟!...

شيء من سيرة صالح العلي:

حــين تــتلجلج الــذاكرة باســتعارة روح الثــورة الــسورية الكبرى وثورة الاستقلال رغبة في تحدي الأغلال الرهيبة تتجـه

مـن جديـد إلى عظمـة رجـالات الثـورتين مـستدعية واحـداً مـن كبرائهم ليهدئ روع النفس من عواصف المأساة... واحداً من المناضلين الشرفاء الأحرار الذين تركوا بصمتهم عزة ومجداً في تاريخ سورية الحديث منذ مطلع الربع الثاني من القرن العشرين؛ إذ مدَّ فكره رواقاً يُظِلُّ أبناء الوطن أياً كانت مذاهبهم أو طوائفهم أو أعراقهم... إنه البطل الثائر، والشاعر الوطني صالح العلي الذي كتب اسمه في سجل الخالدين حين قاد ثورتين الأولى على الأتراك والثانية على الاحتلال الفرنسي منذ نهاية الحرب العالمية الأولى، بعد أن دخلت القوات الفرنسية إلى بيروت نحو (1918م). واستمر فيها حتى الاستقلال. وإذا كان الباحثون قد تناولوا ثورته الأولى بشيء من التركيز؛ وتوقفوا عند ثورته الثانية، ورأوا أن دوافعه في كلتيهما تتجسد بالدفاع عن حرية وطنه وأمته وهويتهما العربية الأصيلة فأغنونا في الكتابة عنهما[1] فإن منهج البحث العلمي أخذنا إلى رحلة محبة معبرة عن بعض المحطات التي قاوم فيها المناضل صالح العلي المحتل الفرنسي بالكلمة والسلاح لتكون صوى دالة على ما نرنو إليه في مقدمة هذا الكتاب... وهي صوى تجمع بين الخبر المفيد والشعر الوطني

[1] انظر صالح العلي ثائراً و... شاعراً 45 ـ 47.

النضالي البديع الذي حمل لنا وظيفته السياسية النضالية وطنياً وقومياً؛ اجتماعياً وإنسانياً و... فضلاً عمّا قدمه من وظائف أخرى كالوظيفة الجمالية... وهذا كله يفرض علينا التعرف إلى ولادته وشيء من حياته وأسرته... وقد ولد البطل صالح العلي في قرية المريقب من نواحي منطقة (الشيخ بدر) عام (1885م) وقيل (1883م) لوالده الشيخ (علي سلمان) الذي عرف بالصلاح والتقى والوطنية... وأُمّه (حبابة) بنت الشيخ علي عيد، من قرية (بشراغي)، وأخوته (محمد كامل، وعبد اللطيف وعباس ومحمود وشمسية وفاطمة وخديجة وآمنة وجميلة)... وقد ذكر اسمه في شعره غير مرة؛ ومنه قوله:[1]

مازال صالح راجياً من ربه

حسن الرضا والعفو والغفران

وقد ماتت ابنته الأولى (فاطمة) عام (1927) في ظروف غامضة وعمرها نحو (12) سنة... وبقي من أولاده بنات ثلاث (حفيظة) الكبرى التي تزوجها الشيخ محمد عيسى محمد وابنته الثانية (سعاد) وكان عمرها اثني عشر ربيعاً حين توفي، والصغرى (سهام) وكان عمرها ثماني سنوات حينئذ، وحاولت

---

[1] صالح العلي ثائراً و... شاعراً ص 154.

فرنسا اغتياله غير مرة إذ دُس له السمّ بالطعام والقهوة بعد أن عجزت عن قتله بالرصاص غدراً وخلسة، حيلة وخيانة... كما تعرضت زوجته (حبّابة ناصر) للتسمم فأجهضت بتوءم وكانا ذكرين، وفقد ابنه البكر (علي) من زوجته الأولى بعد أيام من ولادته. أما عماد حياة الشيخ وأسرته، وكل من يعول فقد كان من إنتاجه الخالص... وجهده الشريف؛ إذ عني بتربية الماشية... وتربية دودة القز وإنتاج الحرير... وقام بزراعة الأشجار وبخاصة شجرة التفاح وعني بزراعة الدخان تبعاً لطبيعة الأراضي في المنطقة. وكان شديد التطلع إلى نشر المعرفة والخلق الكريم؛ فقد رأى أن وظيفة المسجد الأساسية تقوم على هذا الوعي الموروث عن منهج الأجداد، فخطط لبناء مسجد يضم مدرسة تدرس مختلف أنواع العلوم العلمية والدينية - على السواء - وخصص قسماً منها للأيتام، بمثل ما خصص أرضاً للصرف على نفقاتهم... وكان هذا دأبه في عدد من المناطق الأخرى... حين أسس بعض المدارس لنشر العلم والقراءة... وتواصل مع المغتربين من ذويه وأصدقائه الذين هاجروا إلى البرازيل والأرجنتين فقدموا له كل دعم... وراسلوه دافعين إياه للتوجه إليهم وهو ما سنشير إليه في الأسطر الآتية...

وكان - رحمه الله - حكيماً عاقلاً، يسعى إلى المشورة ما وسعه الجهد، مؤمناً بأن الإنسان قليل بنفسه، كثير

بإخوانـه... لهـذا أحـاط نفـسه وثورتـه بعـدد مـن المستـشارين المـأمونين وأبـرزهم (غالـب بيـك الـشعلان) و(عزيـز هـارون) و(جميـل مـاميش)... ووزَّع الثـوار علـى المنـاطق والبلـدات في مجموعـات وكـل مجموعـة تحـت إمـرة قائـد؛ أطلـق عليـه لقـب (عقيد).

ولما كانت العدالـة والمعرفـة نبراسـه وديدنـه لم يفـت شيخ الثوار أن ينظم عمليـة القضاء ويختـار الأكفيـاء منهم لممارسـة سـلطة القـضاء بـين مـن يقـودهم... وكـان شـديد العنايـة بالمجاهدين؛ مضطلعاً بأحوالهم في الحرب والسلم... وهـو يعـرف أن النفس تكلّ وتتعب فشجّع على إيجـاد فرقـة للزجـل الـشعبي تمارس مهمة الترفيه عنهم... كان يمد نظره إلى جبـال الـساحل السوري، ويعدُّها جزءاً مـن سـورية الأم، ويـرفض رفضاً مطلقـاً أن تقـام فيهـا أي دولـة ــ ومـن أي نـوع كانـت ــ ويـصر علـى تسميتها بجبال سورية الغربية، يدافع عنها وعن غيرهـا بالغـالي والـرخيص، مـع رفاقـه مـن المناضـلين الأحـرار الـذين لا يخـافون الموت... ففرضت عليه فرنسا الإقامة الجبرية، وتعرض للتعذيب النفسي والجسدي؛ ثم ما لبثت أن حكمت عليـه بالإعدام... ثـم أعدت فرنسا خطة لاغتياله عـام (1937م)، حـين رغـب في تلبيـة طلب الجالية الـسورية في أمريكـا الجنوبيـة... وحـدث ذلـك بعـد وصوله إلى جنـوة بإيطاليـا، ولكـن اللّه سلّمه، ورجـع منهـا إلى

الوطن وأخذ يمارس مهماته السياسية الوطنية ويلتقي رجالات الثورة والكتلة الوطنية إلى أن أنعم الله على أبناء سورية بالحرية والاستقلال... وحضر الاحتفال الذي أقيم بمناسبة عيد الجلاء 1946/4/17م بدمشق وألقى خطاب الجلاء، وكان قد نزل في فندق الشرق قرب محطة الحجاز برفقة صهره الشيخ محمد عيسى إبراهيم. ثم توفي شيخ الثوار عن أربع زوجات، وعن عمر ناهز (67) عاماً من النضال يوم الخميس (1950/4/13م). وهذا ينقلنا إلى شيء من سيرته النضالية.

شيء من السيرة النضالية الوطنية:

حقق شيخ الثوار صالح العلي للأجيال من بعده مفهوم حكاية الوطن الذي صَهَر أبناءه في أنشودة الحرية الجامعة؛ والوحدة الحيوية المستندة إلى قيم المواطنة السورية الضاربة الجذور في التاريخ في الوقت الذي سارع إلى تلبية نداء العروبة الصادر عن ثورة الشريف حسين (1916م)...

وبناء على هذا الإيمان الصادق بالانتماء إلى العروبة تحالف مع الملك فيصل بن الحسين بعد انعقاد المؤتمر السوري الأول[1] في مواجهة الحكم التركي. ثم واجه؛ بما يملكه من

[1] انظر صالح العلي ثائراً و... شاعراً 47 ـ 48.

إرادة ثورية وعتاد قليل الجيش الفرنسي فحقق النصر المؤزر في عدد من المعارك على ذلك الجيش المدجج بالعدد والسلاح، والذي ارتكب المجازر الوحشية، حين مارس إرهاباً دولياً بحق السوريين منذ (1918/11/2م)، تحت ستار الخداع المزيف الذي حمله باسم الانتداب على سورية، وباسم التنوير الذي زعم الفرنسيون أنهم يقدمونه للسوريين. وكان قد دعا وجهاء المنطقة إلى التكاتف وإعداد النفس لكل الاحتمالات ما جعله يهيئ السُّبل لمواجهة مستمرة للاحتلال... في سياق منهج فكري واعٍ؛ وعمل عسكري منظم، ومتعدد الاتجاهات والأشكال... وقد استكمل كل ذلك بسرعة قياسية ثم أعلن الثورة في كانون الأول (1918م) وعبر عن ذلك قائلاً:[1]

وكم دفعوا مدافعهم ومالوا
وجالوا في عساكرهم وصالوا
بأصوات كرعد في هَديرِ
وجَيْشٍ كالجَرادِ المستطير
فقابلهم فَتى بالحرب صادقْ
وأخمد لامعاً منهم وبارقْ

---

[1] الشابكة ـ شعر الشيخ صالح العلي، وهي في ديوانه المنسوخ باليد.

إذاً؛ عقد صالح العلي العزم والإرادة على مقاومة جيش الاحتلال الفرنسي الذي دنس أرض الوطن الطاهرة وعاث فيها فساداً وتدميراً؛ وأشاع فيها الخراب والفتنة والتفرقة من دون أي وازع خلقي... لهذا تصدى له المناضلون الشرفاء؛ فكانوا يخرجون من معركة ليدخلوا في أخرى بقيادة البطل صالح العلي الذي لم يتردد يوماً أو يتراجع على الرغم من ابتلائه بوفاة عدد من أولاده واستشهاد بعض رفاقه...

ولا شيء أدل على هذه الإرادة القتالية من المعركة التي حصلت في (الشيخ بدر) في (1919/2/2م) وأدّت إلى هزيمة الفرنسيين... وكان لهذه المعركة أثرها الكبير في الساحل خاصة وسورية عامة، إذ أشاعت نوعاً من الراحة والطمأنينة في النفوس. وتتالت المعارك مثل معركة وادي ورور (1919/6/25م) ومعركة قلعة المرقب (1919/7/21م) ومعركة طرطوس (1920/2/20م) ومعركة القدموس (1920/3/3م) وغير ذلك من المعارك التي تتابعت واتصلت بالثورة السورية الكبرى؛ ثم ثورة الاستقلال الأولى (1936م) حتى نشوب الحرب العالمية الثانية عام (1939م). ولمّا تكررت هزائم الفرنسيين طلبوا مساعدة البريطانيين فتدخلوا وأقاموا

هدنة بين شيخ الثوار والفرنسيين. ويطول بنا الأمر لو أردنا توثيق ذلك وقد تكفل بشيء غير قليل منه كتابنا هذا[1].

وقد نسق البطل صالح العلي ثورة المجاهدين في الساحل مع ثورة المجاهد (إبراهيم هنانو) في حلب وإدلب؛ وعمر البيطار في الحفة، وثورة الدنادشة في تلكلخ وغيرها من الثورات السورية... ولم يلبث داعي الواجب أن ناداه إلى دمشق فتوجه في صيف (1920م) إليها لمساندة يوسف العظمة في ميسلون... وكذلك فعل حين توجه إلى فلسطين مسانداً عز الدين القَسَّام في ثورته على الإنكليز والصهاينة... كان يرى أن الغاية الشريفة تقوده إلى مناصرة أبناء وطنه في كفاحهم المشروع ضد الاستعمار الغربي الذي تقمص الفكر الصهيوني، كما نستشفه من قوله[2]:

أبت همتي والعز والمجد في دمي
إباحة أوطاني لأيدي العدا نهبا
إذا قام سوق الحرب واحتدم الوغى
وجَرُّوا جيوشاً تملأ الحَزْنَ والرحبا

---

[1] انظر صالح العلي ثائراً و... شاعراً 78 وما بعدها و118 ـ 140.
[2] صالح العلي ثائراً و.... شاعراً 149.

مـــشيت للقيـــاهم بكـــل مجاهـــد

شـجاع قـوي القلـب لا يرهـب الحربـا

وقال موجهاً خطابه إلى الشرق كله[1]

بني الشرق!! إن الغـرب ينظـر نحـوكم

بعـــين مـــن البغــضاء قــد مُلئــت أذى

كان الشيخ صالح العلي يرى أن فروسيته لا تكتمل إذا لحق الضيم بإخوته الثائرين أينما كانوا من ديار الوطن؛ ولا بد من نجدتهم والوقوف معهم صفاً واحداً... وظل هذا ديدنه بعد الثورة السورية الكبرى التي قادت إلى الانتصار على الاحتلال الفرنسي فأُجبر على تنفيذ معاهدة الاستقلال (1936م) من بعدُ وفق آليات محددة.

ثم التقى إبان الحرب العالمية الثانية بعدد من رجال الكتلة الوطنية ومنهم هاشم الأتاسي وشكري القوتلي وفارس الخوري... وكان يرى أن هاشم الأتاسي أقدر سياسياً من غيره؛ ولعل هذا الميل السياسي يعود إلى العلاقة التي جمعت

---

[1] المصدر السابق 166.

بين شيخ الثوار وبين الأتاسي منذ عام (1900م) حيث التقاه في احتفال أشرف عليه أبوه (علي سلمان) في بانياس... وقد عرضت الأقلام لذلك، كما عرضت لرغبته الشديدة في إشاعة الحياة الديمقراطية، وفق انتخابات برلمانية يتمثل فيها الجميع أينما كانوا في الوطن السوري تمثيلاً حُرّاً؛ ومتساوياً... ولهذا دعم أول تجربة برلمانية في سورية عام (1943م) ومارس ما آمن به في الواقع السياسي الجديد لسورية.

وهذا يدعونا إلى الحديث عن الهوية الوطنية الأصيلة التي كان يؤمن بها؛ ويعمل من أجلها...

الهوية الوطنية:

أدرك ـ رحمه الله ـ أن الواجب يدعوه إلى توحيد جهود المقاومة الوطنية والتنسيق مع قادتها أينما كانوا في ديار الوطن؛ ومن ثم مارس أفكاره، ومعتقداته في صميم الهوية الوطنية القابلة للنموّ والارتقاء وفق واقع اجتماعي يصهر كل مكونات المجتمع الإثنية والعرقية؛ والدينية والمذهبية؛ في بوتقة واحدة. وكان يؤمن إيماناً لا يشوبه شك أن وحدة النضال الوطني بين أطياف المجتمع السوري ضرورة لازمة لإنجاز مفهوم الهوية التي تحقق الحرية والاستقلال وتنجز ـ من بعد ـ العدالة

الاجتماعية على أن يكون القدوة والنموذج لذلك كله؛ ولهذا كان أول الثوار وأكثرهم ثباتاً، فقال:[1]

يــا شــباب اليــوم ثــوروا لغــد

وتــآخوا، واحفظــوا مَجْــد الجــدود

جاهــدوا عــن فـضل أحـسابكم

بــئس مَــنْ حوضــه لــيس يــذود

هــذه روحــي فــدىً عــن وطــني

هــان مــن بــالروح حبــاً لا يجــود

كان يرى أن الحياة غير جديرة بالعيش إذا رضي الإنسان بالذل والخنوع؛ ولاسيما إذا كان وطنه يسرق من بين أصابعه، وأمام بصره؛ وقد غدا لقمة سائغة للأفواه الفرنسية الغريبة. أين هو ـ حينئذ ـ من مفهوم القيمة الحقيقية للعزة والكرامة ما يجعله ينادي رفاقه المناضلين داعياً إياهم إلى الوحدة الوطنية والنضالية التي تشكل الروابط الروحية الحيّة والمتطابقة مع وحدة الوطن والأمة؛ لذلك قال[2]:

---

[1] صالح العلي ثائراً و... شاعراً 182.

[2] الشابكة ـ شعر الشيخ صالح العلي، وهي في ديوانه المنسوخ باليد.

بـــــني وطــــني وإخـــــواني ســـــلاما

عـــــــلامَ أرى تفــــــرقكم علامـــــــا؟

دعـــوا هـــذا التخـــاذل والخـــصاما

وســــــيروا للعُلَـــــى نفـــــراً كرامـــــا

لنــــــبني مجــــــد يعــــــرب مـــــن جديــــــد

وما أنسَ لا أَنسَ في معرض الحديث عن الهوية الوطنية النضالية لقاء شيخ الثوار بداية الحرب العالمية الثانية في (1939/11/12م) بالجنرال (شارل ديغول) في مدينة بانياس للاتفاق على مستقبل سورية. في هذا الاجتماع سأل الجنرال (ديغول) الشيخ صالح العلي عن نسبة تعداد (السُّنَّة) في سورية فأجابه شيخ الثوار ــ وقد فطن لخبث السؤال، وللمشروع الفرنسي في التقسيم: ـ نسبة (السنة هي 100٪).

وختم قائلاً: "إذا كان المستهدف هو المسلمين السنة فكلنا سنة في سورية".

فالبطل الوطني صالح العلي نظر إلى كل من ينتمي إلى سورية بوصفهم أبناءها الذين خشعوا في محرابها، وقد سكنت في أعماق أرواحهم... وصدقوا الوعد والعهد لترابها الذي عشقوا ذراته؛ ونثروا ياسمين الشام وورد‌ها الجوري على رباه ودروبه؛ ونسجوا لنا ثقافة الانتماء الأصيل والسامي إلى

الانتماء العربي الأكبر بزنابق الطهر التي أسقطت كل عوامل التجزئة والفرقة؛ والظلم والقهر؛ والتخلف والفقر؛ والجهل والتآمر وهو القائل:[1]

بني الغرب لا أبغي من الحرب ثروة

ولا أترجى نيل جاهٍ وَمنْصب

كفاكم خداعاً وافتراء وخسة

وكيداً وعدواناً لأبناء يعرب

تودون باسم الدين تفريق أمة

تسامى بنوها فوق لون ومذهب

تعيش بدين الحب قولاً ونية

وتدفع عن أوطانها كل أجنبي

وما شرع عيسى غير شرع محمد

وما الوطن الغالي سوى الأم والأبِ

ولعل المتأمل في دلالة هذه الأبيات يدرك الوعي الوطني القومي الديني لمفهوم الوطن؛ وهو يستند إلى الولاء المطلق

---

[1] المرجع السابق 113 و 165.

للهوية الوطنية الجامعة والمبنية على روح الوحدة البعيدة عن أي نمط من أنماط التنابذ والتمزيق...

ومن ثم كانت السيرة النضالية لشيخ الثوار تتقد رجولة وشهامة وتضحية؛ وعزة في الحفاظ على الوحدة الوطنية لأبناء الوطن أياً كانت ولاءاتهم الصغرى وتتوقد فكراً ووعياً تاريخياً عالياً في مواجهة دنس الاحتلال الفرنسي وعبثه؛ ومحاولاته الحثيثة لتمزيق وحدة النسيج السوري؛ وتشويه عيشه المشترك بإثارة كل ما يفرق بين الأهل والأصحاب. ولهذا كله كان ـ أيضاً ـ جواب شيخ الثوار لمحاوِرٍ له بشأن تشكيل حكومة عام (1947م) وفق مفهوم الأقليات: "إن أية أقلية دينية أو عنصرية أو حزبية لن تتمكن من قيادة سورية، باعتبارها لا تمثل غالبية من مجموع السوريين. وبالتالي لن تستطيع النهوض بسورية، وفي حال تم ذلك ـ حكم الأقلية ـ فإن استمرارها رهان بالدعم من قوى خارجية مما يضعف هذه الأقلية ويضعف بقية السوريين، ويضعها في مواجهة الأكثرية، ويجعل سورية مرهونة للخارج وفي حالة ضعف وتداعٍ". وبناء على ما تقدم لا نستغرب منه أن يشن حملة شعواء على الخونة والمتآمرين على الوطن وأبنائه ومما قاله في هذا المقام:[1]

---

[1] صالح العلي ثائراً و... شاعراً 170.

كـــل شـــبر مـــن الـــتراب المفـــدى

مـــن دمانـــا معنـــدم اللـــون عـــاطر

إن في الغِيْـل ــ لـو علمـتم ــ أسـوداً

لا يـــرام العـــرين، والليـــث خـــادر

لا رعـى الله معـشراً أخلفـوا الوعـد،

وماتـــت نفوســـهم والـــضمائر

معـــشر يـــضمر الخيانـــة والغـــدر،

لأوطانـــه خبيـــث الـــسرائر

نكثـــوا بـــالعهود لؤمـــاً وغـــدراً

هـــل يفـــي بالـــذمام والعهـــد غـــادرْ؟

فـالألم الـذي بَـرَى نفـس المناضـل صـالح العلـي، وجـرح كبرياءه، وأَقضَّ مضجعه ما لقيه من أمور خسيسة تعرّض لها في جنبـات الـوطن مـن الغـادرين؛ وضـلوعهم في الكـذب والتضليل، والعمالـة والخيانـة، وبيـع الـذمم بثمن بخس... فإذا استشرى التآمر في الـوطن وانساق ضعَاف النفوس وراء نـزوات سـوداء؛ وتجـارة ضـالة عميـاء لقـي أبنـاء الـوطن هوانـاً وذلاً حاضراً... وهنـا نجـد شيخ الثوار يرجّع أحزانـه المرّة من أولئك

الـذين عـاثوا فـساداً في أرض الـوطن حـين انقلبـوا علـى القـيم الخلقية الشريفة.

وهـذا كلـه يؤكـد أنـه كـان يعـي قيمـة الهويـة الوطنيـة الـصادقة والموحـدة؛ الـتي تـستند إلى منظومـة خلقيـة اجتماعيـة رفيعة... وهي منظومة تتكامل في تحقيق المساواة والعدالـة بـين أبنـاء الـوطن ليعيـشوا حيـاة مطمئنـة هادئـة ومـستقرة... لا رعـب فيهـا ولا خـوف ولا قلـق... أي إنـه كـان حريـصاً علـى بنيـة اجتماعية سليمة مـن الأمـراض والأوبئـة والـسلبيات القاتلـة الـتي تقـضي علـى كـل مـا هـو جميـل في الحيـاة. والخيانـة والعمالـة والغدر والخسة ـ أياً كانت نسبتها ـ تعد الأسوأ من ذلك كله.

ومن يدقق في دلالة الشعر السابق يجد أن البطل الثائر قد وضـع يـده علـى الجـرح الـوطني النـازف منـذ وقـت مبكـر؛ حـين شـخّص واقعنـا المـؤلم قبـل خمـس وسـتين سـنة؛ ووصـف الـداء والدواء ونحن أحوج إلى وعي إشارته في أيامنا هذه مـن أي وقـت مـضى... ومـن ثـم فـإن الأحـرار مـن أجـدادنا مـا زالـوا يمـدوننا بالروعة والعظمة في خلع كـل مـا ران علـى عقولنـا مـن مقـولات زائفة، ومصطنعة... يريدون منـا أن ننتهـي نهايـة سـعيدة في وطـن حر وموحَّد؛ وطن يزدهي بوحدته الاجتماعية، وأخلاقه الوطنية السامية؛ فإذا واجهوا الموت واجهوه بعزة وكبريـاء... وهـذا عينـه ما كانوا يعملون له في مواجهة الغرب الـذي انقـض علـى أمـتهم

فمزقها في اتفاقية سايكس ـ بيكو على الورق؛ ثم مارس تمزيقه قولاً وفعلاً فاحتل الوطن العربي برمته وسام أبناءه الذل والهوان ليس بتفريق الوطن الواحد على بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وإسبانيا وألمانيا والبرتغال... فحسب، وإنما في سرقة موارده، وجعل أبنائه عبيداً يُسَامون الاغتراب والتغريب... ما جعلهم يتمسكون بالهوية العربية الأصيلة.

الهوية العربية:

حينما نستذكر عظمة البطولة والعطاء الوطني المسكون بوجدان الشرفاء من أبناء الوطن والأمة نتوقف عند ماهية بعض رسائل الشيخ صالح العلي وشيء من شعره للتمسك بالهوية العربية التي تؤصل للفكرة القومية بالمعنى الحديث الذي نعرفه؛ ما يؤكد استمرار الوعي القومي للتاريخ العربي وثقافته المشتركة... وفي طليعتها الثقافة الإسلامية وقيمها الدينية النبيلة التي توحّد ولا تفرق؛ تبني ولا تهدم، وتؤلف القلوب على المحبة والتآخي والرحمة والتسامح... وتدين البغضاء والشحناء والحقد والكراهية وتشدد على اجتنابها، وتحذر من أضرارها ونتائجها السيئة على الصعيد الذاتي والاجتماعي... وفي ضوء هذا التصور الناجح كان يجمع بين

العروبة والإسلام بوصفهما وجهين للأمة يتكامل أحدهما في الآخر؛ كما يستشف من قوله[1]:

يا أمة العُرُب، يا إسلام، حسبكم
هــذا التخــاذل والإهمــال والكــسل
هبُّوا إلى المجد يا قومي، فما برحت
تهفــو لمجــدكم التيجــان والحلــل
صــونوا الــبلاد بــأرواح غلــت ثمنــاً
فإنمــا قيمــة الأحــرار مــا بــذلوا

فهو يؤسس للفكرة القومية في إطار خلقي ديني؛ ما يشي بأنه يدعو لبناء الدولة القومية منذ وقت مبكر في إطار روحي ثقافي اجتماعي نضالي سامٍ ومُوَحَّد إذ قال:[2]

يــا أمــة العُــرْب، هُبُّــوا مــن ســباتكمُ
فمــا علمــت لهــذا النــوم مــن ســببِ
الــروض روضــكم، والحــوض حوضــكمُ
والمــاء دون ســواكم، يــا لــذا العجــبِ!!

---

[1] صالح العلي ثائراً و..... شاعراً 163 ـ 164.
[2] المصدر السابق 161.

هبــوا إلى المجــد، لا خَــوْفٌ، ولا رَهَــبٌ

فليــبرأ العُــرْبُ مــن خَــوْفٍ ومــن رَهَــب

مــا كــان للغــرب ســلطانٌ لــشرقكم

لــولا تــشعبكم كــلاًّ علــى شُــعَبِ

فالبطل صالح العلي يستنهض كل ما في النفس من قيم العروبة، وما جاء في أدبياتها الثقافية المنفتحة على التاريخ العريق وما يشتمل عليه من مضمون اجتماعي خلقي يحقق العدالة الاجتماعية لكل أبناء الأمة... ومن ثم فإن ثورته كانت حرباً ضارية على الاستعمار وأعوانه؛ ودفاعاً حراً كريماً عن الأرض والعرض؛ وحرباً لا هوادة فيها على الظلم والقهر، والجهل والفقر... والتفرقة والتجزئة. ولهذا يقول حامد حسن: "كان صالح العلي يعيش التاريخ - كل التاريخ العربي - يعيش روح أجداده العرب، يعيش روح الشرق، كما كان أعداؤه يعيشون روح أجدادهم، وروح الغرب الحانقة الحاقدة على هذا الشرق"[1]. ولمّا كان الأبطال الميامين يتسابقون إلى الشهادة كانوا يدركون أن أرواحهم ستكتب بأحرف من نور وحدة وطنهم وأمتهم؛ ما يعني أن وحدة الجهاد والتضحية في سبيل

---

[1] صالح العلي ثائراً و... شاعراً 107.

الحرية والاستقلال حققت وحدة تراب الوطن وسيادته، ولمّت شمل أبناء الأمة، والوقوف صفاً واحداً في وجه المستعمرين المستبدين.. ولهذا لا نعجب أن يتوجه إلى الزعيم الهندي (المهاتما غاندي) برسالة يعبر فيها عن روح الشرق المناهض للاستعمار الغربي، مبيناً وحدة المصير والنضال فيرد عليه غاندي برسالة مماثلة، ومما جاء فيها: "يا سيدي... إن الغربي النهم يفغر فاه ليلتهم الشرق أجمع فمدَّ يدك أبايعك على أني في الشرق الأقصى، كما أنت في الشرق الأدنى لكبح جماح الغرب النهم...". وحينما نشير إلى هذه الرسالة فإنها تذكرنا برسائله إلى الملك فيصل، ومشايخ جبل عامل؛ وعدد من السياسيين في الكتلة الوطنية وغيرهم مثل يوسف العظمة وسعد الله الجابري وإحسان بك الجابري...

ومن يتأمّل بنية هذه الرسائل يتضح له أنها مختصرة تقتصر على موضوعها الوطني النضالي؛ أو الدعوة إلى الوحدة حول القيم الإنسانية السامية التي تحقق حرية الإنسان وكرامته... ولهذا كانت لغتها واضحة؛ مباشرة؛ تفيض بالمشاعر الجياشة الصادقة... وكذا كان شعره الذي طرق موضوعاته التي غلب عليها المعاني النضالية الوطنية... ــ وهي معانٍ ممزوجة بكل ما هو عربي ــ بشكل مباشر من دون مقدمات...

ولمّا كان الشعر الوطني القومي قد سيطر على مجمل شعره فإنه تناول في قسم منه جوانب إنسانية شتى وأغراضاً معروفة كالغزل؛ ووصف الديار؛ والحكمة والنصيحة...

وقد نسخ ديوانه باليد؛ وطبع منه قصائد عدة؛ كما نراه في هذا الكتاب الذي عني به الأديب الشاعر حامد حسن ـ رحمه الله ـ وقَدَّم له بمقدمة ضافية اعتمدنا عليها في جوانب عدة من مقدمتنا هذه. فالأديب حامد حَسَن سعى صادقاً إلى تقريب شيخ الثوار وشعره إلى المتلقي، بصورة راقية؛ وهي الصورة التي دعتنا إلى تبنيها وإعادة طباعتها، لما فيها من فوائد جمة للأجيال، ولاسيما حين تحل بها النكبات والمصائب...

خاتمة:

قبض شيخ الثوار على جمر العزة المتقد، وكتب وحدة الوطن بأحرف نضالية تزدهي بالفخار ما يدعونا إلى التساؤل: كيف نحافظ على هذا الإرث العظيم؟! هذا هو الواجب الوطني الذي يدفعنا إلى التفكير بما نحن فيه. فالقيم الوطنية والقومية النبيلة تموج ـ اليوم ـ كالسراب أمام أنظارنا قولاً وفعلاً؛ فالأمة العربية ما تزال تتعرض لمخاطر جسيمة تستهدف

الإجهاز على هويتها؛ وتدمير الوجود والحضاري لها، وتخريب كل ما بناه الأجداد...

ولهذا نتساءل: كيف يمكننا أن نحوّل العَطَالة الفكرية المتباينة؛ والعلاقات الاجتماعية المختلة إلى روح ناهضة تواجه الضغوط النفسية التي قتلت أشياء غير قليلة من التآخي والتسامح والعفو والإحسان؟!

وإذا كان هذا يلزمنا بإعادة بناء ثقافة المقاومة في إطار قيمي وطني يستند إلى العدالة و... فإنه يلزمنا أيضاً أن نتصدى بقوة لعوامل القهر والفقر؛ والتخلف والجهل؛ والعبث والفوضى؛ وأن نسعى إلى بناء ثقافة العروبة الموحدة التي جاهد من أجلها شيخ الثوار صالح العلي، وجعلها الفضاء الأوسع الذي ينفتح على العقيدة والقيم الإنسانية المنتشرة.

لا بد من تبني استراتيجية تنموية شاملة متقدمة من المهد إلى اللحد؛ وفي كل زاوية من أرض الوطن بعيداً عن الخوف والقلق والتردد، والتهويل والتضخيم والفساد والإفساد...

وعلينا الاحتماء بمبدأ المساواة وسيادة القانون وفق القدرات والكفاءات... والعناية الكبرى بالتقنيات الحديثة في كل مجال ولاسيما مجال الإعلام والدخول إليه بعقلية علمية موضوعية منفتحة لا تتخلى عن الثوابت الوطنية والقومية

سياسياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً... فما تخلفت الأوطان والمجتمعات إلا بعجزها عن مواكبة التطورات في المجالات المتنوعة وعلى رأسها مجال الإعلام وتقنياته الرقمية... فثقافة الميديا تتطور كل لحظة رقمياً ومضموناً، وستترك من يعجز عن مواكبتها وراءها...

الإهداء...

إلى كلَ عربيٍ
يؤمن، ويعمل..
لوحدة الأمة العربيَة
وبعث رسالتها الحضارية
وقِيَمها الإنسانية.
عبر التاريخ و... المستقبل.

حامد حسن

كلمة

كثيراً ما تخدعنا ثقافتنا، فنحمل أقلامنا، ونحتقب مقاييسنا لنحدد الأبعاد، ونزن القيم، ونضع الأطر والمسافات والأبعاد التي أحطنا ــ أو حاولنا ــ أن نحيط بها تلك الشخصية.

كتبت عن صالح العلي، وسأكتب، وقد أبلغ حد الإعجاب بالرجل، ولكني لا أبلغ حد المبالغة، أو المغالاة.

إنني أكبره، أعجب به، في حدود أعماله، ونطاق تحركه الاجتماعي، ومن خلال رؤيتي وتصوري لذلك التحرك، وتلك الأعمال.

أكتب عنه.. ولكني لا أجهل ولا أتجاهل أنني أكتب للتاريخ، وأن التاريخ التزام بالواقعية، وأمانة، ومسؤولية.

وإنني لألجم العاطفة، وأراقب بدقة وحذر، وحيطة وانتباه "الحزبية اللاشعورية" حرصاً على الحقيقة، وإلحاحاً على موضوعية التاريخ ليأتي نقياً صافياً، ويبقى صادقاً و.. يقيناً.

ح.ح

مقدمة

أسباب ودوافع

فكرة راودت ذهني ومشاعري، وألحت على أحاسيسي ووجداني، وداعبت قلمي وخيالي، واستدرت أحرفي وكلماتي وتعابيري.

طالعتني منذ فجر الشباب، ورافقتني طوال زهوه وشموخه وميعانه، ولم تبارحني بعد تجاوزه وتخطيه، وانحدار شمسه عن الظهيرة إلى الزوال.

ثلاثون عاماً ببياض أيامها، وسواد لياليها، وتعاقب أحداثها، وهذه الفكرة الصبور العنود ما برحت ملحة ملحفة، ضاغطة آسرة، تأخذ بمجامع العاطفة، وتسيطر على مناحي التفكير.

هذه الفكرة هي أن أكتب شيئاً عن صالح العلي، شيئاً يكون بمثابة شهادة سلوك، ووثيقة إثبات، تشهد وتثبت للناس، للمجتمع، للتاريخ أنني أعشق البطولة، أمجد الوطنية،

أكبر الأخلاق، أقدر الأعمال، ممثلة أصدق تمثيل، مجسدة في أزهى صورها، وأبهى ألوانها، وأجمل مظاهرها، في صالح العلي رجل المثالية والبطولة، والوطنية والأخلاق.

وإني ـ وإن كنت عاجزاً عن تحقيق المثل العليا ذاتياً وعملياً ـ فلا أقل من أن أحاول تحقيقها، وأتطلع إليها في أشخاصها وأبطالها إعجاباً وإكباراً وقولاً، وهذا ـ كما قيل ـ: أضعف الإيمان.

إذا لم نستطع ـ لعوامل شتى في طبيعتنا وظروفنا ـ أن نحقق الحق والخير والجمال، أو بعض الحق والخير والجمال، فعلاً وعملاً، فلا نكون معذورين إذا تقاعسنا عن تحقيقها، والدعوة إليها، والتبشير بها قولاً ونية.

إننا لا نرفع من قيمة المثل والقيم، ولا نزيد من قداستها، إذا دللنا عليها، وتحدثنا بها وصبونا إليها، ولكننا نرفع من قيمة أنفسنا وذواتنا وإنسانيتنا، ونشعر بسمونا وكمالنا إذا هفونا إليها، وكان لنا شرف الانتساب إلى الإعجاب بها.

وما كان صالح العلي في تاريخنا الحديث إلا المثل الأعلى للإنسان ـ إنسان الوطنية والقومية، والتضحية، والمفاداة و... الأخلاق.

***

كانت فكرة الكتابة عن صالح العلي، عن بطولاته، جهاده، وطنيته، كبريائه، أنفته، حميته، صلابته، صراحته، أخلاقه، تضحياته تلاحقني، تطاردني، تسد علي الجهات، تشغل المساحة الكبرى من تصوري وتفكيري طوال ثلاثين عاماً، وتشكل المهم والأهم من مشاريعي الأدبية والفكرية، ولكن... ولكن كنت أتهيبها، أخشاها، أتحاماها، فأقدم مصمماً مزمعاً، ثم أحجم متهيباً، متوجساً، خاشعاً، وبين الإقدام والإحجام، الأزماع والقهقرى، الإلحاح والتقاعس، كانت تتقدم السنون، وتتهالك الأيام والليالي وكنت "أصعد" هذه الرغبة ـ رغبة الكتاب عن صالح العلي ـ بين الحين والحين، وأحقق شيئاً من هذه الأمنية بين المناسبة والأخرى، الطارئة منهما والموقوتة، في قصائد، ومقاطع من قصائد تدور حول بطولات صالح العلي، وكبريات مآثره وأعماله في المناسبات القومية والوطنية. في حفلة تكريمه، وفي ذكرى وفاته وأربعينه.

فارمهم بالحديد والنار يا صا

لح، والخيل والقنا والجحافل

وأثرهـــا جهنمـــاً يـــصطلي الطـــا

غـــي لظاهـــا ، وعاصـــفاً وزلازل

وأرتقب!! فالحسين في ظل بيت الله يجلو القنا، ويزجي الصواهل[1]

***

كتبت عن صالح العلي، وسأكتب، وقد أبلغ حد الإعجاب بالرجل البطل، ولكني لا أبلغ حد المبالغة، أو المغالاة!!

إنني أكبره، أعجب به في حدود أعماله، ونطاق تحركه الاجتماعي.

أكتب عنه ولكني لا أجهل ولا أتجاهل أنني أكتب للتاريخ، والتاريخ التزام بالواقعية، ومسؤولية كبرى.

وإنني لألجم العاطفة، وأراقب بدقة وحرص، وحيطة وحذر، ويقظة وانتباه "الحزبية اللاشعورية، حرصاً على الحقيقة وموضوعية التاريخ، ليأتي نقياً صافياً، ويبقى صادقاً و... يقيناً.

---

[1] من قصيدة بمناسبة تكريمه 1945.

فالإعجاب بالأعمال، والإخلاص للحقيقة التاريخية هما اللذان يمليان على قلمي أحرفه وكلماته وسطوره.

يـا صـالح بـن علـي والـد نيـا بـذكرك فـوح طيـب

يـا صـانع التـاريخ معـ ـذرة المـؤرخ والأديـب

المجـد، مـا أعطيـت شعـ ـبك مـن شـبابك والمـشيب

لـيس الـشعوب كمـا تـشاء لهـا سماسـرة الـشعوب[1]

وأية مناسبة قومية، أو وطنية بعد الحرب العالمية الأولى لا يكون لصالح العلي ذكرى عاطرة فيها؟؟

بل أية مباهاة بالأمجاد وبطولات الأجداد لا يكون لصالح العلي نصيب وفير منها؟؟

وبعد هذا كله كنت أشعر أنني متوان مقصر في حق هذا الرجل الكبير، لم أف حقه، ولم أسدد ما له من دين في ذمة الأمة، والوطن و... التاريخ.

---

[1] من قصيدة بمناسبة ذكراه السنوية 1951 ومطلعهما:

نيسان، أم نيسان ذكرك رف بالبلـد الجـديب

يمـشي الـصباح بـه فيعثـر بالأشـعة والطيـوب.

وكانت المفاجأة!!

وزارة المعارف تضع بين يدي المرحلة الابتدائية كتاباً يؤرخ لرجالات الحركة الثورية والوطنية والقومية في سورية والوطن العربي ومنهم صالح العلي ولكنها تقول: إنه كان أمياً لا يحسن القراءة!!!

أجهل؟ أم تجاهل؟؟ وكلا الأمرين كبير وعسير... ولكنه الأخير!!

إنه الافتراء على الرجل الكبير!

إنه الاجتراء على قدسية التاريخ وتراث الأمة:

وكنا أكبر وأحرص من أن نسمح لهذه الدسائس أن تتسرب إلى تاريخنا، وعقلية ناشئتنا، فنسقت الاحتجاجات، وكانت عاتبة و... غاضبة فاضطر المسؤولون إلى إلغاء الكتاب.

***

كثيرون هم الذين كتبوا عن صالح العلي مبالغين ومعتدلين، جائرين ومنصفين، مادحين ومشنعين، محققين ومتخرصين، معجبين وحاقدين، وكلهم على تعدد نزعاتهم،

واختلاف ميولهم وأهوائهم، وتباين آرائهم لم يستطيعوا إنكار جهاد الرجل وبطولته، وترفعه عن الأغراض المادية والشخصية.

كتب بعضهم بطريقة الرواية والقصة فجمع إلى جانب الحقيقة التاريخية ألواناً من الأخيلة الموشاة، فاختلطت الحقيقة بالخيال.

وكتب آخرون بأسلوب إنشائي فطغى تزويق العبارة، وتوشية البيان على الحقائق، والحقائق ترغب دوماً وأبداً أن تكون مجردة عارية، واضحة منارة.

وغير هؤلاء وأولئك كتب بالطريقة السردية التقريرية ولكن فاته الكثير من الحوادث والوثائق والمستندات، ودراسة الأسباب التي أدت إلى تلك النتائج.

وهناك من كتب الشعر المجنح الموشى، المعطر المندى بالأخيلة فأضافوا إلى ملاحم بطولات صالح العلي كثيراً من شطحات الخيال، وتهويمات الحالمين، ومبالغات الشعراء.

كثيرون كتبوا ونسقوا معلوماتهم وراء المكاتب، وبين جدران المقاهي، وقل منهم من تجشم المشاق، وتسلق تلك الجبال، وهبط تلك الأودية، وتخلل تلك الأدغال والغابات، ولطأ بين تلك الصخور، وتغلغل في الكهوف والغيران، وأشرف من التلال والشواهق والمعاقل، ليتمثل صالح العلي، وأعوان

صالح العلي في معاقلهم ومرابضهم، ونقط انطلاقهم على العدو، ويدرس تلك الحوادث دراسة "ميدانية" في بيئتها، ومناخها ليشرك عنصر الطبيعة في الحكم على نتائج المقدمات، ويربط أسباب النصر ودواعيه بالمسببات.

الكثيرون ممن كتبوا لم يعيشوا الحوادث إلا قراءة أو رواية، أو سماعاً، ولم يعيشوها تجربة ومعاناة وواقعاً، ودراسة على الطبيعة.

بعضهم استعرض من الحوادث ما له علاقة مباشرة بمشروعه الأدبي، فاكتفى بنتف من الحوادث، وأجزاء من الأحداث.

وآخر أورد وثائق هامة ولكنه عجز أو تساهل عن قرنها بالأصل، والتاريخ أرقام ووثائق تحمل إحصاءات وحقائق.

ومن المؤرخين من أورد أسماء وأماكن لم ترد في خريطة منطقة الثورة.

إن أولئك المؤرخين ــ على جلالة أعمالهم، وصدق نواياهم، وضخامة جهودهم ومجهودهم ـ لم يخرجوا في كتابة التاريخ عن الوصف السردي الذي يقتصر على إيراد الحوادث وعرضها بعيدة عن التحليل والتمحيص والعمق. وقد اقتصرت ــ في الأعم الأغلب ــ على الجانب السياسي، مهملة الجوانب

النفسية، والعوامل الاقتصادية. والنوازع الخلقية، وهي عوامل أساسية في كل حركة ثورية اجتماعية.

لست أتدارك على هؤلاء السادة المؤرخين ما فاتهم، وقد لا أستطيع ذلك ولكن يهمني بهذه المناسبة أن أشير إلى بعض المقولات في العقل العربي ومدى استطاعته استخلاص النتائج بطريقة علمية واقعية.

1 ــ يقال إن العقل العربي ذو طبيعة "تركيبية": وإن "التركيب" من أبرز خصائص العقل العربي، إنه يأخذ بالنتائج كما قررتها الحوادث والظروف ويبني أحكامه عليها، ولا يهتم بمقدمات تلك النتائج.

يحكم على المعلول، ولا يبحث في العلة، ينزل على حكم النهايات، ولا يتقرى البدايات والأسباب والغايات، يأخذ بالكليات المجردة، ويتجافى عن الجزئيات والتحليل.

يقنع ويؤمن بما هو كائن، ولا يسأل لماذا كان؟ وكيف يكون؟

مسالم، لا يتدخل في "الحدث".

منفعل، يتلقى، ولا يعطي.

فكأنه يخضع لقوى خارجة عن التاريخ، وحركة المجتمع، ومنطق التحليل. وعقل هذا شأنه لا يمكن أن يكتب التاريخ بمنطق تحليلي ولا يطمئن المنطق العلمي لمعطياته.

2 ـ تختلف نسبة انفتاح الذهن العربي على العقلانية والعاطفة، فالعقلانية في الذهن العربي لا تظهر إلا من وراء ستار كثيف من الانفعال العاطفي ودوافع الهياجانات والتوتر وبذلك تتعذر عليه ـ غالباً ـ الإطلالة المباشرة على الأحداث، ويغلب على أعماله المغامرة والارتجال.

3 ـ والخيال العربي نظراً لغناه بالألوان، وسعة آفاقه، وجموحه لا يعايش الواقعية، ولا يتعامل مع عالمي المقاييس والأرقام، ولذلك يجانب التقنية المعاصرة.

ولكن: أليس في هذا القول تجن وافتئآت؟

ألم يعط العقل العربي لحظات حضارية؟ بل وثبات تاريخية حقق فيها الواقعية المادية، وجمع بينها وبين الانطلاق والروحية، وأوجد حضارة تعادلت فيها القيم المادية والروحية فكانت من أعمق وأرسخ حضارات التاريخ؟.

أما نلمح اليوم ظاهرة "تكيف" العقل العربي مع تقنية الحياة المعاصرة، محتفظاً ـ إلى جانب التكيف ـ بخصائصه المادية والروحية؟



وعلى هذا فثورة صالح العلي لم تدرس ـ حتى الآن ـ دراسة علمية تحليلية، دراسة تتناول الأسباب السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، والنفسية، وظروف الزمان والمكان لإعطاء الأحداث والحوادث أبعادها في النفس والمجتمع و.. والتاريخ.

لست الآن بصدد كتابة التاريخ ـ تاريخ ثورة صالح العلي ـ ضمن الشروط العلمية ووفق المنهج الذي أشرت إليه، ولكني بصدد كتابة "شيء" عن صالح العلي، وفي نطاق الرد على أولئك الحاقدين الموتورين الذين يعيشون بروح أجدادهم، والذين أرادوا ـ حقداً وحسداً اجتراء وافتراء ـ أن ينالوا من شأن صالح العلي فزعموا: أنه كان أمياً.

لهؤلاء بالدرجة الأولى، لأبنائهم، لحفدتهم، للأمة العربية، أقدم ديوان صالح العلي كرد مسكت، مفحم، فاضح مفلج، دافع لمزاعم أولئك المفترين القائلين: أنه كان أمياً لا يقرأ.

إنني إذ أقدم هذا الديوان، وأقدم لهذا الديوان أترك للأمة، للحقيقة، للتاريخ، إدانة هؤلاء المجترئين على الأمة والحقيقة والتاريخ.

دمشق في 30 آب 1973

حامد حسن

الوثيقة رقم (1)

من هؤلاء الأبطال يا أبنائي الشيخ صالح العلي. إن ذلك الرجل الأمي قاد الثوار في محاربة الفرنسيين، في هذه المناطق وصبر على الجوع مدة سنتين وقد ساعدته حكومة الملك فيصل بالشام بالسلاح والعتاد، فحمل على الفرنسيين حملات شديدة وله مواقف رائعة وعندما انتهت حكومة الملك فيصل تعاون ثوار الشيخ صالح العلي مع ثوار إبراهيم هنانو وجعلوا المناطق الجبلية بين جسر الشغور وأريحا والمعرة مركزاً لهم ومنطلقاً لجماعاتهم. ففاوضهم الفرنسيون مراراً ونفذوا بعض رغباتهم لكنهم لم يلينوا ولم يستسلموا وكان الاستعمار أقوى من هؤلاء الثوار العزل من الأسلحة الضخمة، فقضى على الثورة بعد خسائر فادحة نزلت به توارى عن الأنظار مدّة طويلة واضطر أخيراً إلى الاستسلام مُكرّماً بعد أن حصل على وثيقة بعدم التعرض له. والشيخ صالح العلي قوي الإيمان والوطنية

منحدر من أسرة عربية عريقة، وقد توفي سنة 1950 في قرية في قضاء طرطوس.[1]

---

[1] صورة "فوتوكوبية" للصفحة 109 من كتاب "المواد الاجتماعية" للصف الرابع الابتدائي للعام الدراسي 1958 وفيها:

1 ـ إن صالح العلي "أمي" (انظر السطر الأول من المصورة)

2 ـ إن ثوار صالح العلي وثوار إبراهيم هنانو جعلا المناطق الجبلية بين جسر الشغور وأريحا والمعرة مركزاً لهم ومنطلقاً لجماعتهم "انظر السطرين 5 و6).

3 ـ إن صالح العلي توفي سنة 1950 في قرية في قضاء طرطوس. (لاحظ تنكير "قرية" مع أن قرية "الشيخ بدر" كانت منطلق الثورة طوال 3 سنوات وذكرتها المصادر العربية والأجنبية. وقد كانت مهيأة لتكون مقراً لمتصرفية الجبل منذ العهد التركي باقتراح من الوالي مدحت باشا كما أشارت المصادر التاريخية).

(لاحظ أيضاً الصفحة 110 المصورة)

علماً بأن الاتصال بين الثورتين لم يتعد نطاق تبادل المعلومات عن تحركات الفرنسيين. وبعض الامدادات بالذخيرة والسلاح الوارد من تركيا. فكيف ومتى تم هذا الانضمام؟؟ وقد أشار المجاهد يوسف السعدون بأن الاتصال بين الثورتين كان متعذراً بسبب المناطق التي تفصل بينهما والتي كانت موالية للفرنسيين. (انظر رسالته في هذا الكتاب).

الوثيقة رقم(2)

تذكر

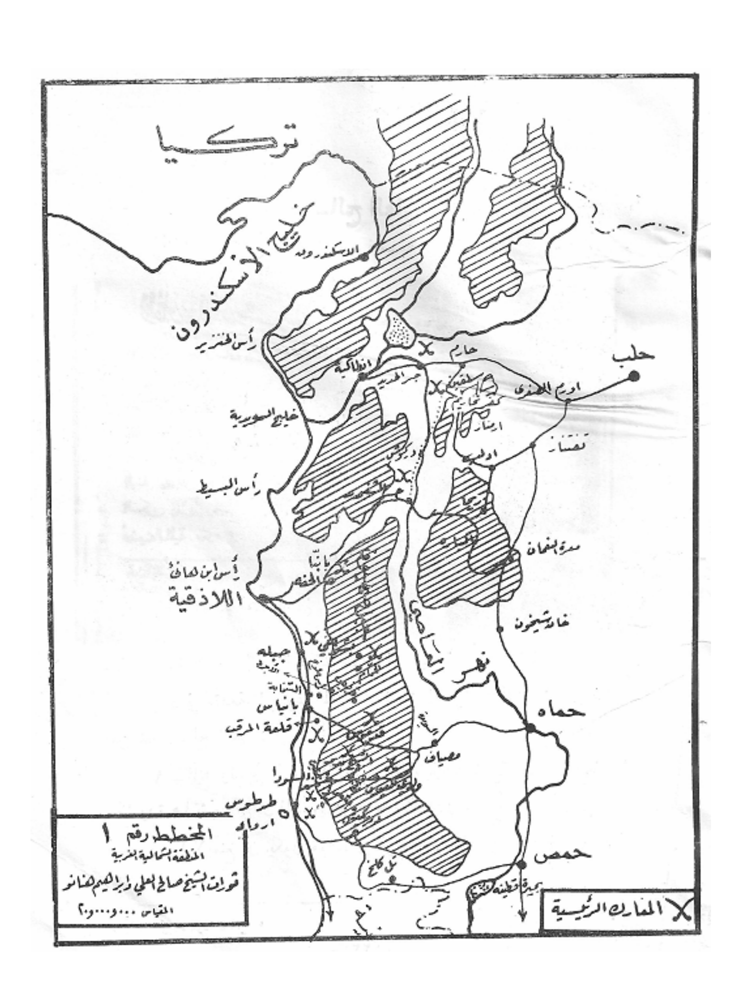
- لم تهدأ الثورات في الإقليم السوري منذ دخول الفرنسيين البلاد.
- قاد الثورة في جبل العلويين الشيخ صالح العلي.
- انضم صالح العلي إلى إبراهيم هنانو وجعلا المناطق الجبلية في أريحا والمعرة مركزاً لها.
- استشهد صالح العلي في إحدى المعارك بعد أن أنزل بالفرنسيين أشد الضربات.[1]

---

[1] صورة "فوتوكوبية" للصفحة 110 من كتاب "المواد الاجتماعية" للصف الرابع الابتدائي للعام الدراسي 1958 وفيها يقرر:

1 ـ إن صالح العلي انضم إلى إبراهيم هنانو وجعلا المناطق الجبلية في أريحا والمعرة مركزاً لهما.

2 ـ إن صالح العلي استشهد في إحدى المعارك. (راجع الصفحة 109 المصورة) وفيها: إن صالح العلي توفي سنة 1950 ولم يستشهد في إحدى المعارك.. وبمثل هذه الدقة والتمحيص، والنزاهة والتجرد، وتحري الحقيقة يكتب تاريخنا الحديث!! فكيف بتاريخنا القديم الذي كتب تحت تأثير العوامل السياسية والطائفية والمذهبية؟؟؟



تركيا
خليج الإسكندرون
الاسكندرون
رأس الخنزير
انطاكية
حارم
حلب
خليج السويدية
رأس البسيط
رأس ابن هانئ
اللاذقية
معرة النعمان
خان شيخون
نهر العاصي
جبلة
بانياس
قلعة المرقب
حماه
مصياف
طرطوس
ارواد
حمص
بحيرة قطينة
تل كلخ
المخطط رقم 1
المنطقة الشمالية الغربية
ثورات الشيخ صالح العلي وابراهيم هنانو
المعارك الرئيسية

صالح العلي

هويته ـ نسبه



هوية صالح العلي الشخصية

ورد في مقدمة المجموعة المسماة "الثورة الحمراء[1] التي ضمّت بعضاً من شعر صالح العلي:

---

[1] للشاعر محمود صالح.

1 ـ إنه ولد في قرية "المريقب" والهوية الشخصية لصالح العلي المنشورة هنا تشير إلى أن المسكن هو قرية "الأندروسة".

وهذا لا يمنع أن يكون مولده في قرية "المريقب" ومسكنه في قرية الأندروسة.

2 ـ تقول تلك المقدمة أن تاريخ مولده هو سنة 1300هـ والهوية تقول: إن مولده هو سنة 1885 وهذا يوافق 1303هـ.

3 ـ جاء في كتاب "معارك الحرية في سورية" أنه ولد سنة 1883م[1].

***

---

[1] الفارس زرزور.

نسبه

المعــز الأبــي أكــسبنا المجــد وأهــدى لنــا الفخــار، وســلم

صالح العلي

***

لــــك في ســــرير المــــالكين أبــــوة

مــن كــل وضــاح الملامــح أصــيد

وصــلتك بالنــسب الــشريف وشــائج

بــالمحرزي أبــي الفتــوح محمــد

نــــسب كخــــاطرة النبــــوة عــــاطر

متلألــئ كالكوكــب المتوقــد

الغــــار معقــــود علــــى قــــسماتهم

وعلــى مفــارق غيرهــم لم يعقــد

سـجد الزمـان علـى عتـو جلالـه

لهـم سـجود ضـراعة وتعبـد

عـذ باسمـه وبهـم إذا الـزمن اعتـدى

وأنـا الـضمين بأنـه لا يعتـدي[1]

***

إن ملكـت الجهـاد حـراً فمـيرا

ث أب ماجـد علـى الأمجـاد

أو ملكـت الفخـار والـشرف الجـ

ـم فعـن منـذر نمـاك، وهـاد

فـالمعز الأب العظـيم علـى التـا

ريـخ، عـزم ممثـل لـك بـاد

فـانبرت منـك كـل جارحـة نـصلاً

تـسقيه مـن دم الأكبـاد[2]

---

[1] من قصيدة للمؤلف في رثاء الشيخ محمد رمضان قريب ونسيب صالح العلي ومطلعها:

عبق الخميلة؟ أم ضريح محمد   أم رحت تلثم ضاحك الشفق الندي

قبلته ومسحته فعلى فمي   شفق، ولألأة الصباح على يدي

[2] من قصيدة للشاعر كامل الخطيب.

المحارزة

ينتسب المحارزة إلى الأمير محرز الجيشي بن الأمير معز الدولة[1]، بن المعز لدين الله الخليفة الفاطمي بن المنصور بن القائم بأمر الله[2]، بن عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية.

***

في سنة 288هـ، غادر اليمن أبو عبد الله الشيعي إلى شمال أفريقيا داعياً للأئمة من أبناء فاطمة بنت الرسول (ص) فلقيت دعوته قبولاً وانتشاراً والتف حوله المجيبون والأنصار، فاستدعى أبا عبيد الله المهدي بن محمد الحبيب من سلمية في سورية وسلمه زمام الأمر وعملا معاً على إنشاء الدولة الفاطمية

---

[1] راجع الصفحة 38 و39 حول التحقيق عن اسم معز الدولة.

[2] كذا ورد في التاريخ العام.

وتم لهما ذلك، وابتنى المهدي مدينة المهدية في القيروان وجعلها عاصمة ملكه.

وتولى أمر الخلافة بعده ابنه القائم، ثم أعقبه ابنه المنصور (إسماعيل) وبنى مدينة المنصورية وهي تونس الحالية، وولي الأمر بعده ابنه المعز لدين الله فأرسل قائده جوهر الصقلي لفتح مصر فاستولى عليها، ثم بنى مدينة القاهرة سنة 359هـ وأحاطها بسور ذي ثمانية أبواب[1] ونقل الحكم إليها.

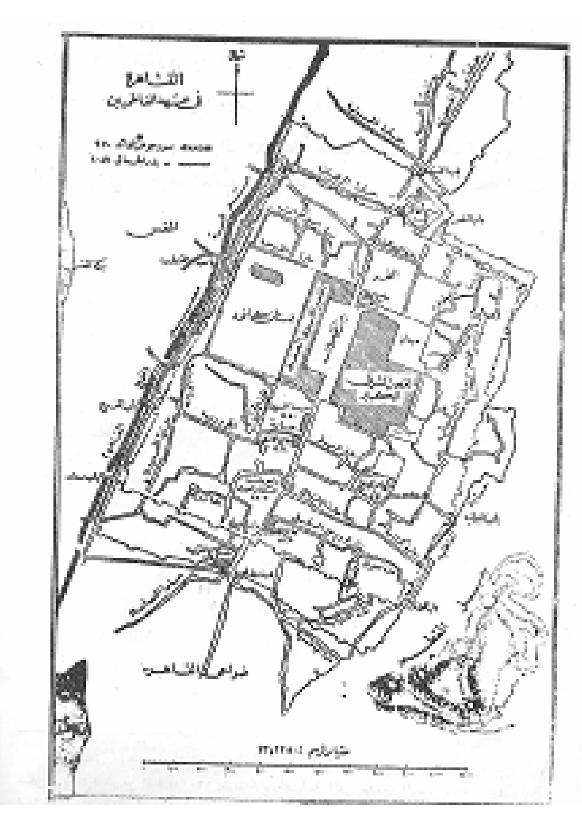
وقد ازدهرت المعارف والعلوم والفنون في عصره واتسعت رقعة الدولة حتى شملت الشمال الإفريقي وسورية ولبنان وفلسطين.

واستمر حكم الفاطميين طوال 262 عاماً تعاقب خلالها على الحكم 14 خليفة أولهم المهدي وآخرهم العاضد لدين الله.

***

---

[1] أسس جوهر الصقلي مدينة القاهرة سنة 359هـ وبنى حولها سوراً من اللبن على شكل مربع كل ضلع من أضلاعه 1200 ياردة فكانت المساحة التي حددها السور 340 فداناً وكان لهذا السور ثمانية أبواب منها "باب الفتوح" وانتقل المعز لدين الله إلى القاهرة سنة 363هـ وقد تهدم سور القاهرة فجدده الوزير بدر الجمالي في أيام المنتصر.



لله قـــاهرة المعـــز فإنهـــا   بلــد تخــصص بالمــسرة والهنــا

أو مـا تـرى في كـل قطـر منيـة   من جانبيها ، فهـي مجتمـع المنـى

أحد الشعراء

المحارزة والإسماعيليون

يفاخر كل من الإسماعيليين والمحارزة بالقربى من الفاطميين، وقد التبس الأمر على بعض المؤرخين وعلى الكثيرين من رجال الفئتين.

والحقيقة أن قربى الإسماعيليين من الفاطميين هي قربى الولاء. أما قربى المحارزة فهي قربى النسب الطبيعي.

فالفاطميون هم أجداد المحارزة وهم بالوقت ذاته أئمة الإسماعيليين.

وهذا لا يمنع أن يكون بين الإسماعيليين من يمتون إلى الفاطميين بصلة النسب أيضاً.

فالمحارزة إذن: هاشميون فاطميون إسماعيليون لانتسابهم إلى إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق.

ولكن مع أن المحارزة من سلالة إسماعيل بن جعفر الصادق فهم موسويون يقولون بإمامة عمهم موسى الكاظم ولم يقولوا بإمامة جدهم إسماعيل بن جعفر.

والإسماعيليون المنتسبون إلى إسماعيل ولاء ــ كانوا ــ كما كان المحرزيون ــ دعامة الحكم الفاطمي ودعاته وحماته، مهدوا له وعملوا على إنشائه وتثبيته ومكنوا له ودافعوا عنه، وحافظوا عليه، ولم يختلفوا فيه إلا بعد المستنصر الخليفة الثامن حيث انقسم الإسماعيليون إلى نزارية، وإلى مستعلية، والمستعلية هم البهرة الآن.

والسؤال:

كيف ومتى جاء المحارزة إلى سورية؟ وأين استوطنوا؟

والجواب:

لم يأت المحارزة من مصر إلى سورية دفعة واحدة وإنما تمت هجرتهم إليها على دفعات:

1 ــ أيام المعز لدين الله حيث امتد حكمه إلى سورية ولبنان وفلسطين فهاجر بعض المحارزة من بني فلاح إلى سورية، أو بأفصح تعبير تنقلوا ضمن بلادهم ونزل بعضهم في قلعة بعرين شرقي مصياف وامتلكوا دير الصليب القريبة

منها، وامتدوا إلى قلعة المضيق، فالمعرة، حتى حلب. وذلك حوالي أوائل النصف الأول من القرن الرابع الهجري.

وحكم المحارزة مصياف وأول حاكم منهم عليها هو الأمير فضل الدين بن الأمير محمد الأدرعي وهذا الأخير حكم حماة ثم حكم مصياف من المحارزة أيضاً الأمير محمد بن الأمير فضل.

وسكن بعضهم جهات صافيتا وامتلكوا بعض المعاقل ومنها قلعة الكيمة الواقعة شرقي بلدة صافيتا على مسافة 17 كم منها. وهذا تم حوالي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري وأوائل النصف الأول من القرن الخامس.

2 ـ في أواخر القرن الخامس الهجري كان حامد الكيمة المحرزي يكافح الصليبيين المقيمين في قلعة صافيتا (البرج الأبيض) ويدافعهم ويحول دون بسط سيطرتهم على المنطقة وظل يصارعهم سبع سنوات متوالية، وكان الشيخ حسن الكفرون يرسل القصائد والرسائل إلى محارزة مصر لنجدة أخوانهم فخف منهم من استجاب لدعوته ونداءاته.

3 ـ في سنة 618هـ استنجد سكان جبل النصيرة ـ جبال اللاذقية ـ بالأمير حسن المكزون السنجاري لما اشتد ضغط الأكراد والإسماعيليين عليهم من جهة، والصليبيين من جهة

ثانية، فجاء الأمير لنجدتهم، وقبل مجيئه كتب إلى محارزة مصر ـ وكانوا يومئذ برئاسة بيت البلقيني ـ أن يناصروه في حروبه ضد أعدائه، فجاءت من مصر نجدة كبيرة ونزلت من البحر على سواحل جبلة، وكان لها شأن في العمليات الحربية التي دارت في الجبال حيث شكلت "كماشة" مع جيوش الأمير الزاحفة من الشرق.

ولما تم للأمير حسن التغلب على الأكراد والإسماعيليين في الجبال، والصليبيين في السواحل، اختلط المحارزة الذين وفدوا من مصر بالعشائر السنجارية، وسكنوا جبل بشراغي في جبال جبلة. واشتركوا مع العناصر السنجارية في الهدف والوسيلة والمصير، إضافة إلى وحدة العقيدة وهذا هو العامل الخارجي الذي يربط المحارزة بالعشائر السنجارية.

4 ـ عندما زحف السلطان المصري قانصوه الغوري[1] سنة 915هـ بجيوشه لنجدة الشاه إسماعيل الصفوي ضد السلطان

---

[1] أن محمد الغروي سلطان مصر المحرزي هو غير (قانصوه الغوري) وقد وجدنا من المؤرخين من يخلط بينهما وقانصوه الغوري ليس من المحارزة وإنما هو من المماليك البرجيين نسبة إلى برج القلعة حيث أسكنهم السلطان قلاوون ـ وهذا لا يمنع أن يكون قانصوه الغوري البرجي قائد الجيوش المصرية قد صحب معه قسماً من المحارزة يوم انتصر الشاه إسماعيل الصفوي ضد السلطان العثماني سليم الأول.

سليم الأول، وانهزم في معركة برج دابق[1] تفرق أنصاره وفيهم بعض المحارزة ولحقوا بأقاربهم سكان جبال اللاذقية.

5 ـ وفي حروب "الظاهر" نزح قسم من المحارزة وخاصة الذين كانوا في الجيش وسكنوا سورية.

ويقال: إن المقدم معروف المدفون في حلب، وسليمان الجاموس المدفون بترسوس والشيخ محمد البيادري فاتح بترسوس هم من المحارزة.

6 ـ إن أهم عامل في هجرة المحارزة من مصر إلى سورية هو سقوط الخلافة الفاطمية على يد صلاح الدين الأيوبي سنة 568هـ 1171م، وانتقال الخلافة إلى العباسيين، وإبدال كل شعارات الفاطميين، وملاحقة أنصارهم ومؤيديهم، والتضييق عليهم وفي طليعتهم المحارزة.

وعلى هذا فإن انتقال المحارزة إلى سورية من مصر تم على خمس موجات من المهاجرة.

***

---

[1] موضع في سورية الشمالية بين منبج وأنطاكية على نهر قويق وتعتبر هذه المعركة بدء استيلاء الأتراك على سورية والبلاد العربية 1516م.

في سورية اصطدم المحارزة مع الإسماعيليين النزاريين، وحصل نزاع وصراع على الاستئثار بالقلاع الحصينة في سورية كمصياف والقدموس والعليقة والمنيقة، والخوابي وكانت هذه المعاقل تنتقل بين الطرفين بين الحين والحين.

في سنة 1000هـ هاجم الإسماعيليون المحارزة في قلعة القدموس وانتزعوها منهم بعد معارك دامية واستولوا على السيف الأثري الذي كان يحتفظ به زعيم المحارزة وهو ـ على ما يقال ـ سيف الإمام الحسين الشهيد جد المحارزة، كما استولوا على كتاب نسبهم الهاشمي الفاطمي[1].

واصطدام المحارزة بالإسماعيليين في سورية في ذلك العهد يعود للأسباب التالية:

1 ـ واقع الجوار: فقد علمنا أن بعض المحارزة نزلوا بجهات مصياف وامتدوا حتى المعرة وأن بعضهم الآخر نزلوا جرد جبلة (بقايا الحملة التي جاءت لمؤازرة الأمير حسن المكزون).

2 ـ ونعلم أن الإسماعيليين كانوا ينزلون الجبال والقلاع الواقعة بين مصياف شرقاً ومشارف جبال اللاذقية غرباً المطلة على الشريط الساحلي وهم بذلك مجاورون للمحارزة.

[1] راجع الفقرة الأخيرة من وثيقة النسب رقم 3.

3 ــ إن الإسماعيليين والمحارزة كانوا دعامة الحكم الفاطمي ودعاته، ولكن لما انقسم الإسماعيليون بعد الخليفة المستنصر إلى نزاريين ومستعليين ظل المحارزة على ولائهم السياسي للمستعليين في حين ناصب النزاريون المستعلي وأتباعه ومؤيديه وسلالته العداء، لأنهم يعتقدون أن الإمامة الحقة هي تراث شرعي لنزار بن المستنصر، وليست للمستعلي، وأنها ـ أي الإمامة ـ اغتصبت بواسطة الوزير الأفضل الذي زوج المستعلي أخته ليكون شريكاً ومسيطراً على الخلافة الفاطمية في مصر.

وبلغ من عداء النزاريين للمستعليين أنهم اغتالوا الآمر بأحكام الله بن المستعلي الخليفة الفاطمي العاشر، وهذا العداء امتد حتى شمل كل أتباع الخلفاء الفاطميين بعد المستنصر وفيهم المحارزة.

وظل المحارزة حتى عهد العاضد بالله 1171م آخر الخلفاء الفاطميين على ولائهم السياسي للخلافة الفاطمية، حتى قضى عليها صلاح الدين الأيوبي.

3 ـ إن المحارزة وإن كانوا ينحدرون من أعقاب جعفر بن محمد الصادق، وظلوا على ولائهم السياسي لسلالة إسماعيل

بن جعفر من الخلفاء الفاطميين، فإنهم كانوا مذهبياً يقولون بإمامة عمهم موسى الكاظم وأعقابه خلافاً للإسماعيليين.

وعلى هذا، فقد كان هناك اتفاق واختلاف بين الإسماعيليين والمحارزة.

1 ــ اتفقوا على الدعوة لآل فاطمة، وتدعيم أمرهم، وتوطيد أركان خلافتهم.

2 ـ اختلفوا.

1 ــ إن الإسماعيليين يدعمون الخلافة الفاطمية مذهبياً وسياسياً.

أما المحارزة فيدعمونها سياسياً لا مذهبياً، لأن المحارزة ظلوا على مذهب موسى الكاظم وأعقابه.

2 ــ انفصل الإسماعيليون عن الخلافة الفاطمية بعد المستنصر، أما المحارزة فظلوا على الموالاة السياسية حتى آخر عهد الخلافة الفاطمية.

3 ـ ارتباط المحارزة بالفاطميين ارتباط نسب وسياسة، أما ارتباط الإسماعيليين فارتباط موالاة وسياسة، ... ومغالاة أحياناً.

4 ـــ طارد أنصار المستعلي الإسماعيليين النزاريين، وطردوهم إلى سورية والعراق وإيران فنظمهم الثوري الكبير حسن الصباح، وجعل منهم قوة بطش ورعب لأعدائهم[1].

وطارد صلاح الدين الأيوبي ومن جاء بعده أنصار الفاطميين في مصر وفيهم المحارزة فهاجروا أيضاً إلى سورية.

وهنا التقى الإسماعيليون والمحارزة مرة أخرى، ولكن لا ليقيموا خلافة ويدعموا عرشاً، بل ليعيشوا متنابذين متدابرين، وعمل الحاكمون على إذكاء نار العداوة بينهم تحقيقاً لأغراض الحكم، وإضعاف الفئتين فتم لهم ذلك.



[1] الحسن بن الصباح (5180هـ/ 1124م) داع فاطمي عارض أنصار المستعلين بن المستنصر وأيد أتباع أخيه نزار. وهرب بنزار من القاهرة إلى الإسكندرية، وقام بثورة هناك ففشلت وقتل أثناءها نزار ففر الحسن بن الصباح إلى إيران حيث أنشأ نظام وحكم الإسماعيليين النزاريين وجعل مقره قلعة "الموت" شمال بحر قزوين وخلفه على زعامة الإسماعيليين النزاريين سنان راشد الدين (588هـ/1192م) المولود بالبصرة والذي جاء من إيران إلى سورية 1162م ممثلاً لشيخ قلعة "الموت" واستوطن قلعة مصياف، واستولى على مجموعة من القلاع في الجبال الغربية. وأسس نظام الفدائيين. وحاول صلاح الدين الأيوبي إخضاعه لأمره ولكنه عجز عن ذلك واستطاع فدائيو راشد الدين أن يهددوا صلاح الدين في مأمنه. وأخيراً تصالحا واتفقا على النضال ضد الصليبيين.

وانشطر المحارزة إلى فرعين:

البشارغة: نسبة إلى قرية بشراغي الكائنة في جبال مدينة جبلة[1].

والعراجنة: نسبة إلى أحد أجدادهم الشيخ محمد الأعرج.

ويلتقي الفرعان بـ حامد الكيمه الذي ناضل ضد الصيبيين ردحاً من الزمن.

[1] وتوجد مزرعة في ناحية القدموس تدعى "بشراغي" أيضاً.

وحررت النسخة هذه بقلم محمود علي اسماعيل في قرية الرتيب [illegible] وكان الفراغ من نساخته في غرة شعبان

المكرم في سنة ١٣٠٨ الف وثلاثمائة وثمانية هجرية ، وقد نقلته عن كتاب من كتب الشيخ صالح

العلي [illegible] وان الذي نقلنا عنه ذكر انه نقل عن خط الشيخ سلمان [illegible] وذكر انه نقل عن ذلك

[illegible] انه وصل له منقولاً عن خط السيد [illegible] والله اعلم . وهذا النسب [illegible] ونقلنا

من خط الشيخ سلمان الرتيب : محمود ابن علي بن اسماعيل بن الشيخ محمد ابن الشيخ ابراهيم ابن الشيخ علي بن

الشيخ رمضان [illegible] ابن الشيخ شعبان ابن الشيخ محمود [illegible] ابن الشيخ خليل ابن الشيخ محمود ابن الشيخ علي ابن

الشيخ [illegible] ابن الشيخ علي ابن محمد [illegible] ابن الشيخ محمود ابن الشيخ [illegible] ابن الشيخ حامد [illegible] ابن الشيخ

[illegible] ابن الشيخ يعقوب ابن الشيخ [illegible] ابن الامير فضل الدين [illegible]

الامير [illegible] ابن الامير خليل ابن الامير [illegible] حاكم [illegible] ابن الامير محمد [illegible] حاكم حماه

[illegible] ابن الامير منصور ابن الامير [illegible] ابن الامير محمد ابن الامير ابراهيم

حاكم صيدا [illegible] سلطان [illegible] الناصر [illegible] تاج الدين [illegible]

[illegible] ابن الامير عبد العزيز [illegible]

[illegible] ابن الامير محمد [illegible]

الرسالة المصرية [illegible]

نقلنا هذا النسب من خط الشيخ سلمان الرتيب وذكر انه نقله [illegible] الشيخ ابراهيم [illegible] وذكر

[illegible] الشيخ محمد [illegible] الرسالة المصرية [illegible] الشيخ محمد [illegible]

في قرية [illegible] الرسالة [illegible] الشيخ ابراهيم [illegible]

[illegible]

الوثيقة رقم ٣

( ) الشيخ حامد [illegible] من اعمال [illegible]

الوثيقة رقم ٤

بسم الله الرحمن الرحيم قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم
يولد ولم يكن له كفواً أحد سبحان من ليس له حد بنا [illegible] ولا
صفة تضرب به الأمثال وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد
أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الأنبياء وا
لمرسلين وآلهم وأصحابهم وبارك وسلم تسليماً ولله تعظيم
سليم الفقير لله تعالى أسير الذنوب وكثير العيوب الراجي
عفوا من قال يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم عبده
الدرويش يحيى حسن الخطيب إبراهيم ابن الشيخ يوسف الخطيب
المأذون ابن المختار ابن الشيخ نصر [illegible] الشيخ حرفوش

ابن الشيخ محمد الأعرج ابن الشيخ شعبان ابن الشيخ شاكر
ابن الشيخ حسن ابن الشيخ محمد ابن الشيخ سلامه ابن
الشيخ اصف ابن الشيخ موسى ابن الشيخ حامد ابن الشيخ
صالح ابن الشيخ يعقوب ابن الشيخ حيدر الفهري
ابن الشيخ بدر الغفير الأمير ندري صاحب قلعة الخوابي
ابن الشيخ شاكر ابن الشيخ فضل الدين في تلا ابن الأ
مير محمد في مصياف ابن الأمير خليل ابن الأمير
فضل الدين حاكم في مصياف ابن الامير محمد الأ
درعي حاكم في حماه ابن الدين الأ درعي حاكم في
المينقه ابن الأمير منصور ابن الأمير ناصر الدين
الأدرعي ابن الأمير محمد ابن الأمير ابراهيم حاكم
الصيدا والرملي ابن الأمير محمد الغوري في مصر ابن سراج
الدين المحرزي ابن تاج الدين المحرزي ابن الأمير
الأمير عبد الله المحرزي في سوق ...
مود الأسود ابن الأمير محمد ابن الأمير محرز الحبشي
ابن الأمير محمد ابن مقاتل القطيعي ابن محمد ابن يوسف ابن

من دراسة الوثيقتين 3و4 نلاحظ ما يلي:

1 ـ يبدأ نسب صالح العلي كما جاء بالوثيقة رقم 3 من محمد بن إبراهيم، فيكون صالح بن علي بن سلمان بن محمد بن إبراهيم... إلخ.

2 ـ يلتقي فرعا المحارزة ـ البشارغة والعراجنة ـ بالشيخ حامد بن صالح الكيمة الذي ناضل طوال سبع سنوات ضد الصليبيين، وتقع قرية الكيمة شمال شرقي بلدة صافيتا، وفيها بقايا آثار قلعة قديمة[1].

3 ـ ورد في الوثيقة رقم 3 ما يلي:

الأمير محمد بن الأمير محرز الجيشي، بن الأمير محمد معز الدولة، بن الأمير محمد بن مقاتل القطيعي، ولم يرد اسم المعز لدين الله الجد الأعلى للمحارزة.

4 ـ ورد في الوثيقة رقم 4 ما يلي:

الأمير محمد بن الأمير محرز الجيشي، بن الأمير محمد بن مقاتل القطيعي، ولم يرد ذكر معز الدولة، ولا المعز لدين الله.

---

[1] وتوجد قرية أخرى بهذا الاسم في منطقة تلكلخ وتقع على مسافة 5 كم شمال شرقي قلعة الحصن المشهورة.

5 ـ الوثيقة رقم 3 تقف عند محمد بن مقاتل القطيعي بينما الوثيقة رقم 4 تتابع سرد الأسماء فتورد اسم محمد بن مقاتل القطيعي، بن محمد بن يوسف بن محمد، وهذا بالطبع استمرار لنسب محمد بن مقاتل.

6 ـ ورد في الوثيقة رقم 3 اسم قرية "بشراغي".. وهناك قريتان معروفتان بهذا الاسم، أولاهما تقع في جبال بلدة جبلة، والثانية مزرعة صغيرة، وتقع في ناحية بلدة القدموس، وفي جبلها المعروف بالقطبون يقع ضريح الشيخ محمد القطبون أحد أجداد البشارغة.

7 ـ ورد في الوثيقتين باب "أبي الفتوح"، وتاريخ القاهرة يدعوه "باب الفتوح" وهو أحد الأبواب الثمانية في سور القاهرة الذي أحاط به جوهر الصقلي مدينة القاهرة.

8 ـ تذكر الوثيقة رقم 4 أن الشيخ بدر الغفير بالأندروسي، هو صاحب قلعة "الخوابي" ولا تشير الوثيقة رقم 3 إلى هذا.

هذا، وهناك ما يلفت أنظارنا كمؤرخين:

1 ـ إن اسم معز الدولة لم يرد بين أسماء الخلفاء الفاطميين في التاريخ العام، وإنما ورد اسم المعز لدين الله ثم ابنه العزيز بالله.

2 ـ يظهر أن هناك التباساً بين محمد معز الدولة، وبين المعز لدين الله في الوثيقتين.

3 ـ في وثيقة ذكر أنها منقولة عن خط الشيخ إبراهيم السواح الخطيب المؤذن، ورد ما يلي[1]:

"الأمير محرز الجيشي، بن الأمير محمد، بن المعز لدين الله الفاطمي".

وهذا النص يزيل كل التباس فالمعز لدين الله الفاطمي له ولدان أحدهما العزيز بالله وهو الذي تولى الخلافة بعد أبيه كما يشير التاريخ العام، وثانيهما: محمد، أو محمد معز الدولة ولكنه لم يل الخلافة.

4 ـ ربما كان محمد معز الدولة هو العزيز بالله واتخذ هذا اللقب بعد الخلافة، وفق "التقليد" المتبع في أسماء الخلفاء الفاطميين.

كما أن هذه الوثيقة لم تلحق محمد بن مقاتل القطيعي في النسب الطبيعي للمحارزة وهذا هو الصواب.

---

[1] والوثيقة رقم 4 المثبتة هنا هي أيضاً بخط الشيخ إبراهيم السواح الخطيب المؤذن.

5 ـ في الوثيقتين 3 و4 ورد اسم محمد بن مقاتل القطيعي في النسب المحرزي، وفي الحقيقة أنه لا يمت بصلة طبيعية للنسب المحرزي، وإنما هو أب روحي لمحمد معز الدولة، تلقى عنه السلوك الصوفي، كما أشير إلى ذلك في هامش الوثيقة رقم 3.

6 ـ سقط بعض الأسماء من الوثيقة رقم 4 عند تصويرها، فرجعنا إلى الوثيقة المنقولة عن خط إبراهيم السواح الخطيب المؤذن، فتم التصحيح على هذه الصورة.

تاج الدين المحرزي بن الأمير "يوسف في حارة أبي البرص، في البرج[1]، بن الأمير محمد صاحب قلعة العليقة، بن عماد الدين العلقمي" في باب "أبي الفتوح" في مصر بن الأمير عبد الله المحرزي...إلخ.

6 ـ لم يرد في الوثيقة رقم 3 اسم "الأمير يوسف في حارة أبي البرص في البرج بن الأمير محمد صاحب قلعة العليقة" وإنما ورد "تاج الدين المحرزي بن عماد الدين العلقمي". وأهملت اسمي الأمير يوسف في حارة أبو البرص، والأمير محمد صاحب قلعة العليقة.

***

---

[1] ورد اسم الأمير يوسف في حارة أبي البرص في بعض النسخ ولم يرد في البعض الآخر.

ومن دراسة هذه الوثائق، وتتبع المصادر التاريخية يتضح أن صالح العلي ينحدر من أعرق وأشرف السلالات العربية، وهم بنو هاشم، ومن نسل فاطمة الزهراء بنت الرسول (ص)، وأن بعض هذه السلالة هاجر إلى أفريقيا وأنشؤوا الدولة الفاطمية في مصر، تلك الدولة التي مثلت دوراً مجيداً في تاريخ العروبة والإسلام، بما حققته من الفتوح، والدفاع، والعلوم والفنون والآداب.

والمرء ـ كما يقرر العلم ـ وليد الوراثة والبيئة والظروف، وقد يمر معنا شيء عن بيئة صالح العلي، وظروفه، كما وضحت لنا وراثته، وعلى هذا فغير مستغرب ما قام به من جليل الأعمال.

***

الثورة

إذا رأيت اضطراب البحر، تموجه، جيشانه، سمعت صخب أمواجه ثرثرتها، هديرها، شاهدت ارتطامها بصخور الشاطئ، ورغرغان زبدها وغمغمتها.

إذا بصرت بالعاصفة تقتلع الأشجار، تكتسح الغابة، تنسف الأكواخ، تحطم أجنحة الطيور.

إذا شاهدت الزوبعة تعصف بالهشيم ترتفع به، تثير الغبار، تسدل على وجه الشمس قناعاً كثيفاً مظلماً.

إذا تسنت لك رؤية البركان يشهق باللهب، يزفر بالحمم، يتنهد النار والشرر والدخان، يقذف الموت والدمار.

إذا بصرت بالشعب يجتاح الحدود، يسد المنافذ والمخارم، يزلزل العروش، يطيح بالظالمين، بالجلادين، بمحتكري الأقوات، بماصي الخيرات والدماء والعرق، بمغتالي الحريات،

بدائسي الكرامات يقرع الجبروت بالجبروت، يعصف بالطغيان والطغاة.

إذا رأيت، بصرت، سمعت بهذا، فهي... الثورة.

ثورة الطبيعة.

وثورة الإنسان.

الأولى: تهيئها وتثيرها عوامل طبيعية ظالمة، غاشمة غير واعية، لا هدف لها، ولا غاية. وهي لذلك معفاة من المثوبة والعقاب.

والثانية: يهيئها الإنسان، ويخلق ظروفها ومناخها، وعواملها، يفجرها غضباً، وحقداً، ولهباً، وحديداً، ودماء، على الظلم على الكبت. على الحرمان، على التخلف، على... الجوع والجهل والمرض.

إنها تختلف عن ثورة الطبيعة بأن لها إرادة ومنطلقاً، ووسيلة، وهدفاً وغاية، وظروفاً، زمانية ومكانية، ومثوبة وعقوبة.

إنها ذات جذور نفسية واجتماعية، وبواعث سياسية واقتصادية، ومع كل هذا فهناك مشاركة بين ثورة الطبيعة، وثورة الإنسان، كلاهما تنطلق من عامل طبيعي، وكلاهما

تحدث التغيير والتبديل، لكن الأولى غير واعية لما تغيره، بينما الثانية واعية مخططه مدركة لما ستحققه من التغيير.

وهـذا يعـني بوضـوح التفريـق علميـاً بـين آليـة الحركـة الطبيعية، وإرادية الحركة الاجتماعية.

إن مـن طبيعـة الحـي ــ كـل حـي ــ أن يثـور علـى واقعـه، متحركـاً باتجـاه الأسمـى والأفـضل، وفـق نـاموس التطـور، وحركة الحياة.

وحركة التطور التاريخي الاجتماعي تسير بحتمية نوعين من القوانين:

1 ـ قوانين عامة تخضع لها مختلف المجتمعات البشرية.

2 ــ قـوانين خاصـة تكتـسب وجودهـا وفاعليتهـا وقـوة الـصيرورة فيهـا مـن خـصائص مجتمـع معـين، في بيئـة معينـة، بعوامـل قـد تتـشابه في الـشكل، أو تختلـف مـع أمثالهـا في مجتمعات أخرى.

وسواء اختلفت أو تشابهت، فكلها محكومة بقوة هذه القوانين وخاضعة لحتميتها.

وهذا هو جدل الإنسان مع الطبيعة.

قد يثور الإنسان، الشعب، الأمة، مدفوعاً بكل عوامل الثورة، أو بعضها، وقد يتوقف نجاح الثورة ــ أية ثورة ــ على

عمقها، سعتها، رسوخ بواعثها، تهيئة مناخها، ظروفها الموضوعية، مضافاً إلى كل هذا التصميم والإرادة على التغيير.. هدف الثورة.

والتفكير ـ مجرد التفكير ـ بتغيير الواقع يعتبر مرحلة أولى من مراحل الثورة ـ مرحلة النزوع ـ إلى الثورة. وإذا تجاوز الإنسان هذه المرحلة إلى مرحلة القول والنظرية وتقنين الحركة الاجتماعية، وفق منظور ثوري، ورصد اتجاهها، ونقد هذا الاتجاه، أو دفعه اعتبر ثائراً ثورة داخلية ـ داخل الذات ـ فإذا تجسدت ثورة الداخل ـ ثورة النفس والذات ـ على صعيد الواقع المادي، وتمت المطابقة بين النزوع والنظرية من جهة، وبين العمل والتحرك من جهة ثانية، كان التنفيذ.. وكانت الثورة.



ثورتا صالح العلي

لصالح العلي ثورتان

أولاهما: على الدولة التركية العثمانية.

والثانية: على الفرنسيين.

وقلما أعار المؤرخون الثورة الأولى أهمية، وقلما تطرقوا إلى بواعثها وأسبابها، وهي لا تقل عن الثانية أثراً وقيمة من حيث الدوافع والأسباب، والأهداف والغاية، وإن كانت الأخيرة أغنى بالأحداث، وأحفل بالحوادث، وأغزر بالدماء، وأطول بالزمن.

ولكن... لو استمر حكم الأتراك ضغطهم، تجنيهم، احتقارهم للعناصر العربية، واللغة العربية مدة أطول، لطال أمد ثورة صالح العلي ضدهم، واشتد بطشه بهم، ولقوا منه ما لقيه الفرنسيون.

هذا مع الفارق: إن الفرنسيين كانوا أكثر عتاداً، وأغزر عدداً، وأوسع اعتداداً، وأكبر اعتزازاً وجبروتاً وغطرسة.

كان الفرنسيون يوم ثار عليهم صالح العلي في أوج عظمتهم، وفي سكرة انتصارهم، وغمرة تبجحهم، وزهوهم، ونشوة شموخهم وخيلائهم، بينما كان الأتراك في حضيض انهيارهم وتقهقرهم، أمام الجيوش المتحالفة، إنهم في طور تهالكهم، وانحلال دولتهم، وتبدد قواهم.

إن بواعث الثورتين عند صالح العلي ومنطلقاتهما، تكاد تكون واحدة.

الأتراك يحاولون ـ فيما يحاولون ـ تتريك العناصر العربية، وإضعاف اللغة والثقافة العربية، وإحلال اللغة التركية محلها، لأسباب ودوافع استعمارية، وقومية عنصرية.

إنهم يحاولون القضاء على تراث العرب القومي والحضاري، وتجريدهم من مقوماتهم القومية والتاريخية، وخنق كل التطلعات الوطنية، وتطويق كل حركة قومية.

يقول أحد الولاة الأتراك:

إن المصلحة توجب علينا أن نكره السوريين على ترك أوطانهم، وإن بلاد العرب كلها يجب تحويلها إلى مستعمرات تركية، لأن النشئ العربي أخذ يشعر بالعصبية القومية، وهذا

يهددنا، ويهدد مصالحنا بنكبة عظيمة، ويجب أن نحتاط من الآن[1].

والفرنسيون حاولوا ـ فيما حاولوا ـ سلب حرية الشعوب العربية، واستعبادها، وإذلال النفسية والكبرياء، والشموخ والتمرد العربي، وطمس كل الخصائص الحضارية، وبسط نفوذهم ولغتهم وثقافتهم عليهم.

ويقول جان فلورية:

إما أن نجلو عن الشرق، ونقطع بصورة نهائية تاريخنا في الشرق الذي يعود إلى أكثر من عشرة قرون (ويقصد الحروب الصليبية) ولكن يجب أن نعلم أننا إذا فقدنا سورية، نفقد بالتالي سمعتنا ونفوذنا حتى في أفريقيا الشمالية[2].

والمسالة في كلا الثورتين مسألة استعمار، وطبيعة استعمار، مسألة أمة ووطن، وحرية، وعبودية، وإذلال واستقلال.

النضال الذي بدأه العرب في حزب "اللامركزية"، و"الجمعية القحطانية"، و"المنتدى الأدبي"، وفي غيرها من

---

[1] معارك الحرية في سورية، ص27.

[2] المراحل ج1، ص3 لعبد الرحمن الكيالي.

المؤسسات السياسية والاجتماعية، كانت نذراً وإرهاصات باليقظة العربية، والتطلعات القومية والوطنية، وتعبيراً عما يختلج في صدورهم من الرغبات، ويعتلج في أعماقهم من الأماني، ويعتمل في نفوسهم من الآمال، ومن الحنين إلى الحرية والاستقلال بعد استعمار مقيت مارسه الأتراك العثمانيون على الأمة العربية طوال أربعة قرون.

وليست مشانق بيروت، وعالية، والمرجة، إلا جواب الأتراك على تحرك العرب في اتجاه الحرية، وطموحهم إلى الاستقلال.

ولم تكن ثورة الحسين بن علي وأبنائه في الحجاز إلا إيذاناً بيقظة العرب، وتصعيداً لما في صدورهم من الكبت والحقد، والضغينة على الأتراك، وجواباً عملياً على أعمال السفاح التركي جمال باشا، وانتقاماً لقوافل الشهداء الأبرياء الأبرار.

لم تكن اتفاقية ـ فيصل مكماهون ـ إلا سعياً ومحاولة لإنقاذ الأمة العربية من الجور والعسف اللذين يمارسهما عليها الأتراك العثمانيون.

وما كان تحرك صالح العلي في جبال اللاذقية، إلا حلقة في سلسلة التحرك العربي، حلقة متقدمة بدأها الحسين بن

علي، وأعقبها صالح العلي ضد العنجهية التركية وعنصريتهم المقيتة. ولكن ماذا لقي العرب؟؟

تحرروا من "التتريك" ليقعوا تحت نير "الوصاية والانتداب".

عندما كان الأتراك يختطفون الرجال العرب من زوجاتهم، وينتزعون شبابهم من أحضان أمهاتهم، ليقدموهم ضحايا رخيصة على مذابح أطماعهم، ليحاربوا عن مملكة "الرجل المريض". عن إمبراطورية "ظل الله في الأرض"، في الروسيا.. في مصر.. في كل الجبهات.

وعندما كانت المواد الغذائية في البلاد العربية، تصادر ويحرم منها الأطفال والنساء والشيوخ العجز، لتقدم للجنود الأتراك.

ويوم انخفضت قيمة الإنسان العربي، وأصبحت القيمة ـ كل قيمة ـ للرغيف، يبذل الإنسان في سبيل الحصول عليه، على بعضه، عرقه، دمه، شرفه، يكذب، يرائي، يداجي، يسرق، يقتل.. عند هذا الحد من الضغط والسحق نفذ الصبر العربي، وانفجرت براكين الحقد، وثار الحسين بن علي، وثار صالح العلي.

صالح العلي أول من استجاب في سورية الشمالية لنداء شريف مكة الثائر بالأتراك أملاً بالدولة العربية الواحدة، وحالماً بالراية العربية الواحدة.

وصالح العلي أول من أطلق الرصاص في وجه الفرنسيين بعد الأتراك.

والتحدي التركي، والعنصرية الطورانية، هما اللذان دفعا بالشريف حسين لمحالفة الحلفاء، والبحث عن الحليف والنصير ووضع الإمكانيات المادية والعسكرية والإستراتيجية، تحت تصرف الحلفاء، مستجيباً لنزعة التحرر، راغباً في الاستقلال، مدفوعاً بوعود الحلفاء الخادعة.

يا صاحب النصر في الهيجاء، كيف غدا

نصر المعارك يوم الروع خذلانا؟

ترى السياسة لوناً واحداً، ويرى

لها حليفك أشكالا، وألوانا

أكرمت قدرك عن عتب هممت به

لو شئت أوسعته عداً وتبيانا[1]

---

[1] بدوي الجبل.

ولماذا العتب؟؟ وليس الشريف حسين الضحية الأولى ولا الأخيرة على مسرح الكذب البريطاني!! ولماذا تعداد الأخطاء؟؟ وابن الصحراء لا يدرك الكلمات التي تحمل شتى المعاني، وتقبل كل ألوان التفسير التي يحفل بها قاموس السياسة الإنكليزية!!

هل لابن الرمال والبادية، الواضح كلألاء شمس الصحراء، النقي كضمائر أبنائها، الملتهب حمية وصدقاً ووفاء كهجير رمالها، أن يفهم ألاعيب السياسة، ويدرك أحابيلها وعقابيلها؟؟

نحن لا نفهم السياسة ألغازاً ولا ندرك الصريح المعقد!!

***

ثورة صالح العلي
المناخات والوسائل

ثورة صالح العلي توفرت لها كل المناخات النفسية، ولكن لم تتوفر لها الوسائل العلمية، والأسباب الاقتصادية وعوامل الاستمرار.

كان الفعل عند جماهيرها منطلقاً من العاطفة، ولم يكن منبعثاً من العقل.

كان العمل في التطبيق أسبق من وضع النظرية والتخطيط.

ومن هذا البعد ــ بعد المسافة بين التطبيق العملي والتخطيط النظري ـ حدث التعثر وتفجرت التناقضات، ومن خلال التناقضات، تسربت الانهزامية إلى النفوس، والرجعية إلى المجتمع.

وإذا استنطقنا تاريخ الماضي، واستقرأناه، كحركة للإنسان نحو الأفضل والأسمى، فإننا نجد هذه الحركة ـ وإن تباعدت في الزمان، وتوزعت في المكان، واختلفت في الوسائل، والأسباب، والظروف الموضوعية فهي تتلاقى وتتقارب وتتشابه في طبيعتها.

إنها حركة نحو الأفضل، والعامل هو الإنسان، والهدف تغيير الواقع ـ الواقع النفسي والاجتماعي ـ ولهذا قيل: التاريخ يعيد نفسه.

وعلى ما في هذه المقولة من صحة وواقعية من حيث تشابه حوادث التاريخ، وحركة المجتمعات، عبر تحرك الإنسان، ومسيرة الأحداث والتاريخ. فإننا لا نؤمن إيماناً مطلقاً بأن التاريخ يعيد نفسه في أحداثه وحوادثه إعادة تتلاقى وتتوافق فيها حوادثه اللاحقة بالسابقة، مستوفية كل الشروط. والظروف الموضوعية، ولا بدّ من اختلاف وجوه التشابه في الشكل وإن كان المنطلق والمضمون والهدف واحداً.

وإذا أردنا أن نعين المناخ العام في ثورة صالح العلي، فلا نجد صعوبة في إيجاد المشابهة ـ كثير من المشابهة لا كلها ـ بين مناخها النفسي والاجتماعي والاقتصادي وبين الكثير من حوادث التاريخ العام.

ولا نـذهبن بالقـارئ العربـي لدراسـة العـوالم النفـسية والاجتماعيـة في الثـورات الكـبرى، في العـصور القديمـة، أو الوسـيطة، أو الحديثـة، كـالثورة الفرنـسية، أو الثـورة الاشـتراكية، وغيرهمـا. لأن العقـل والتخطـيط العلمـي كانـا يعمـلان ويخططـان وينـسقان لتلـك الثـورات ويـستخدمان كـل وسيلة علمية ونفسية، واجتماعية معروفة يومذاك.

ولعل العامل النفسي كان من أهـم وأبـرز العوامـل في ثـورة صالح العلي، ترفده العاطفة (القومية والوطنية والدينية).

لعلها أقرب إلى الثورة الطبيعية العفوية، اللاواعية.

إنها صحيحة المنطلق، نبيلة الغاية، سامية الهدف، ولكن بين المنطلق والغاية جاء النقص في الوسيلة.

لم يـدرس صـالح العلـي اشـتراكية روبـرت أويـن، ولا آراء سان سيمون، ولا جدلية هيجـل، ومـاركس، لينطلـق في ثورتـه مـن مـذهب اقتـصادي، ونظـام اجتمـاعي معـين، يـستهدف تحقيقه، ويخطط له، ويعمل لأجله، وإنما انطلق بثورته متـأثراً بأربعة عوامل:

1 ــ تـأثره بمـساواة الإسـلام وعدالتـه الاجتماعيـة اللـتين تجسدتا وتحققتا بأشخاصه الأوائل. تلك المساواة وتلك العدالـة اللتـان كانتـا سـبيل الإسـلام إلى الأمـم والـشعوب المـضطهدة،

كما كانتا رسالته إلى المجتمع العربي الموزع إلى طبقات اجتماعية، في الدرجة، والمعيشة، ووسائل الحياة. ومن العالم العربي انطلقتا إلى العالمين: الفارسي، والبيزنطي المقسمين إلى مجتمع متعدد الطبقات والدرجات.

وأبرز الأشخاص الذين تأثر بسيرتهم صالح العلي هو الرسول الأعظم محمد بن عبد الله رسول المساواة والعدالة، الاشتراكي الأول في العالم القائل: لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، الناس سواسية، كلكم لآدم وآدم من تراب.

وعلي بن أبي طالب إمام الاشتراكيين بعد محمد (ص) القائل: ما سمن غني إلا بما جاع به فقير.

وأبو ذر الغفاري القائل: عجبت ممن لا يجد في بيته قوت يومه، ولا يخرج على الناس شاهراً سيفه.

أبو ذر الذي أنكر على الخليفة عثمان، وعلى أقربائه الأمويين ترفهم وبذخهم، واعتبر ذلك خروجاً على روح الإسلام وابتعاداً عن عدالته ومساواته فنفاه إلى دمشق، وعليها قريبه معاوية بن أبي سفيان، ولكن حظ معاوية من أبي ذر لم يكن بأحسن من حظ قريبه الخليفة عثمان بن عفان، من حيث التشنيع على أعماله، والتشهير به وبإسرافه، فرده إلى عثمان، وهذا بدوره نفاه إلى "الربذة" نفي الأبد.

هذه الأفكار، والحركات المبكرة في تاريخ الإسلام، هي الجذور الأولى التي ارتبط بها فكر صالح العلي، وتدله بها عقله، وأترف بها وجدانه، ولونت أحاسيسه، وكانت الرافد الأول الذي متح منه فكره وتجسد عملاً في حياته وسلوكه. ولقد كان صالح العلي من أقدر الرجال في فهم التاريخ، وخاصة التاريخ الإسلامي، وأوسعهم باعاً واطلاعاً على حوادثه، وأحداثه، ومعرفة أشخاصه.

2 ـ رد فعل السياسة العثمانية في نفسه، كإنسان عربي يعي تاريخ أمته، وممارستها لسياسة الإذلال والإفقار والتتريك والاضطهاد ضد العناصر العربية، والثقافة واللغة العربية.

3 ــ الوضع الاجتماعي الطبقي يومذاك في العلويين، والذي كان يتجلى في طبقات أربع:

آ ـ طبقة الزعماء الإقطاعيين مالكي الأرض ومستغليها، والضالعين مع سياسة الدولة ويشكلون 10٪.

ب ــ طبقة الزعماء الروحيين الضالعين مع الإقطاع والمؤتمرين بأمره ويشكلون 20٪.

جـ ـ طبقة العاطلين عن العمل ويشكلون 30٪.

د ـ طبقة الفلاحين العاملين الذين يعملون أجراء في أملاك الإقطاعيين ويشكلون 40٪.

وهذه الفئة العاملة التي تشكل 40٪ وهي وحدها المنتجة، وعليها أن تجد وتجتهد، وتكدح وتنصب، وتبذل العرق، والدمع والدم، في أطيان الملاكين وبساتينهم وحقولهم، لتمول وتمون، وتمير الفئات الثلاث التي لا تعمل. مع العلم أن وسائل الإنتاج وأدواته الموضوعة بين يدي هذه الفئة هي وسائل بدائية جداً.

4 ـ ذلك الحصار الاجتماعي العام المضروب على سكان الجبال الغربية ـ إلا زعماءهم ـ ذلك الحصار الرهيب الذي يحول دون اتصالهم بالحياة السياسية، ويحرمهم من المشاركة في التحرك الاجتماعي، هذا الحصار الذي فرض عليهم عزلة واغتراباً مريرين. وأغرقهم بصوفية حادة، فأناخ عليهم الفقر، وعضهم الجوع، واستوطن أجسادهم المرض، وعاشوا منبوذين يحلمون بعالم غني بالتصور والتوقع، تعويضاً عن حرمانهم من متع ونعم الواقع، ويتطلعون إلى القائد... المنقذ.

ومن الفقر والجوع،والجهل والمرض الناجمة عن التدهور الاقتصادي، أو التي نجم عنها التدهور الاقتصادي تشكل العامل النفسي الحاقد، الناقم، المتربص، وأخيراً... الثائر.

ومعلوم تاريخياً أن النفس المسحوقة المحروقة، والشعب المضطهد المكبل المكبوت يتطلع دائماً إلى "المنقذ" وحيثما لاح

ظل هذا "المنقذ" تجمعت هذه القوى المحرومة الشتيتة حوله، وهرعت إليه، وانضوت تحت لوائه، وألقت إليه بأمر قيادتها.

وصالح العلي ثائر على الأتراك.. على الفرنسيين.. على الإقطاعيين: ـ الماديين والروحيين ـ فمن الطبيعي أن تتقبل الجماهير المسحوقة دعوته، وتستجيب لداعيه، وتلتف حوله، وهذه نظرية صادقة في الحياة، وظاهرة متميزة في التاريخ.

ونظرة إلى الجزيرة العربية قبل الإسلام، نجد حالة مشابهة بين ما كان عليه الشعب في الجبال الغربية من سورية، وفي الريف السوري بشكل عام عند نشوب ثورة صالح العلي من حيث التوضع الاجتماعي وبين ما كانت عليه القبائل العربية قبل دعوة محمد، أو ثورة محمد (ص).

1 ـ كان العرب في جزيرتهم محاطين من الشمال والجنوب والشرق بأعدائهم، من الروم والأحباش والفرس، ومحصورين بتلك الرمال القاحلة الجدباء، الملتهبة الملظاة، وكلما أرادوا أن يتبسطوا، ويتمددوا على مشارف جزيرتهم طلباً للرزق، وخروجاً من الحصار، دفعهم أعداؤهم إلى قلب الجزيرة، حيث لا توجد وسائل الحياة، ولا تتوفر أسباب العيش.

وعبر الأجيال واستمرار توالي الدفع والحصار، تمكن في نفوس العرب عامل التطلع والتشوف والأمل، وترقب "المنقذ" الذي ينصف ظلامتهم، ويعمل على التغيير... تغيير أوضاعهم العامة.

2 ـ كان في كل قبيلة من قبائل الجزيرة العربية نوع من الإقطاع المادي كرؤساء القبائل، أو الأمراء أو الملوك ونوع من الإقطاع الروحي كالكهنة والعراف والمنجمين، وهؤلاء، وأولئك يستثمرون جهد القبيلة، ويتميزون بالمركز والجاه والمقام، ويستمتعون بالخيرات والرفاه.

ونما حقد الإنسان العربي على مضطهديه، وتطلع لهيفاً إلى "المنقذ" وكثر المبشرون به والداعون إليه.

وجاء محمد بن عبد الله (ص) تحقيقاً لرغبات الطبقة الكادحة الفقيرة المستغلة المسحوقة، وتعبيراً عن تلك التطلعات اللهيفة المكبوتة المترقبة.

كان محمد (ص) يجسد لهف وتطلع النفسية المهزومة المقهورة.

كان يمثل الشوق العارم في النفس العربية إلى الانعتاق والحرية والانطلاق.

كان كل ما في النفس العربية من المثل والإرادة، وتحقيق الذات.

كان كل ما في التصور العربي من قيم وتحرر واستقلال وحياة كريمة. وحمل "المنقذ" الجديد إلى العرب البشائر، والتشريع والأمل، والحياة المنظمة، فرداً، وأسرة ومجموعاً، ودفع بهم في سبيل الثورة، دفع بهم لتغيير واقعهم المرير.

وعمل محمد (ص) على جبهتين: داخلية وخارجية.

يكافح الملوك والأمراء، والكهنة والشيوخ، في القبائل العربية، ويتربص به الروم والفرس، والأحباش على مشارف الجزيرة، وتخوم الرمال والبوادي.

وبدأ بقريش على الجبهة الداخلية، وفيما بنو عبد شمس، وفي صدورهم براكين الحقد الدفين على أبناء عمهم الهاشميين.

ومن استجاب لمحمد؟؟

لقد استجاب له الحفاة، والعراة والجياع، المسحوقين في القبائل، فشكل منهم نواة الدعوة، والشرارة الأولى للثورة، ووقف يناوئه ويدافعه المترفون، المنعمون، الهانئون، ذوو الامتيازات والجاه، والمال والمناصب.

وفـازت الثـورة علـى النطـاق العربـي، وإلى جانـب الفـوز المـادي، أحـدثت تغـييراً في النفـسية العربيـة، وزودتهـا بتطلعـات جديـدة، وطمـوح جديـد لهيـف، تجـاوز واقعهـا الحاضـر، إلى متوقع مـأمول.

والـنفس المكبوتـة المحرومـة الـسجينة في كـل زمـان ومكـان، لا تكتفي بالحرية والانطـلاق، وتغيير الواقـع، بل لا بد لها من الصبوة إلى السيطرة، والتحكم، تعويضاً عمـا لحق بها، ومورس عليها من ألوان المذلة وضروب الامتهان.

ووضع محمد ضوابط أخلاقية، وأطراً تنظيمية، وكوابح من العقاب للنفس البشرية تقف بها عند حدود... الإنسان.

وإذا كان الفارق بعيـداً وكبيراً بـين الأشـخاص، وطبيعـة الـدعوة، بـين رسـالة محمـد، وبـين حركـة الثـائرين ــ كـل الثائرين ـ في التـاريخ، ومنهم صـالح العلـي، فـإن ظـروف الثـورة الموضوعية في كل زمان ومكـان تتشابه وتتقارب.

فـالظلم، والإرهـاق، والحرمـان، والكبـت؛ والعبوديـة؛ والتفـاوت الطبقـي، في المعـاش والمقـام، كلـها أسـباب داعيـة للثورة، موجبة لها؛ وحتمية في كل جيل وقبيل.

وهذه الأسباب والعوامل كلها توفرت لثورة صالح العلي.

1 ــ التف حوله المضطهدون، المنبوذون، المحرومون، فشكل منهم بنيان الثورة.

2 ــ حارب على الجبهة الداخلية الزعماء الإقطاعيين، مادة، وروحاً، وفكراً وعقلية. ظالمي الشعب ماصي دمائه، محتكري خيراته، وهؤلاء ضالعون مع الاستعمار ـ أي استعمار ـ سواء التركي، أو الفرنسي، أو غيرهما، لأن بقاءهم واستمرارهم، مرهونان ببقاء المستعمرين، هذه الفئة تحمل دائماً وأبداً شارة واضحة كتب عليها "ضمير برسم الإيجار".

3 ــ وحارب على الجبهة الخارجية الأتراك أولاً، والفرنسيين ثانياً، واستطاع أن يحدث تغيراً ملموساً في النظام الاجتماعي.

واستطاع أن يوحد بين ميول، وأهواء ونزعات الطبقة المسحوقة، ويصبغ عليها طابعاً أخلاقياً، وينحو بها منحى قومياً ووطنياً، .... إنسانياً فأعطى ثورته شخصية مستقلة، فتميزت بين الثورات الحديثة.

لقد تعدت ثورة صالح العلي النطاق السياسي، إلى المضمون الاجتماعي، والأخلاقي، فانكشف ــ على ضوء أخلاقيتها ـ خبيئ بعض النفوس المريضة، وتم لها تعرية بعض

الأفـراد والجماعـات المقنعـة، فرأينـا ورأى التـاريخ جماعـات وقيادات، وأفراداً، يقفون من هذه الثورة موقف العدو الحاقد، الحـانق، النـاقم المتربص... ورأينـا، ورأى التـاريخ فئـات وأفـراداً يحتضنون الثـورة، ويعيـشونها في أبعادهـا، ويعطونهـا أغلـى مـا لـديهم مـن مـال ونفـوس... وكـلا الفـريقين ـ النـاقم والناصـر ـ سـيدخلان التـاريخ، ولكـن مـن بـابين مخـتلفين، بـاب الأسـود الضيق، وباب النور الوضاء المذهب الخالد.

رأينـا، ورأى النـاس، واسـتوعب التـاريخ، بنيانـاً ينهـار أخلاقياً، ويقوم بنيان آخـر علـى الأخـلاق، والتضحية والإيثـار، والتـاريخ سيتسع لهـؤلاء وأولئـك، وفي التـاريخ صـفحات سـوداء داكنة، وفيه صفحات بيضاء عاطرة مشرقة.

الثـورة عمليـة استقـصاء، واسـتخلاص، واصـطفاء وتنقيـة واختبار، و... تغيير واقع نفسي، وذهني، ومعاشي.

ومنطـق الثـورة، منطـق هـدم وتعمـير، لا منطـق مراوغـة وتبرير.

ولـئن اسـتطاعت قـوى الـشر والعـدوان، وزمـر الغـدر والخيانـة، أن تطـوق ثـورة صـالح العلـي، وتـضعف زخمهـا، وتكـبح مـن تطلعـات ورغبـات جماهيرهـا ـ لعوامـل كـثيرة في طبيعة المرحلة ـ فإنها ـ على بعد العهد بها ـ ما زالت مستمرة في

توقدها، مستعرة في المشاعر والنفوس، تمد بزخمها وعطاءاتها كل الحركات الثورية في سورية والوطن العربي، لأن النزوع إلى الحرية، الذي زرعته في النفس العربية، لا يمكن أن تنطفي ناره، أو يخمد أجيجه وأواره، ولأن سنن التطور، ومنطق التاريخ والحياة لن تتغير، ولن تجد لسنة الله تبديلاً.



ثورة لينين، وثورة صالح العلي

1917 ـ 1918

جريدة الدفاع السورية العدد 81 تاريخ 18 نيسان 1920.

كنا نريد أن يقتنع معنا الجميع بأن البلشفية ليست سوى حالة اجتماعية محضة وداعيها ما في النظام الاجتماعي من الخلل، وما بين الطبقات من التفاوت، وما وصلت إليه الطبقة العاملة المسكينة من الذل والفاقة. فإذا اقتنع الجميع بصحة هذه القضية التي هي ـ في نظرنا ـ من الأوليات التي لا تحتاج إلى برهان، فعليهم أن يعرفوا أن البلشفية موجودة حقيقة في سورية، وإن كل ما سنسرده من الحوادث التي تدل على وجودها، يقع مثلها في كل بلاد توجد فيها مثل الأسباب التي أدت إلى هذه الحوادث.

لا يجهل أحد من قراء الصحف السورية في هذه الأيام، ما يأتيه صالح العلي من الأعمال في جبال العلويين، وأهم مظاهر أعماله الأخيرة في تلك الجبال ووهادها المترامية الأطراف أنه

عمل على نشر البلشفية من حيث لا يدري، وبعد أن يطلع القارئ على أعماله هذه، وعلى نتائجها يستطيع أن يسميه زعيم البلشفية، والفرق بينه وبين لينين أنه لا يعرف ما يعمل، ولينين يعرف ماذا يعمل؟

كل من يعرف شيئاً عن أحوال العلويين، يعلم أن السواد الأعظم منهم في غاية الفقر والحاجة، لأن بلادهم جبلية وعرة لا تكاد تنتج ما يسد رمقهم، ومعظم تلك الأراضي ملك لزعمائهم فهم فلاحون بائسون، يشتغلون السنة بطولها، ولا يكادون يحصلون من أتعابهم إلا على خبز الذرة، مفترشين الأرض، يجمع البقرة والحمار والشاة والرجل وامرأته سقف واحد، ويلبسون ثوباً واحداً، تستره عباءة قصيرة، ويسيرون معظم أوقاتهم حفاة.

***

وهكذا اعتبرت ثورة صالح العلي منذ ذلك الحين 1918 ثورة اشتراكية. ثورة على الجوع، والفقر، والجهل، والمرض، والإقطاع، والاستعمار. ثورة ذات مضمون اجتماعي، يتجلى على النطاق المحلي بطابعه الاشتراكي. ومضمون قومي، ويظهر على الصعيد العربي بمقارعة الاستعمار وأعوانه.

ثورة قامت بها فئة عارية، حافية، جائعة لتغيير واقعها المرير، فتصدى لها الإقطاع المتحكم المتسلط ـ الإقطاع الزمني والروحي ـ الإقطاع المرتبط عضوياً وفكرياً مع المستعمرين.

وهكذا نشب الصراع الدامي بين الواقع، والمصير، دفاعاً عن الأرض؛ والعرض، والمصير.



وبعد خمسين عاماً

خمسون عاماً مضت على ثورة صالح العلي.

وعشرون عاماً مرّت على وفاته، ولحوقه بالرفيق الأعلى.

دارت الأرض حول الشمس خمسين دورة.

وتعاقبت السنون والفصول والأيام.

وشهد الوطن العربي، وسورية بصورة خاصة أحداثاً وأحداثاً.

قامت دول، ورؤساء دول، وتتابعت حكومات، وأنشئت برلمانات، ومؤسسات وكيانات، وظلت ثورة صالح العلي مناراً للجهاد المقدس، ومنطلقاً لإرادة التغيير ونبراساً لحملة الروح الثائرة المتمردة.

ظلت مصدر إلهام، ويقظة وعي، وشعاع هداية للثائرين. ولكن لم يتسن لثورة صالح العلي من يعيشها روحاً ويجسدها

عزماً وتصميماً وعملاً، وإن كان الكثيرون استلهموها فكراً ومبدأ وعقيدة ومنطلقاً.

وجاءت الحركة الثورية الممثلة بالمؤسسة القومية.

وتحت شعار: الوحدة والحرية والاشتراكية، جندت القوى، جندت الجماهير ـ جماهير الشعب العاملة ـ صانعة الثورات، ومفجرة التغيرات، ومهيئة المصير والقدر.

الجماهير في القطر العربي السوري التي رزحت طويلاً تحت الآلام، والدموع، وغطرسة الإقطاع، انطلقت تقود الحركة الثائرة تصنع المصير، تدك معاقل الرجعية، والتخلف، والاستعمار.

هذه الجماهير التي انبثقت غاضبة، ثائرة، تصارع الصهيونية والاستعمار والرجعية هي نفس الجماهير التي قادها صالح العلي، وهنانو منذ خمسين عاماً، وقارعا فيها عنجهية العسكرية الفرنسية، وأعوانها من الرجعيين والإقطاعيين.

إنها نفس الجماهير، ونفس الظروف، إنها امتداد تلك الجماهير، أبناؤها، حفدتها، بقاياها، لها نفس الهدف؛ نفس الغاية، ونفس المنطلق والوسيلة، مع فارق الزمن، ووسائل الدفاع، وطرق التحرك، والمواجهة والمجابهة.

هـذه الجمـاهير أدركـت عـبر تحـركهـا الطويـل، وعلمتهـا تجاربهـا، وعمـق وعيهـا، ورهـافـة حسـهـا، وسـلامـة حدسـهـا، أن الرجعية سبب بلائها، وعلّة دائها، وأنها عدوها الأول والأخير.

الرجعيـة بألوانهـا، إقطاعـاً وروحـاً وفكـراً، هـي ركيـزة الاستعمار، وحليفة المستعمرين،وهي التي اغتالت ثورة صـالح العلـي، وطوقـت حركتـه وشـلت نـشاطه، وباعـت الـوطن والكرامـة للدخلاء، وكانـت ممـراً لقواتـه ومخططاتـه ومقـراً لدسائسه ومكايده، ومطية ذلولاً لأوامره.

لـئن تمكنـت هـذه الرجعيـة بوسـائلها الدنيئـة مـن القـضاء علـى ثـورة صـالح العلـي، واسـتطاعت أن تـضع عنـق الأمـة في سلاسـل المستعمرين.. لـئن فعلت هـذا كـل هـذا، فإنهـا لأعجـز عـن أن تطفـئ شـعلتها المتقـدة في وجـدان الأمـة ونفـوس أبنائهـا الأحـرار الأبـاة، أو توقـف زحفهـا المقـدس، أو تعـوق مـسيرتها الظافرة.

تلك المسيرة التي بدأها صـالح العلـي، وتلك الشعلة الـتي أضرمها وتعهدها الأباة الميامين من إخوانه، وسالكي طريقـه، وحافظي عهده، لن تطفئها الأيام، ولا يحد من شعاعها الزمن.

لم يغمـض صـالح العلـي جفنـه إلا بعـد أن شـهد جمـاهير شـعبه تقـتحم معاقـل الـدخلاء، وتـدك حـصونهم وتجلـوهم عـن

أرض الـوطن، وتلقـي بهـم وبأسـاطيلهم إلى مـا وراء البحـار خاسئين، خاسرين مدحورين في 17 نيسان 1946.

ليـت القـدر أمهـل صـالح العلـي ليـشهد ثـورات شـعبه المتلاحقـة ضـد الاسـتعمار، وأعـوان الاسـتعمار، مـن الـرجعيين وباعة الضمائر، وكيف تم دحرهم، وخذلانهم، في الثـامن مـن آذار 1963.

ليـت القـدر أمهـل، والمنيـة تأنـت، ليـشهد صـالح العلـي معارك الجولان، وسيناء،والـضفة الغربيـة، كمـا شـهد معـارك وادي ورور، وفتوح، ووادي جهنم.

ليتـه شـهد المفـاداة الحقـة الـتي يقـدمها شـعبه العربـي وجيوشـه علـى بطـاح فلـسطين، ورمـال سـيناء، ومرتفعـات الجليل، وهضاب الجولان، وقمم حرمون وضفاف الأردن كمـا خاضـها فـدائيوه في القـدموس، والـسودا وكوكـب والنويحـة والشيخ بدر، وبشراغي، ووادي العيون، والدريكيش!!

ليت المنية تأنت ليشهد صالح العلـي بطـل الجهـاد الـسابق، مـا حققـه وأئمـة رجـال الجهـاد اللاحـق مـن جلائـل الأعمـال، والمنجزات.



لقد غسل الشتاء بأمطاره الغزيرة تلك الصخور التي اختبأ وراءها صالح العلي وأعوانه الثائرون آلاف المرات خلال خمسين فصلاً.

وغمر الثلج بصقيعه تلك القمم التي أشرف منها صالح العلي وأنصاره، أو انقضوا منها كالصقور على الأعداء مدة خمسين فصلاً.

ونزل الربيع بتلك الأودية والسفوح والسهول، وتسلق تلك الشعاب والجبال، وسندسها ونيسنها بلألائه واخضراره، طوال خمسين فصلاً. ونثر الخريف أوراق تلك الأدغال والغابات مدة خمسين فصلاً.

ولم تزل تلك الصخور والقمم والمعابر والمخارم، والتلال والشعاب، والأودية والكهوف والغيران والأدغال التي عبرها صالح العلي ورجاله، لم تزل تحمل أقدس ذكرياتهم، وتنعم بعطور خطاهم، وتحتفظ بقصد من سيوفهم، وبطيب من دمائهم، وقد أحالها التاريخ إلى دنيوات حية، يسربلها الألق والنور، وتخضلها غالية الطيوب والعطور.

على الصحاصح من أجسادهم مزق

وفي الأباطح من مرانهم قصد

وأكاد أرى من وراء خمسين عاماً، وبعض العام، صالح العلي، وأعوان صالح العلي ينسربون في تلك المخارم والمعابر، ويجتازون تلك الشعاب والسفوح، ويتخطون تلك المعاقل والمزالق، يقظين مترقبين متربصين، وأياديهم على الزناد.

أكاد أسمع همسهم الخفيت، وأبصر إيماءاتهم الخاطفة، وهم في تلك المكامن والمخابئ، والمهاوي السحيقة يرصدون حركات أعداء أمتهم ووطنهم.

على الأباطح أجداث مبعثرة
لله من درجوا فيها ومن همدوا
تكاد تسمع أذني همس هامسهم
وتأخذ العين قتلاهم، وإن رقدوا



الرفيق حافظ الأسد

رئيس الجمهورية العربية السورية

خمسون عاماً تنقضي ببياض أيامها، وسواد لياليها، وتعاقب أحداثها على ثورة صالح العلي.

وعشرون عاماً تمر، وتنصرم على وفاته.

ويأتي... يأتي من يقدم الهدية الكبرى لروح صالح العلي، الثائر الأول، في مطلع القرن العشرين في هذا الوطن.

يأتي من يكرم صالح العلي، في البقية الباقية من سيوفه، من رفاق جهاده.

يأتي حافظ الأسد ليكرم الجهاد، ويمسح بالنور والألق والطيب جراح المجاهدين.

ولا يعلم قيمة النفوس الكبيرة، إلا النفس الكبيرة.

ولا يدرك عظمة الثورة إلا الثائر.

وكبرياء الجهاد إلا المجاهد.

ويصدر المرسوم

مرسوم تكريم المجاهدين وأسرهم، وتخصص لهم المكافآت والرواتب.

مرسوم تشريعي رقم 48

رئيس الجمهورية

بناء على أحكام الدستور الموقت

يرسم ما يلي:

المادة 1ـ يمنح لقب مجاهد أو مجاهدة للأشخاص المبينة أسماؤهم في الجدول الملحق بهذا المرسوم التشريعي البالغ عددهم 1277 ألفاً ومئتين وسبعة وسبعين الذين اشتركوا في الثورات السورية ضد المستعمر بين عامي 1920 و1928 وتمنح وزارة الداخلية كلاً منهم بطاقة مجاهد حسب النموذج الذي يحدده وزير الداخلية وذلك خلال مدة ستة أشهر من تاريخ نفاذ هذا المرسوم التشريعي.

المادة 2ـ يخصص معاش تقاعدي شهري مقطوع مقداره (125) مئة وخمس وعشرون ليرة سورية لكل شخص من الأشخاص الواردة أسماؤهم في الجدول الملحق، وينتقل هذا المعاش إلى ورثته وفقاً للأحكام النافذة.

المـادة 3ــ يـستفيد المجاهـدون المـشمولون بأحكـام هـذا المرسوم التشريعي وزوجاتهم من العلاج، والعمليات الجراحية، والاستشفاء مجاناً في مستوصفات ومشافي الدولة، وذلك طيلة مدة استحقاقهم للمعاش التقاعدي.

المـادة 4ــ تـصرف المعاشـات المـشار إليهـا في المـادة (2) مـن هذا المرسوم التشريعي من موازنة وزارة المالية (الدين العام).

المادة 5 ـ ينشر هذا المرسوم التشريعي ويعمل بـه مـن تـاريخ صدوره.

دمشق 7 ـ 6ـ 1392

و18 ـ 7ـ 1972.

رئيس الجمهورية

الفريق حافظ الأسد

ولا يغفل المرسوم المرأة العربية المجاهـدة، فتنـال حقهـا مـن المكافأة والتقدير، كالرجل تماماً.

ولا يقتصر المرسوم على ثورة من ثورات سورية العربية، بل يـشمل كـل حركـة ثوريـة، في اللاذقيـة، وإدلـب، ودمـشق، والغوطة، والقلمون، وحوران، وجبل العرب، فتقـر عينـا صـالح

العلـي. وهنـانو. والأشمـر. ومريـود. والخـراط. والأطـرش وأعـوان جهادهم.

سجل أيها التاريخ بأحرف من وهج النور، ومـداد مـن عبـق العطور، ما بدأه الأجداد وأتمه الأحفاد، من المآثر والأمجاد.

نـبني كمـا كانـت أوائلنـا تـبني.. وتفعـل.. فـوق مـا فعلـوا



وصية صالح العلي

﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت أن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾[1].

﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذو عدل، أو آخران من غيركم إذا ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحسبونها من بعد الصلاة فيقسمان بالله أن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى، ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين﴾[2].

من مات عن وصية مات على الإيمان[3].

لا ينامن أحدكم إلا ووصيته تحت وساده فإنه لا يعلم متى يأتي أجله[4].

***

---

[1] سورة البقرة ـ الآية: 179.

[2] سورة المائدة ـ الآية: 105.

[3] حديث شريف.

[4] حديث شريف.

الوصية في الإسلام مأمور بها، ومحضوض عليها، وورد في التشريع العام للمسلمين ـ القرآن ـ آيات تحدد شروطها، وتحض عليها، وجاءت الأحاديث المأثورة توضح ما غمض من هذا التشريع وتزيد آيات الكتاب توضيحاً وتقريباً للإفهام، وكتب الأحاديث تحفل بالكثير من الشروح والتعليقات والاجتهادات على الوصية.

ولما حضر صالح العلي الموت، وشعر بدنو الأجل، احضر ذوي عدل، وأملى وصيته الأخيرة، لعجزه مرضياً عن كتابتها، وهذه صورتها الرسمية المسجلة في المحكمة الشرعية بطرطوس. وهي مدار بحث محكمة التصفية، لما تركه تراثاً.

أساس 58 ـ 1950

بيوم الخميس الواقع في 20 جمادى الأولى 1369 و 9 آذار 1950 بناء على الطلب الواقع من حضرة الشيخ صالح العلي المقيم بطرطوس. بمحلة المسيل بدار السيد محمد حامد، يتضمن طلب الانتقال إلى الدار المارة الذكر لاستماع تقريره بخصوص تنظيم وصية شرعية، ونصب أوصياء لتنفيذها، بناء على عدم اقتداره للانتقال إلى المحكمة بسبب مرضه. فعليه وباليوم المذكور توجهت أنا محمود الفضل القاضي الشرعي

بطرطوس، ومرفقاً بالمساعد أسعد الديوب، ولدى وصولنا إلى الدار المذكورة.

وبحضور الشيخ كامل العيسى من قرية المعمورة، وعبد اللطيف محمد رمضان وكلاهما من قضاء صافيتا، الأخير من كرم مغيزل. دخلنا إلى الغرفة المقيم بها الشيخ صالح المومأ إليه فوجدناه نائماً في فراشه، وكان في الغرفة المذكورة طبيب القضاء السيد محمود أبو سيف، وبعد أن جرت معاينته من قبل الطبيب المومأ إليه، وبتحليفه اليمين القانونية من قبلنا، وسؤاله عما إذا كان الشيخ صالح العلي المومأ إليه مالكاً لقواه العقلية. فقال لدى معاينة الشيخ: وجدته مصاباً بمرض القلب مع احتقانات رئوية، ومرضه هذا متقدم ومزمن، أما من جهة ناحية ملكاته العقلية فهو بحالة اتزان، ووعيه صحيح، وقواه العقلية سليمة، ثم قرر الشيخ صالح المومأ إليه قائلاً: إنني قد أوصيت بأن تصرف ريع أملاكي الآتية: وهي القرى المسماة بالأندروسة وبريصين، وكوكب، والصوراني، وبيت النبع، وكاف الجاع، وبتناخا، وبشراغي، والرستة والمزرعة،[1] على إتمام قبة المسجد الكائن بقرية الرستة، وبناء المسجد المذكور الذي لم يتم تشييده، وإحداث

---

[1] يملك صالح العلي بعض هذه القرى، وأجزاء من بعضها.

مدرسـة بجـوار المـسجد المـذكور، وإنـشاء بنـاء لهـا، وتـأمين فتحهـا، وإحـضار أسـاتذة كـافين لهـا علـى أن تكـون المدرسـة متوسـطة يعلـم فيهـا العلـوم الدينيـة، والعلـوم الحديثـة.. وإنـشاء مستوصف بجوار المدرسة، ووضع علاجات كافية فيها لمداواة الفقراء من الأهلين.. وطبع ديوان الخطابات والأشعار التي قيلت في حفلـة التكـريم الـتي جـرت في بلـدة اللاذقيـة، وإقامـة حفلـة تذكاريـة في كـل سـنة بـاسمي، علـى أن يـتم ذلـك بمعرفـة الأوصياء الذين سـأذكر أسمـاءهم وتـأمين نفقـة زوجـاتي.. علـى أن تقيم كل واحدة منهن في محلها، ما عدا سميرة بنت يونس حمـدان فإنهـا لا علاقـة بـيني وبينهـا.. وقـد أقمـت كـلا مـن السادة: أحمد محمد رمضان من قرية كـرم مغيـزل، والـشيخ كامـل عيـسى مـن قريـة المعمـورة التـابعين لقـضاء صـافيتا.. والـشيخ إبـراهيم يوسـف عيـد مـن قريـة بـصوطر التابعـة جبلـة، والـشيخ سـلمان محمـد سـليمان والـشيخ صـالح بـدر مـن قريـة بحنين أوصياء لتنفيذ وصيتي هـذه المبينـة أعـلاه علـى أن يقومـوا بتنفيـذها مـتفقين، وإن لا يـشذ أحـد مـنهم. ولا يعـارض بتنفيـذ وصيتي هذه.

كمـا أنـي أقـر وأعـترف بـأنني وهبـت أخـي عبـاس وادي المزيريب، وبيت الزيار الكائنين بقرية الاندروسه.

وإنـني أوصـي أيـضاً بكافـة مـا أملكـه مـن المنقـولات والدراهم للإنفاق على تنفيذ المشاريع المبينة في وصيتي السابقة. بمعرفة الأوصياء المار ذكرهم.

وكذلك أوصيت بكافة أملاكي الغير منقولة التي لم تسجل بدائرة التمليك على المشاريع المارة الذكر، على أن يقوم الأوصياء المذكورون بما يلزم بخصوص تنفيذ وصيتي هذه، وأن لا يكون للأوصياء المذكورين حق بيع، أو هبة. أو رهن أو قسمة شيء من الأملاك الغير منقولة في القرى المبينة أعلاه، ولا يصرف شيء من المنقولات وأثمانها إلا في الوجوه التي بينتها في وصيتي هذه المنصرفة لأعمال البر والخير.

وأوصيت أوصيائي المذكورين بتقوى الله فيما يقومون به من الأعمال وأستغفر الله العظيم وأتوب إليه وأطلب المعونة في الدنيا والآخرة.

وأبرز تقريراً طبياً مؤرخاً في 8 آذار 1950 بإمضاء الطبيين الدكتور حنا الياس رئيس مستشفى طرطوس. والدكتور محمود أبو سيف طبيب القضاء يتضمن بأن الطبيين الموما إليهما عاينا المقرر الشيخ صالح العلي ووجداه مصاباً بمرض القلب، واحتقانات رئوية، وأن هذا المرض متقدم ومزمن، وإن ملكاته العقلية ووعيه صحيح ومتزن، وقواه العقلية سليمة، وتلي وضبط بين الأوراق، وطلب الموما إليه تسجيل وصيته هذه

والتصديق على صحتها بحضور القاضي والمساعد والشاهدين والطبيب المار ذكرهم.

وإنني أطلب من الأوصياء المذكورين أن يقوموا بقيد إيراد الأملاك المارة الذكر والمنقولات والدراهم في سجل خاص وقيد ما يصرفونه من النفقات على المشاريع المارة الذكر أيضاً بالدفتر المخصص لمراجعته من قبل السلطات القانونية ذات الصلاحية بأمور الوصاية والتصديق على الدفتر المذكور من قبل السلطة المذكورة حسب الأصول. وإنني أوصي أيضاً بل أوصيت بالطاحونة الكائنة بقرية المريقب وهي الطاحونة المعروفة بطاحونة الماء لإخواني الشيخ عباس والشيخ محمد علي سلمان والشيخ محمود وذلك ما أملكه من الحصص المشتراه من قبلي فيها لاخوتي المذكورين بالمساواة بينهم بل باعتبارها أربعين مصرية عشرون للشيخ عباس واثنتا عشرة مصرية للشيخ محمد وثمان مصريات للشيخ محمود.

شهود الإقرار والتصديق

شاهد	**شاهد**	**توقيع الطبيب**
كامل عيسى	**أسعد الديوب**	**محمود أبو سيف**
توقيع الموصي	**توقيع المساعد**	**توقيع القاضي**
صالح العلي	**أسعد الديوب**	**محمود الفضل**

طبق الأصل عن الصورة المعتمدة لدى محكمة طرطوس

إذا أنعمنا النظر إلى هذه الوصية استنتجنا:

1 ـ استيفاءها الشروط التشريعية وفق الأصول الإسلامية.

2 ـ استيفاءها الشروط القانونية زماناً، ومكاناً، وأشخاصاً ونصاً.

3 ـ استيفاءها الشروط الشرعية من سلامة عقل وصحة تفكير، وأحقية الإيصاء.

4 ـ احتواءها على جوانب إنسانية واجتماعية واشتراكية.

آ ـ رصدت القسم الأكبر من المداخيل لمشاريع البر والخير العام.

1 ـ مدرسة.

2 ـ مسجد.

3 ـ مستوصف.

4 ـ نشر الديوان.

5 ـ ثم أعقب هذا الإيصاء للأقربين ـ الزوجات ـ الأخوة.

***

أوصى صالح العلي للمدرسة، ونشر العلم والأخلاق، قبل أن يوصي لبناته.

وأوصى للمسجد وإقامة الشعائر، قبل أن يوصي لأخوته.

وأوصى للفقراء، وأبناء الأمة من الفلاحين بإشادة المستوصف، وتأمين الدواء قبل أن يوصي لزوجاته.

إن النزعة الإنسانية الايثارية، والروح الاشتراكية، والعدالة الاجتماعية هي صفات ثلاث تسود وصية صالح العلي، وتسم روحه وتفكيره.

إن هذه الوصية بما تضمنته من الجوانب الإنسانية، والميول الإيثارية والغيرية، وروح المساواة، لتعتبر إرهاصاً وتبشيراً بل عملاً تطبيقياً للاشتراكية انبثق في ذلك الزمن المبكر والسابق للمفهوم الاشتراكي في الوطن العربي كنظام اجتماعي.

نفس كأصفى ما يكون الصفاء، أدركت بثقافتها وتجاربها، وواقعيتها ما في مجتمعها من الظلم الاجتماعي، والاضطهاد للأكثرية الكبرى من الشعب وأعني بها طبقة الفلاحين المحرومة من العلم، ومن العلاج والمداواة، ومن الترف والمساواة.

هل من حاجة ألح وألحف، وأمس وأحوج لهذه الطبقة المغبونة من العلم، ومحاربة الجهل؟

هل من حاجة أمس وأحس من الحاجة إلى الصحة وحمايتها، وتقوية الجسم، والقضاء ما أمكن على المرض، وإعانة الضعفاء جسماً ومادة؟

لقد حاولت اشتراكية صالح العلي المبكرة، أن تعنى بأجسام مواطنيها، وعقولهم، وتحررهم من الفقر والجهل والمرض، ومن الإقطاعين: الروحي والمادي.

إن الطبقة التي رافقت صالح العلي في مسيرته النضالية ضد أعداء الأمة والوطن في الداخل والخارج، ليود صالح العلي أن يكمل معها المسيرة، ويتعهدها بعد مماته، كما رافقها وتعهدها أيام حياته.

لقد أدرك صالح العلي بصفاء سريرته، وصدق خبرته حاجة شعبه، من أسباب النهضة وعواملها، فأوصى بإيقاظ روحها وعقلها، عاطفتها ووعيها.

أوصى أن يشاد المسجد ولكن تشاد إلى جانبه المدرسة، وأن تعلم فيها العلوم الدينية إلى جانب العلوم الحديثة، وأن يقام إلى جانب المدرسة والمسجد بناء المستوصف.

فبالمسجد يبني أخلاق شعبه الروحية.

وبالمدرسة يبني عقله.

وبالمستوصف والعلاج يبني جسمه.

وبهـذا يكـون عمـل لتـساوي القـيم المادية مـع القـيم الروحية، وهذا ما عمل له المصلحون الاجتماعيون وسعوا إليه، لإقامة المجتمع أو المدينة الفاضلة، التي لا تنمو فيها القيم على حساب بعضها.. بل تحقق التوازن فيسير المجتمع بخطى متزنة ثابتة، ويقوم على أسس وطيدة راسخة.

ولقد حدد صالح العلي في وصيته طبقة "الفلاحين" الفقراء من الأهلين، وخصصهم بالعلاج دون سواهم، كما حرص في هذه الوصية أن تكون العلاجات في المستوصف "كافية" لتسد حاجة الفقراء وهم الغالبية الساحقة بالنسبة لمجموع السكان، كما حرص على أن يكون أساتذة المدرسة "كافين" أيضاً، لأنه يعلم ويدرك بالخبرة والتجربة، عاقبة "النقص" وعدم الكفاية والاكتفاء في كل شيء، وفي كل عمل.

وأوصى صالح العلي أوصياءه بتقوى الله فيما يعملونه، وبذلك أقام على الأوصياء وصياً أكبر، عملاً بالآية الكريمة وما جاء على لسان السيد المسيح: فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم.

وكذلك أقام السلطة وصياً ورقيباً على أعمال الأوصياء، تشرف، وتراقب، وتحاسب، وتعاقب.

ولكن: على ما في وصية صالح العلي من الحق، والعدالة والاشتراكية والإيثار، والغيرة، والإنسانية، لم تنفذ فمن المسؤول؟؟

وكلمة:

وقد يتبادر لذهن الكثيرين عند قراءة وصية صالح العلي أنه كان إقطاعياً يملك القرى والمزارع كما تشير وصيته.

صحيح أن صالح العلي كان يملك بعض القرى، ولكنه لم يكن إقطاعياً.

لم يرث عن أبيه قرى، ولا مزارع، لأن والده كان صوفياً زاهداً بالمال والمتاع.

ولم يغتصب أملاكاً كما فعل اقطاعيو البلاد

ولكن...

كان النظام الضرائبي التركي العثماني ظالماً وجائراً، يطرح ضريبة سنوية على الأرض والأملاك والمساكن و... الأشخاص.

تطرح هذه الضريبة كل عام، وفق ما يراه الموظفون الإداريون والجباة، بدون نظام، أو ضابط، أو قانون تشريعي.

ويتفنن الجباة الأتراك في جباية هذه الضريبة فيتقاضون الرشاوى، ويتلذذون بكل ما في بيوت الفلاحين من مال، ومؤونة وزاد. ويسومونهم ألواناً من الإرهاق، وضروباً من الإذلال والتنكيل.

والأهلون في ذلك الزمن فقراء جياع، حفاة عراة، فمن أين يأتون بالمال؟!

ويلجأ الأهلون للمرابين للاستدانة، ويصبحون ـ في هذه المرحلة ـ كالمستغيث من الرمضاء بالنار، فإذا جاء الموسم ابتلع المرابون محاصيلهم، وعاشوا جياعاً طوال العام.

وقد لجأ بعض الأهلين إلى صالح العلي في مثل هذه الحالة، فكان يعطف على بؤسهم، ويدفع ما يملكه من المال وفاء للضرائب المطروحة على عاتقهم لقاء "التخميس".

والتخميس يعني تقديم 1/5 أو 20٪ من المحصول الموسمي لدافع ضريبة الدولة.

كان صالح العلي يرضى من الأهلين الفقراء بهذه النسبة، ويدفع الضريبة، وكثيراً ما يكون مغبوناً وخاصة في سني المحل والجدب والجفاف، فقد يكون "الخمس" لا شيء.

وكان الإقطاعيون يتقاضون من الفلاحين 60٪ من المحاصيل، وأحياناً ترتفع هذه النسبة إلى 80٪ إذا أدخلنا في الحساب امتيازات المالك الأخرى، وعلاوات وكيله.

وتجاه هذا الوضع أقبل كثير من الفلاحين يلتمسون من صالح العلي أن يقبل شراء ما يملكون على أن يبقوا فلاحين عنده على مبدأ "التخميس".

ولكن صالح العلي لا يملك الأموال ليلبي طلب العديد من الفلاحين، ويحقق رغباتهم. ويدفع غراماتهم.

ومبدأ "التخميس" مبدأ اشتراكي، أقرته التشريعات الاشتراكية في سورية عندما قننت العلاقة الزراعية بين المالك والفلاح. ويعني 20٪ للمالك و80٪ للفلاح.

هذا هو مبدأ ملكية صالح العلي، وقد طبق هذا المبدأ طوال حياته، ونص على تطبيقه في وصيته بعد وفاته.

عاش صالح العلي عيشة عادية متواضعة.

لم يقتن السيارات الفارهة.

ولم يبن القصور الشاهقة.

ولم يتقلب في النعيم على الأثاث والرياش.

ولم يغـرق أجـسام زوجاتـه وبناتـه بالـشفيف مـن الحريـر، والدافئ من الأرجوان.

ولم يثقل معاصمهن، بالحلي من الذهب.

ولم يزين أعناقهن بالنفيس من الجواهر.

عاش إنساناً، ومات إنساناً.

البساطة شعاره، والتواضع حليته ودثاره.

***

وثائق الثورة

التوثيق، من أبرز ما يميز التاريخ المعاصر عن التاريخ الوسيط والقديم، فالوثائق دليل محسوس، ومستمسك مادي على واقعية الحوادث، يدفع الفرض والظن، ويزيل الالتباس والاحتمال.

والوثائق متعددة الجوانب، فمنها ما يمتاز بالطابع الفردي.

ومنها ما له صفة العلاقة "الثنائية".

وبعضها يغلب عليه الطابع العام.

فالمخلفات الخاصة برجل من رجال التاريخ هي ذات صفة فردية.

والمراسلات بين رجلين عظيمين لها طابع ثنائي.

والوثائق التي تتناول قضية اجتماعية أو سياسية، أو عسكرية لها سمة العموم.

وتعتبر الوثائق ـ على اختلافها ـ ذات صفة عامة، لأنها ملك التاريخ، والتاريخ ملكية عامة، لا يستأثر بها فرد دون آخر، ولا يحتكرها شعب دون سواه.

والتاريخ سجل الحوادث والأحداث.

سجل حركة الإنسان عبر الأزمان.

والتاريخ ليس مقتصراً على "تدوين ما كان" كما كانوا يفهمونه في الماضي.

ولكنه راصد "لما هو كائن" أيضاً.

ومن معطيات "ما كان".

نتوقع ما "سيكون".

ونحصل على الخبرة، والعظة، والعبرة من التاريخ.

***

وثورة كبرى كثورة صالح العلي استمرت ثلاث سنوات ونصف السنة.

دارت معاركها من البحر، وفي البر، في السهول والسفوح، والجبال، في التلال والقمم والشعاب، في الأدغال والغابات والأودية.

استخدمت فيها كل أصناف الأسلحة المعروفة يومئذٍ، وكل وسائل التدمير، من بنادق وقنابل ورشاشات ومدافع، ومصفحات، وطائرات.

وكان حصادها آلافاً مؤلفة من القتلى، والجرحى، والمشوهين، والأسرى، شيوخاً وشباباً، ونساء وأطفالاً أبرياء.

هدمت آلاف المنازل، وأحرقت مئات القرى والمزارع.

أتلفت البساتين والزروع، والضروع والمحاصيل.

خاض غمارها أعتى دولتين في ذلك الزمن، هما فرنسا وبريطانيا.

خاضتها الأولى بجيوشها وأسلحتها، وكل إمكاناتها العسكرية، والمادية والمعنوية.

وخاضتها الثانية بكل مكرها وكيدها، وسياستها ودسائسها.

شملت هذه الثورة كل العالم العربي، وخاصة سورية، ولبنان، والأردن، وفلسطين، والعراق، والحجاز... وتركيا.

ثورة امتد أثرها إلى كل المجتمع الدولي.. المجتمع الذي جلس في المؤتمرات ليقتسم العالم، ليعدل خريطة الشرق من جديد، لمصلحة بعض الدول، على حساب بعض الدول الأخرى، بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية.

ثورة هذا شأنها، وهذا أثرها لا شك بأنها تترك للتاريخ كنوزاً من الوثائق والمستندات والمعلومات، وعلى مختلف المستويات دولياً، وعربياً، ومحلياً.

فأين وثائق هذه الثورة؟؟؟

أين ما تبادله صالح العلي من الآراء، والحوار والمراسلات مع من لهم علاقة، أو مصلحة في تلك الثورة من السياسيين، ورؤساء الدول، والعسكريين، والوطنيين، والمنظمات؟؟

يحدثنا الكثيرون من رفاق صالح العلي، الذين مازالوا أحياء عن مجموعة كبرى من الوثائق والمراسلات، والاتفاقات بين صالح العلي والكثيرين من رجالات السياسة والوطنية، وذوي الشأن. ويذكرون خلاصة بعض تلك الوثائق، ويصفونها، ويوردون بعض فقراتها وعباراتها مما يؤكد وجودها، ويقطع بصحتها. ويثبت إطلاعهم عليها.

ولقد أمضينا زمناً طويلاً، وعانينا جهداً شاقاً وعسيراً، ومارسنا صبراً كبيراً ومريراً في البحث والتنقيب، وبشتى الوسائل والطرق ولم نعثر على هذه الوثائق، ثم نطرح بمرارة وأسف على أنفسنا وعلى الآخرين، هذا السؤال الموجع، أين الوثائق؟؟

والمعروف أن عبد الرزاق المحمود كان سكرتيراً لثورة صالح العلي يتلقى كل المراسلات العادية والسرية، ويعرضها على صالح العلي، ويتدارسها مجلس الثورة، ثم يجيب عليها، ومن الطبيعي أن تضم هذه المراسلات في إضبارة خاصة وتحفظ لأهميتها، والحاجة إليها.

وتوفي عبد الرزاق المحمود من زمن بعيد، فهل انتقلت هذه الوثائق أو بعضها لورثته؟؟ أم لعبت بها أيدي الضياع؟؟

ولعل أهم هذه الوثائق.

1 ـ الرسائل المتبادلة بين صالح العلي والملك فيصل وهي ـ على ما يقال ـ موجودة لدى السيد إحسان الجابري، بدلالة أنه قرأ مجموعة منها على الجماهير في حفلة تكريم صالح العلي التي أقيمت باللاذقية سنة 1945 ولأن إحسان الجابري كان رئيساً لديوان الملك فيصل.

2 ـ رسالة من غاندي الزعيم الهندي الكبير تدور حول أطماع الغرب في الشرق، ويصفها المطلعون بأنها مكتوبة بلغتين، إحداهما اللغة العربية، كما يصفون شكلها ويقولون: إن طولها يبلغ ضعفي عرضها، ويحفظ أكثر من مطلع هذا المقطع منها ويرددونه بحرفيته:

"إن الغربي النهم يفغر فاه، ليلتهم الشرق أجمع، فمد يدك أبايعك على أني في الشرق الأقصى كما أنت في الشرق الأدنى لكبح جماح الغربي النهم".

وهذا المقطع يدلنا على أهمية تلك الرسالة، وإن، تعابيرها: النهم ـ يفغر فاه ـ يلتهم ـ أبايعك ـ الشرق الأقصى الشرق الأدنى ـ كبح جماح الغربي ـ إن في هذه التعابير غضباً وثورة وتصميماً وإدراكاً لواقع الغرب والشرق.

3 ـ رسالة مطولة من مصطفى كمال لصالح العلي يتعهد له بمساندة الثورة ومدها بكل وسائل القوة، وهاتان الرسالتان أشار إليهما الشعراء أيضاً[1] بما لا يترك مجالاً للشك بصحة وجودهما.

---

[1] يقول الشاعر كامل الخطيب عن ثورة صالح العلي:

ضجت بثورته الدنيا فكان لها ... في كل مسمع قطر رنة ونبا
سل عنه "غورو" وقد طارت كتائبه ... في الأرض تبغيه لما ألف العصبا
و"الهاشمي" سقاها من مبادئه ... صرفاً، وزجى لها الأقلام والكتبا
و"عاهل الترك" ناجتها "رسائله" ... كما تناجي براعيم الورود صبا
بينا سفارة "اللنبي" تعللها ... جاءت "تحارير غاندي" تحمل العجبا

4 ـ رسالة من الجنرال سومر ست نائب الجنرال اللنبي البريطاني قائد جيوش الحلفاء في الشرق أورد المطلعون ـ وهم كثر نصها الحرفي إلى الشيخ صالح العلي النصيري.

بلغني وقوع معركة دموية بين بعض رجالكم وجنودي أسفرت عن قتلى وجرحى، وإنني أطالبكم بدفع الدية، وأهاودكم بها، على أن تكون دية القتيل الواحد بندقية حربية ومئة خرطوشة.

5 ــ المراسلات المتبادلة بين صالح العلي ورؤساء الحكومات العربية.

6 ـ المراسلات بينه وبين بعض رؤساء الدول الأجنبية، والسياسيين، والقادة العسكريين. وخاصة الفرنسيين منهم والبريطانيين أصحاب العلاقة المباشرة بالثورة.

7 ـ يحتفظ المتحف الحربي بدمشق في القاعة المسماة "قاعة الثورات" ببعض الآثار الوثائقية لصالح العلي وهي:

1 ـ صورة كبيرة تمثله واقفاً بلباسه الشعبي، وعتاده الحربي.

2 ـ صورة متوسطة الحجم.

3 ـ منظار حربي.

4 ـ مسدس.



الوثيقـة رقم ٥

5 ـ بندقية حربية.

6 ـ عصا.

7 ـ عباءة.

8 ـ وفي قاعة الوثائق:

1 ـ وثيقة مختصرة لبعض حوادث الثورة بعد مؤتمر الشيخ بدر وتشير إلى نشاط آل عدرة في الخوابي وزمرين وطرطوس في تلك الثورة إلى جانب صالح العلي.

2 ـ وثيقة مصورة تحدد ولادة صالح العلي 1883م ووفاته 13 ـ نيسان 1950.

وتشير إلى مؤتمر الشيخ بدر في 15 كانون الأول 1918م وإلى وساطة الجنرال اللنبي ومحاولته التقريب بين وجهات النظر بين صالح العلي والفرنسيين.

كما تشير إلى تشكيل الفوج الملي.

وتحدد انتهاء الثورة بتاريخ 15 حزيران 1921.

وتذكر من أعوان صالح العلي عزيز هارون، وجميل ماميش، وغالب الشعلان.

ونرى أن هذه الوثيقة جاءت لاحقة ومتأخرة لأنها تذكر وفاة صالح العلي 1950.

9 ـ وفي مديرية الوثائق التاريخية للآثار والمتاحف ـ قصر العظم ـ

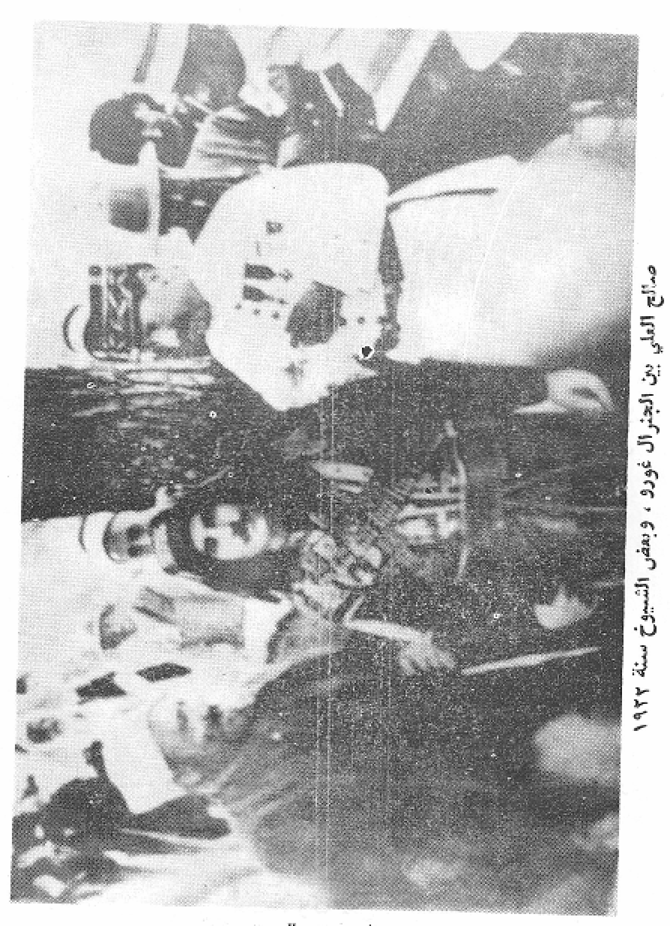
1 ـ صورة فريدة ونادرة لصالح العلي، تمثله واقفاً بين الجنرال غورو (كما تقول الوثيقة) وبين بعض الشيوخ. وهو بلباسه الشعبي، وعتاده الحربي، ويرجح أن هذه الصورة أخذت له يوم استسلامه 1922 ولم يكن عمره يتجاوز التاسعة والثلاثين.

2 ـ وفي المديرية المذكورة ـ قاعة الوثائق ـ مذكرات للمجاهد إبراهيم شغوري وفيها:

بتاريخ 20 شباط 1921 أوفد المجاهد الكبير الشيخ صالح العلي المجاهد المعروف هزاع أيوب للاتصال بالزعيم هنانو كي يمهد للمجاهدين في جبال العلويين العتاد من تركيا أسوة بثورة الشمال، وتوحيد الجهود، وتقويتها ما أمكن بتشديد الضغط على الفرنسيين المستعمرين، فأجيب

المجاهد الكبير إلى رغبته، ووعد بتزويده بما أمكن من عتاد لتوثيق الروابط بين مجاهدي هنانو والشيخ صالح العلي وموازرتهما (مذكرات المجاهد إبراهيم شغوري ص 26).

***



صالح العلي بين الجنرال غورو ، وبعض الشيوخ سنة ١٩٢٢

الوثيقــة رقم ٦

10 ـ كتاب المجاهد الكبير الشيخ يوسف السعدون ابن الأخ الكريم حامد حسن.

السلام عليكم ورحمة الله وبعد:

فقد وصلني كتابكم المؤرخ في 1973/12/27 واطلعت فيه على عزمكم إصدار كتاب عن الشيخ صالح العلي فسرني ذلك العزم وتمنيت لكم التقدم والنجاح. أما بشأن بعض ما طلبته في الكتاب فأود أن أورد لكم ما يلي:

إن الشيخ صالح قام بثورته في عهد الملك فيصل وكذلك قامت ثورتنا في نفس العهد، وكنا نحن نتلقى الإمدادات من حلب حين كان محافظها رشيد طليع وكان إبراهيم هنانو رئيس ديوان المحافظة. ولا أدري من أين كان الشيخ صالح يأتي بالذخيرة بسبب بعد المسافة بيننا وبينه، ولوجود أقوام موالين للعدو يفصلوننا عن منطقته.

وعند احتلال الفرنسيين مدن الداخل خرج إبراهيم هنانو من حلب، وعقد اجتماع عام في قصير أنطاكية وقد تقرر فيه أن يذهب وفد إلى مرعش ليفاوض صلاح الدين عادل باشا في مسألة المعونة، فإذا قبل الأتراك إمدادنا نستمر في الثورة، وعلى ذلك ذهب إبراهيم هنانو واتفق مع الباشا المذكور على

الإمداد بالذخيرة والسلاح[1]. ولما عاد إبراهيم هنانو من مرعش جاء وفد من قبل صالح العلي يتألف من رجلين هما الشيخ حبيب[2] وأنيس أبو فرد[3] فأعطاهم إبراهيم هنانو من الذخيرة التي أتى بها من تركيا. وهكذا كلما نفدت الذخيرة عند الشيخ صالح جاء أحد الرجلين أو كلاهما فيأخذ ما يلزمهم من السلاح والعتاد من كفر تخاريم. وبما أن إبراهيم هنانو هو الرئيس الإداري فقد كانت علاقة الشيخ صالح العلي معه مباشرة وكذلك المراسلات. ولقد كنت ونجيب عويد قادة حرب، ولاسيما أنني كنت في منطقة مستقلة مطلوب مني إدارتها وقيادتها وهي منطقة لواء الإسكندرونة السليب.

أما بشأن الوثائق التاريخية من كتب ومراسلات بيني وبين الزعماء السياسيين والعسكريين فلقد حدث عند استيلاء الأتراك على اللواء أن جهزوا قوة عسكرية كبيرة قامت بالإغارة على قريتي (التليل) وأحرقوا جميع ما وجدوه من كتب ووثائق وكان منها مراسلتان مع الأمير عبد الله

---

[1] راجع نص الاتفاقية بين الأتراك وإبراهيم هنانو من هذا الكتاب.
[2] الشيخ حبيب محمود علي عيد.
[3] أنيس إبراهيم المحرزي.

والشريف حسين، ولقد كنت غائباً عن القرية آنذاك، وبقيت كذلك حتى هذا التاريخ ولا أدري ما حدث بعدها.

ولقد دونت مذكراتي عن الثورة في كتاب اقتصرت فيه على ذكر المعارك، وليس في الكتاب أية معلومات عن الشيخ وثورته، والكتاب موجود بنسخته الخطية في المتحف الحربي.

ختاماً أقدم لك صادق المودة وأبارك لك همتك العالية وأتمنى لك التوفيق والسلام.



وإننا كمؤرخين نشعر ببالغ الأسف والمرارة لأننا لم نوفق لإضافة الكثير من هذه الكنوز إلى تاريخنا الحديث، ونأمل في المستقبل أن نؤمن إضافة ما فاتنا اليوم من هذه الوثائق الهامة.

***

يقظة صالح العلي... وأخلاقه

كلما اندحر الفرنسيون أمام صالح العلي وأعوانه على المستوى الحربي يلجؤون إلى الأسلوب السياسي، أسلوب المناورات والمفاوضات، علهم يجدون غرة من الثائرين، أو يأنسون غفلة فيغدروا بهم، ويغتالوا الثورة.

كان صالح العلي، مقابل ذلك شديد اليقظة جم الحذر، كثير الحيطة والاحتراس من غدرهم، عالماً بما يبيتون من كيد وما يضمرون من شر، فيرفض طلباتهم بإباء وشمم.

وطلب أحد ضباطهم مقابلة صالح العلي ومفاوضته، وألح في الطلب، تاركاً له حق إملاء الشروط التي يراها، وتحديد الزمان والمكان.

كانت دمشق قد سقطت إثر معركة ميسلون واستشهاد يوسف العظمة، وتفرقت ثورة هنانو وأحاط الفرنسيون بصالح العلي وأعوانه من الساحل والداخل، وتسللوا إلى مواقع الثوار في الجبل.

جمع صالح العلي أركان حربه وتدارسوا أمر الاجتماع وأقروه، وعينوا الزمان والمكان في الشيخ بدر، مقر الثورة والثائرين.

وقال صالح العلي لأعوانه إذا ظهر من الفرنسيين ما يخالف الشروط المتفق عليها فسنعرف كيف نعلمهم احترام القول والوعود، وكل ما أريده وأوكد عليه هو الحذر البالغ من غدر هؤلاء الضباط، وقد خبرتم ألواناً من هذا الكيد والغدر، ونكث العهود.

قال هذا وأصدر تعليماته لأعوانه الأوفياء الأشداء.

وحان الوعد.

جاء الضابط الفرنسي، ومعه عدد من جنوده المسلحين باسم مرافقين ومستشارين.

وجاء صالح العلي ومعه معاوناه عبد الرزاق المحمود وابن عمه الشيخ سليم صالح.

ودارت المفاوضات.

عرض الضابط على الثائرين شروطاً مغرية، مالاً، جاهاً، مناصب، فرفضها الشيخ بكبرياء وازدراء.

ووجه الضابط لصالح العلي قوله: إذن لماذا تحاربنا؟

ضحك صالح العلي من سؤال الضابط وأجابه:

غريب!! هل أعماكم الغرور عن رؤية الواقع؟؟ هل أنا أصوب رصاصي إلى صدور مواطنيك في شوارع باريس؟ أم إن رصاص جنودك يفتك بمواطني في جبال سورية، ومدنها وقراها؟ ولكن.. في أمثالنا مثل يقول: إذا لم تستح فقل ما تشاء!!

استخزى الضابط من جواب الشيخ وسكت ولكنه أشار إلى أعوانه إشارة ذات معنى.

اندفع الجنود الفرنسيين واقفين مصوبين بنادقهم، ورشاشاتهم، إلى صدر الشيخ ورفيقيه، وطلبوا إليهم الاستسلام.

ابتسم الشيخ ساخراً، وأبدى إشارة خاصة، فإذا بعشرات البنادق تمتد من وراء الجدران وتصوب إلى صدر الضابط وأعوانه، ويؤمرون بإلقاء أسلحتهم والاستسلام.

وفي معسكر الثورة قدم إليهم الطعام، فحاولوا الرفض، وجاء من يفهمهم أن رفض الطعام يعني الإهانة عند العرب، و تبادله له شأن في تقاليدهم، وعليهم أن لا يضيعوا الفرصة.. فأكلوا.

وجـاء صـالح العلـي وحيـاهم، فوقفـوا أمامـه مطرقـي الرؤوس مستخزين نادمين.

وتكلم الشيخ قائلاً: أكلتم مـن طعامنـا، فـأنتم آمنـون، بهذا تقتضي تقاليدنا.

إنـني أطلـق سـراحكم، ومـن أخلاقنـا إكـرام الأسـير وإطلاق سراحه.

وأصفح عن غدركم، والصفح من شيمنا وأخلاقنا.

ولا أعاقبكم على غدركم لأنه سجية من سجاياكم.

وموعدنا الساح.

وأرجـع إلـيهم أسـلحتهم، وأرسـل معهـم مـن يوصـلهم إلى مأمنهم.



شعر صالح العلي

أكثر شعر صالح العلي متداول في الأوساط الثقافية والشعبية، ولكنه لم يزل مخطوطاً، أو محفوظاً، يتغنى به الشباب والشيوخ المثقفون، وأشباه المثقفين في مختلف قرى ريف الساحل السوري ومدنه وبعضه منشور في الصحف العربية، وأخصها مجلة العرفان، والفطرة المهجرية[1].

في سنة 1947 نشر عبد اللطيف اليونس كتابه "ثورة صالح العلي" وأشار إلى قصيدتين لصالح العلي في وصف معركتي "وادي ورور" ـ و"وادي جهنم" وهما من أكبر المعارك التي خاضها صالح العلي مع الفرنسيين، وأشدها عنفاً،

---

[1] مجلة العرفان أسسها أحمد عارف الزين في صيدا ـ لبنان ـ منذ اكثر من نصف قرن ولم تزل مستمرة على الصدور حتى اليوم راجع ص 1069 المجلد 35 وجريدة الفطرة أسسها في المهجر ـ الأرجنتين ـ السيد موسى عزيزة باللغتين العربية والإسبانية.

وأكثرها دماء وإسلاباً. ولكنه أبدى شيئاً من "التحفظ" حيال هاتين القصيدتين فقال: من الشعر "المنسوب" لصالح العلي.

وأورد هاتين القصيدتين أيضاً في الطبعة الثانية التي نشرتها وزارة الثقافة والإرشاد القومي في سورية عام؟؟؟ في الصفحات 190 ـ 191 ـ 194 ـ 195 وبنفس التحفظ السابق.

وأوردهما أيضاً أدهم الجندي رئيس لجنة التاريخ الحديث في مؤلفه التاريخي الكبير "تاريخ الثورات السورية" وأورد "التحفظ" الذي أورده عبد اللطيف اليونس، وربما أخذه عنه[1].

وفي عام 1958 نشر الشاعر محمود صالح، قسماً من شعر صالح العلي في كتيب صغير بعنوان "الثورة الحمراء" في قرابة سبعين صفحة ـ من الحجم الصغير مطبوعاً في مطبعة الأندلس ـ حمص ـ ولكن لم يوزع إلا على نطاق محدود.

وفي عام 1968 استدعاني أمين عام وزارة الثقافة الدكتور يوسف شقرا، ودفع إلي بمجموعة من شعر صالح العلي، كانت الوزارة أعدتها للنشر، وطلب إلي القيام بتحقيقها، والعمل على نشرها.

---

[1] هذا القسم من تاريخ الثورات لم يزل مخطوطاً.

وفي يقيني أن تلكؤ الوزارة عن نشر هذه المجموعة ناشئ عن أسباب عديدة أهمها:

1 ــ تلك التحفظات التي أبداها بعض مؤرخي صالح العلي.

2 ــ ما أقرته وزارة المعارف عام 1958 لطلبة المدارس الابتدائية من أن صالح العلي كان أمياً لا يحسن القراءة[1].

3 ـ إن شعر صالح العلي لم يأخذ طريقه للصحف، ولم ينشر في أوساط المثقفين في المدن.

4 ـ لأن المجموعة التي وصلت إلى الوزارة لم تكن محققة وموثقة.

وهذه الأسباب ـ بنظري كافية لأن تجعل الوزارة تتحفظ وتتروى وتتمهل قبل الإقدام على النشر.. ولكن الوزارة ليس لها العذر في التقاعس عن البحث وتقصي الحقيقة حول هذا الموضوع وهي التي سارعت وأعادت نشر كتاب عبد اللطيف اليونس "ثورة صالح العلي" وهذا اعتراف منها بقيمة الكتاب، وتقدير للكتاب ولصالح العلي معاً.

---

[1] وقد نشرت الوزارة أيضاً ما بين الأعوام 1955 ـ 1957 هذا الزعم.

كما أصدرت وزارة التربية لعبد الرحمن الباشا رواية بعنوان "الراية الثالثة" عن ثورة صالح العلي، وأقرتها لطلبة المدارس الثانوية.

وكثيرون كتبوا عن صالح العلي الثائر ولكن لم نجد من كتب، أو أشار إلى صالح العلي... الشاعر.

وشعر صالح العلي صحيح النسبة إليه صحة لا يتطرق إليها الشك، ولا تعتورها الظنون، لأن ثقافة صالح العلي الدينية، والأدبية، والتاريخية كانت ملفت الأنظار في أيامه، وتعتبر ثقافة متميزة، متفوقة، بالنسبة لعصره، فقد كان مرجعاً لطلاب الثقافة الدينية والتاريخية، يتحلقون حوله في بيته، وفي مسجده المشاد بجانب ضريح والده، الذي كان يلازمه منذ فجر شبابه، وخاصة بعد أن اعتزل النضال والسياسة.

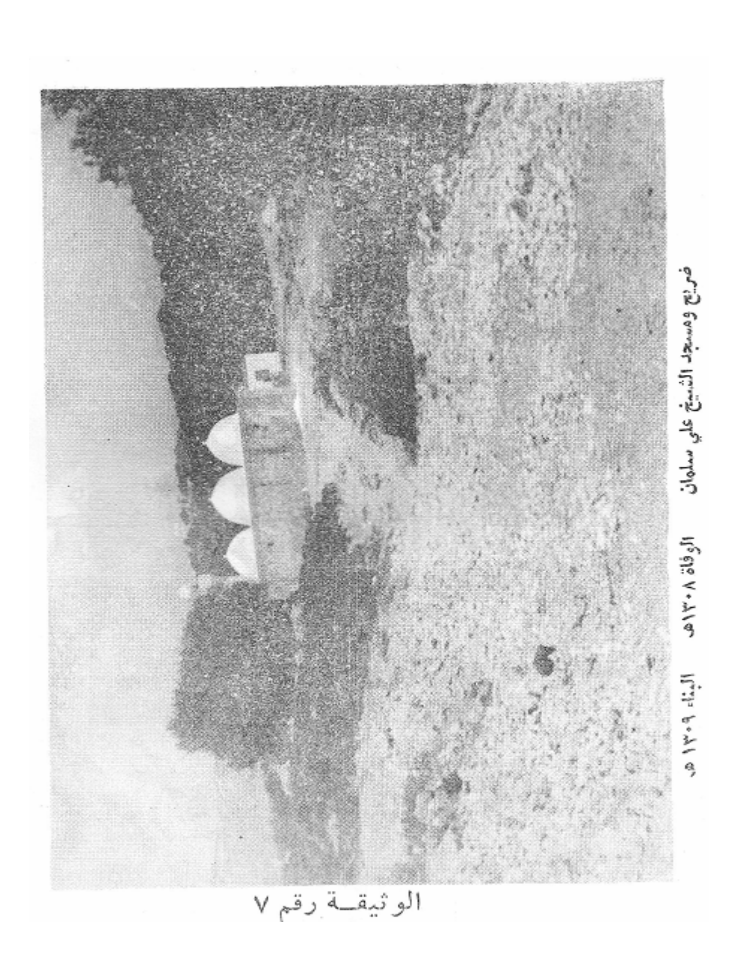
وكان والده الشيخ علي سلمان شاعراً مجيداً، وله مدائح وأخوانيات ومساجلات محفوظة، ومتداولة، ولاسيما في مدح الشيخ يوسف علي الخطيب، ولقد قرأت له شعراً غزلياً رقيقاً لطيفاً شفيفاً ومنه هذا البيت:

تبدي النفار دلالاً، وهي آنسة

يا حسن معنى الرضا في صورة الغضب

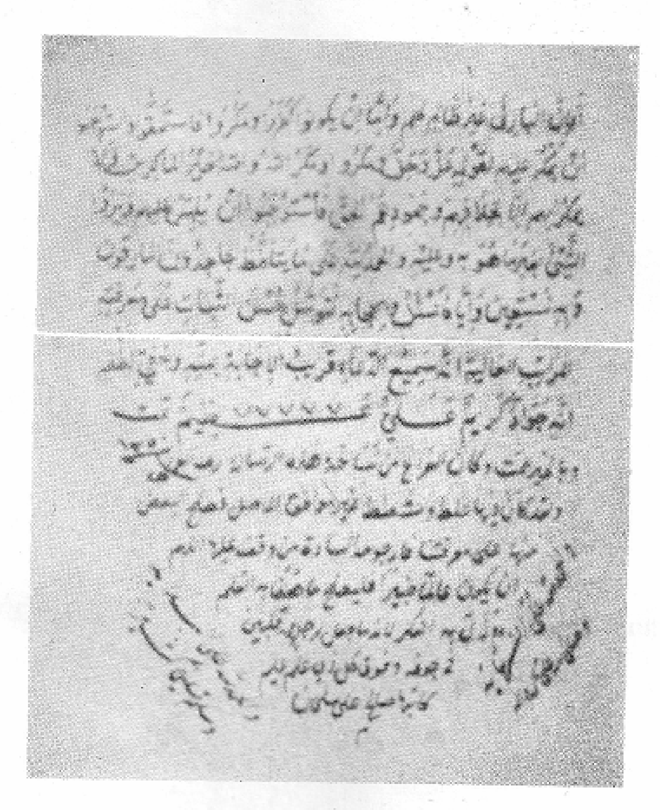
ولدى ورثة صالح العلي مجموعة كبرى من كتب الفقه، والأدب، والتاريخ بخطه الجميل فقد كان حريصاً كل الحرص على نسخ هذه الكتب ليضعها بين يدي طلابه، ورواد حلقته.

وكان رغم تفوقه في الثقافة الدينية، والأدبية والتاريخية، وشدة حرصه وانكبابه على المطالعة ـ متواضعاً، جم التواضع، يقرأ كل ما يكتبه من نثر أو شعر لمن يثق به، وبثقافته من زائريه، ويتقبل ملاحظاتهم، ويأخذ بآرائهم، فيعدل من كلماته، ويلين من تعابيره، ويحذف حيث يرى ذلك موجباً، ويمحو ويثبت، ويزيد وينقص، أينما وجد لفظة أو تعبيراً جديرين بالتعديل أو التبديل.


ضريح ومسجد الشيخ علي سلمان الوفاة ١٣٠٨هـ البناء ١٣٠٩هـ

الوثيقة رقم ٧

الوثيقة رقم ٨



نموذج من خط صالح العلي وتوقيعه

وعثرت أثناء تحقيقي لشعره على عديد من القصائد أجرى فيها الإصلاح والتغيير فأدخل كلمة أو كلمات، وحذف كلمة أو كلمات، وشطب جملة ، أو أسقط بيتاً بكامله، وهذا يقع لكل أديب حريص على الإجادة، مولع بالتنقيح والتحكيك، ويعلم ذلك كل معني بصناعة الحرف المقدس، وكل عان ببضاعة الكلمة الحقة الآسرة المسؤولة، وخاصة في الشعر وجماليته.

وكان الشاعر صالح علي الخطيب أحد الذين اختصهم صالح العلي لكتابة واستنساخ ما يراه مفيداً ونادراً من الكتب على اختلاف مواضيعها، ومن الذين يطمئن لنقاشهم ورأيهم في الشعر خاصة. وظل قيماً على كتبه، ومكتبته حتى وافته المنية عام 1949.

وما أنشره في كتابي هذا ليس كل شعر صالح العلي، فلم يزل هناك قسم منه لم أتمكن من جمعه وتحقيقه، وأكثره مخطوط، محفوظ في الكتب الخاصة، وجامعوه وحافظوه حريصون على صيانته وعدم التفريط به، وربما رأى بعضهم غضاضة وحرجاً، أو بعض الغضاضة والحرج في السماح للآخرين بنشره وخاصة جانب التصوف منه، وقد أكثر الشيخ صالح العلي من هذا اللون بعد اعتزاله السياسة،

وعكوفه في مسجده، وحلقته متعبداً مفكراً متجهاً بكليته، وحرارة عاطفته، إلى العلة الكبرى... إلى الله.

***

النسخ التي اعتمدتها:

ضبطت شعر صالح العلي وحققته وقابلته على ست نسخ، وبعض أجزاء من النسخ:

1 ـ نسخة وزارة الثقافة، وهي مخطوطة بالآلة الكاتبة، وعدد أوراقها 13 ورقة، طول الورقة 32 سم وعرضها 21 ومتوسط عدد الأبيات 31 بيتاً في الصفحة الواحدة، وفي آخرها كلمة صالح العلي التي ألقاها في حفلة تكريمه التي أقيمت في اللاذقية في 25 نيسان 1945 وقد رمزت إلى هذه النسخة بحرف "ب".

2 ـ النسخة التي نشرها الشاعر محمود صالح، طبع مطبعة الأندلس بحمص عام 1958 وعدد أوراقها 35 ورقة من القطع الصغير طول الورقة 15 سم وعرضها 11 سم ومتوسط أبيات الصفحة الواحدة 9 أبيات، وقد رمزت إليها بحرف "ج".

وهاتان النسختان تكادان تكونان مأخوذتين عن بعضهما، لما بينهما من التشابه والتوافق في الترتيب، وحتى الأخطاء تكاد تكون واحدة في كلتيهما، غير أن النسخة "ج" تتضمن بعض المقطوعات زيادة عما في نسخة "ب".

3 ـ نسخة عثرت عليها لدى بعض الورثة وهي بخط جميل، وفيها عدد من الأبيات لم أجدها في ب و ج، وقد اعتمدتها لما فيها من الضبط والتركيز، وعدد ورقاتها 22 ورقة، وطول الصفحة 24سم، وعرضها 17، ومعدل الأبيات في الصفحة الواحدة 12 بيتاً، وقد رمزت إليها بحرف "د".

***

صورة لصفحة من مقدمة النسخة "ج"

وهاهي قصائده النارية اللاهبة تعطينا مثالاً صادقاً لتلك الشاعرية الجياشة وكنت أطلعت على أغلبية قصائده التي كان ينظمها في عدة مناسبات مختلفة وكان جامعها في مجلد ضخم لا يقل عن الثلاثمئة صفحة من القطع الكبير ولسوء الحظ ونكد الطالع فقد هذا الديوان بعد وفاته فهرعت بالتنقيب عنه وبعد الجهد عثرت على قسم من مجموعة قصائده الوطنية فبادرت فوراً إلى طبعها ونشرها حفظاً لهذه الدرر الثمينة الخالدة.

ولد الشيخ صالح العلي سنة 1300هـ في قرية "المريقب" منطقة طرطوس، ناحية الشيخ بدر، من أبوين كريمين؛ ومن أسرة عريقة لها مكانتها المرموقة، ومركزها المعروف. ووالده الشيخ علي سلمان من الشيوخ الذين نذروا أنفسهم لله ولمكرم الأخلاق، وقد بنى مسجداً عمره بالصلاة، واعتكف به طيلة حياته. وكان مرجعاً كبيراً لطلاب العلم والحاجات، يؤمون

مسجده من سائر الأنحاء والجهات، و يحتكمون إليه في صغائر الأمور وجلائلها وكان، علاوة على مركزه الديني الكبير زعيم عشيرة البشارغة المنتشرة في سائر أنحاء الجبل.

لم آل جهداً عن نشر ما قيل في شيخنا البطل لأنني نشرت قسماً كبيراً في مجموعة خاصة من القصائد الطنانة الرنانة.

4 ـ نسخة محمود إسماعيل أحد أقرباء الشيخ صالح العلي وأحد كتبته وعدد ورقاتها 17 ورقة، وطول الصفحة 22 سم، وعرضها 15 سم، ومتوسط أبيات الصفحة الواحدة 13 بيتاً، وقد رمزت إليها بحرف "هـ".

5 ـ نسخة بخط صالح العلي نفسه، وفيها زيادات عن النسخ المذكورة، وأكثر هذه الزيادة في التصوف والاستغفار، وعدد أوراقها 40 ورقة، وطول الصفحة 31سم، وعرضها 17سم، ومتوسط الأبيات في الصفحة الواحدة 14 بيتاً، وقد رمزت إليها بحرف "و".

6 ـ نسخة يوسف علي الخطيب، وعدد أوراقها 28، وطول الورقة 21سم، وعرضها 14، ومتوسط الأبيات في الصفحة الواحدة 15 بيتاً، وقد رمزت إليها بحرف "ز".

صورة لصفحة من مقدمة النسخة رقم «د»

برئت ذمة العروبة ممن عن لقاكم يملّ أو يتقهقر
لا يغرنكم رجال طغى الجهل عليهم فإنهم شر معشر
يعبدون الدينار لا يرهبون العار قوم عداهم كل مفخر
نفر ضل سعيهم فانبذوهم سوف يأتيهم العذاب الأكبر

خسئت طائراتكم إننا الطود رسيا لا يهاب خسفا ويحذر
كيف يا أسفه الأنام جهلتم ما حكاه التاريخ عنا وسطر
عودة إن جهلتمونا إلى السير واقرأوا من كتابنا ما تيسر
هل رأيتم أبطال يعرب هانوا أم عليهم منكم مليك تأمر
سائلوا إن جهلتم عزة العرب عن الفاتحين كسرى وقيصر

يا فرنسا أبيت إلا اقتتالا وبهذا قضى الإله وقدر
وملأت البحر الخضم سفينا ورحاب البر عتادا وعسكر
ومن الطائرات قد أفعم الجو وكادت شمس النهار تكور
وبذرت الشقاق بين شقيقين فذا مسلم وذاك تنصر
وظننت الأمر استتب وفيه شر ما قدمت يداك فكر

وهنـاك جـزء مـن نـسخة في حـوزة الـشيخ أحمـد محمـد رمضان كبير أوصياء صالح العلي، وفيها أبيـات زيـادة عمـا في النسخ الأخرى وخاصة في قصيدة "وادي جهنم".

وعثرت على مقاطع متفرقة، بعضها ورد في بعض النسخ، وبعضها ورد مستقلاً، ولزيادة التوثيق نشرت صورة فوتوغرافيـة لبعض الصفحات من النسخ المشار إليها.

وكل أملي أن أكون وفقت في عملـي، وقمـت بجهـد يليـق بصالـح العلي وشعره وجهاده ونضاله، خدمـة لـلأدب، وتقـديراً للجهاد، و اذكاء لروح الثائرين، وإنارة لبصائر الناشئة، ووفاء لـدين واجب القـضاء، مستحق الأداء، وإضـافة صـفحة مـشرقة لتاريخ الأدب والنضال.

***

المقاصد العامة
في
شعر صالح العلي

ينقسم شعر صالح العلي من حيث مواضيعه العامة إلى أقسام أهمها:

1 ـ الجانب القومي: ويتركز على التغني بالعرب والعروبة، والإشادة بماضي الأمة وأمجادها، وفتوحاتها، والدعوة لبعث حضارتها، والنضال في سبيل تحقيق أهدافها القومية، ومقاومة مناوئيها، والعمل على وحدتها.

2 ـ الجانب الوطني: ويدور حول سورية العربية وما يبيته لها الأعداء من زعماء رجعيين ضالعين مع الاستعمار والمستعمرين، والحض على الجهاد لإعلاء شأنها، وتضامن أبنائها وتراصهم، وبذل كل غال ونفس ونفيس لحمايتها، وصيانة أرض الوطن من العادين والغزاة والمتآمرين.

3 ـ الجانب التاريخي: وفيه إشارات للمواقف التي كان لها أثرها في التاريخ وأحداثه واتجاهه، ويدعو إلى الافتداء بالسلف، والاستنارة بهدي الأجداد.

4 ـ الثورة: ويعلل الأسباب والبواعث التي دعته ورفاقه الثائرين لحمل السلاح، ومقارعة الدخلاء، ودفع العدوان عن تراب الوطن، وينذر الغاصبين بشر مصير.

5 ـ المباهاة بالشرق، لأنه مهد العروبة، مهد الرسالات، مجلى النور، والتعريض بالغرب لأن الفرنسيين وكل المستعمرين من أبناء الغرب.

6 ـ العتاب والتقريع: ويعرض بالمتقاعسين المتواكلين والمتخاذلين وممالئي الدخلاء.

7 ـ الوصف وأكثره في ذكر المعارك، ووصفها، وبطولة أتباعه.

8 ـ الإخوانيات: وفيه مراسلات بينه وبين الخلص من أصدقائه.

9 ـ الحكم: وتدور حول الحياة والتجارب، وما يلقاه الإنسان الحكيم من المآسي والفواجع والمواجع.

10 ـ إيمانه بالله وبالوطن، والرسول وآله أبناء فاطمة.

***

الشرق والغرب في شعر صالح العلي

صليبة الأمس وصليبية اليوم

وداعاً يا سورية! وداعاً لا لقاء بعده.

كلمات لائعة مكلومة، حسيرة مريرة، مهزومة، قالها هرقل الروم، وهو يغادر سورية مدحوراً.

وداعاً يا سورية!! وسنعود يا صلاح الدين.

كلمات فيها يأس ومرارة، وفيها أمل واعتداد، وفيها ذل وانكسار، وفيها انتفاضة كبرياء، قالها أحد قادة الصليبين بعد اندحارهم في معركة حطين عام 1187.

معارك طاحنة مستمرة عبر ما يقرب من مئتي عام 1095 ـ 1248 ازكاها حقد بغيض، وأوقد لهبها تعصب ذميم، وأجج شعلولها الراهب "أريانوس" تحت شعار الدين، واسترجاع الأماكن المقدسة من أيدي العرب والمسلمين.

سبع حملات متلاحقة، دامت مئتي عام، أو ما يقارب المئتي عام، من الصراع المرير بين الغرب والشرق. أزهقت فيها

الأرواح، ودمرت المدن، وشوهت المدنية والحضارة، ولوثت تاريخ الإنسان.

ويدور الفلك. وتدور الأرض حول أمها الشمس 670 دورة، ويأتي عام 1918 وتتدفق جيوش الغرب ـ جيوش فرنسا وبريطانيا ـ على سواحل المتوسط الشرقية، من "كليكيا" في الشمال، إلى مضيق باب "المندب" في الجنوب مروراً بشواطئ بلاد الشام.

غزوة صليبية جديدة، وما أكثر غزوات الغرب الصليبية لهذا الشرق!!

ويقف الجنرال "غورو" قائد جيوش فرنسا لغزو الشرق، على قبر صلاح الدين في دمشق، مزهواً مغروراً حاقداً، محققاً حلم أجداده، قائلاً: يا صلاح الدين ها قد عدنا.

كلمات فيها تحد وشماتة، وضغينة، وفيها روح تاريخ أسود، وحقد بغيض دفين، كمين كبيت، يتململ عبر ثمانية قرون.

وكما تصدى العرب بقيادة صلاح الدين وغيره لهذه الحملات من قبل، يتصدى صالح العلي، وهنانو، والأشمر، والأطرش، ورفاقهم من أعلام الجهاد لهذه الغزوة الجديدة، ويوقدونها حرباً ضروساً شعواء باسم الوطن، وحرية الشعوب.

وهكذا تعيش الأمم والشعوب تاريخها، وتتحرك بروح أجدادها حقداً، أو تسامحاً، إنسانية أو همجية!!

لقد انتفض الإباء العربي، وضجت الدماء هادرة في العروق، وشمخت الكرامة جريحة متحدية، وانطلقت ثورة صالح العلي.

لقد تعددت الطرق، وتنوعت الوسائل ـ وسائل غزو الغرب للشرق ــ فكانت في العهود الرومانية، فتحاً واغتصاباً وعبودية، تحيل أبناء هذا الشرق إلى عمال وإجراء وعبيد أقنان.

وكانت في العصر الوسيط حماساً مسعوراً باسم الدين، ودعوة محمومة فاجرة، لاسترداد قبر السيد المسيح ومهده وكنيسته.

وممن؟؟؟ من أهل السيد المسيح، وقومه، وعشيره، وقبيله.

وفي مطلع القرن العشرين أقبل الغرب باسم الوصاية والانتداب، وتمدين الشعوب. ولما دحر على كل المستويات السياسية، والعسكرية، والثقافية، تسلل عائداً تحت شعار الثقافة، والمصالح الاقتصادية لامتصاص خيرات الأمم والشعوب، واستنزاف مواردها الطبيعية، وثرواتها الحيوية،

وتحويلها إلى مناطق نفوذ لتجارته، وأسواق بيع واستهلاك، لسلعه وأدواته.

وأخيراً... جاء بغزوة حاقدة تعبر عما في صدره من الغل والضغينة على الأمة العربية.

جاء بالصهيونية الاستيطانية ـ على ما في الصهيونية من خطر على مصالحه في المنطقة ـ وهيأ لها كل الوسائل المادية والعسكرية، والإعلامية، لتتمكن من قهر الأمة العربية ليشفي ما في صدره من غل وحقد تاريخي.

واليوم عاد الروم.. لكن بعدما

مسخوا، وقيل: تقمصوا، فتهودوا

***

وبعد سبعة وعشرين عاماً بدءاً من ثورة صالح العلي 1918 ـ 1921 وحتى عام 1946، وبعد مجازر رهيبة وحشية، قام بها السفاح الفرنسي "أوليفه روجيه" وبعد التمثيل، والتشويه، والهمجية، التي ارتكبها جنوده في البرلمان السوري، وفي أحياء دمشق، وبقية المدن السورية، ينـدحر المستعمرون مخذولين

أذلاء، ويجلون عن سورية في 17 نيسان 1946 مرددين ما ردده أجدادهم من قبل:

وداعاً يا سورية.

ولكنه وداع لا لقاء، ولا عودة بعده.

ولئن لم يتسن لثورة صالح العلي أن تحقق الجلاء المباشر، فقد حققه الشعب العربي في سورية. هذا الشعب الذي اتخذ من صالح العلي رمزاً للجهاد والنضال، ومن ثورته منطلقاً ومناراً، لم يخمد بركان عزيمته، حتى حقق الجلاء مكتوباً بالنور، والدموع، والعرق والدماء.

***

ويأتي دور صالح العلي الشاعر ليعبر عن الصراع بين الشرق والغرب شعراً، بعد أن عبر عنه صالح العلي الثائر ثورة ورصاصاً، وشآبيب لهب ودماء.

كان صالح العلي يعيش التاريخ ـ كل التاريخ العربي ـ يعيش روح أجداده العرب، يعيش روح الشرق، كما كان أعداؤه يعيشون روح أجدادهم، وروح الغرب الحانقة الحاقدة على هذا الشرق.

كان يعي قضية الشرق، والمسألة الشرقية، وموقف الغرب المتربص من هذه القضية[1].

كان يملك تصوراً ذهنياً وسياسياً واضح الرؤية، في ذلك الزمن المبكر.

كان يحدد المساحة والأطر للتفكير والعمل، والنقاش لكل ما يبيته الغرب للشرق من كيد ودسائس ومفاجآت.

يدرك كل ظاهرة، ويرصد كل تحرك وبادرة، ويحدد البواعث والأهداف، ويجردها ويفضحها، ويعريها، ويهيء الهجوم المعاكس.

وكان ـ على كثرة المهاوي والمزالق والالتواءات التي يضعها الدخلاء في طريقه ـ شديد الحيطة، كثير الحذر، بالغ اليقظة، سريع الانتباه، صحيح المحاكمة لكل ظاهرة وخاطرة ونأمة، يقوم بها الفرنسيون والإنكليز سواء على

---

[1] يقول بوانكاريه في مجلس الشيوخ الفرنسي:
إن المسألة الشرقية التي ارتسمت أمام الأنظار منذ أجيال كلغز عويص لا يمكن حله والتي دخلت ـ على الرغم من جهودنا ـ في طور جديد، هذه المسألة ستحل الآن في اتجاه أكثر تطابقاً مع المشاريع والآراء الفرنسية، ولست بحاجة إلى القول بأن لنا مصالح تقليدية في سورية ولبنان بوجه خاص، وإننا متفقون على حمل الجميع على احترام هذه المصالح (يوم ميسلون ص 32).

المستوى السياسي وألاعيبه، أو على المستوى العسكري وشراسته وعنجهيته.

بيتوا له المكايد، هيؤوا الوسائل، أضمروا الغدر، نظموا الوقيعة.. ولكنه تحاشى كل ذلك، تفاداه، فوت عليهم مقاصدهم، ضيع فرصهم، بثاقب بصره، ونفاذ بصيرته، وصفاء حدسه، وحسن رأيه، وحكمة تدبيره، كأنه يقرأ كل ما يسرونه ويضمرونه ويبيتونه في كتاب مفتوح، كأنه يشارك في وضع خططهم وأفانين كيدهم.

وكان ينطلق في كل ذلك من منطلقين اثنين:

أولهما: ثقته بربه، ونفسه، ووطنه، وأمته، وإخلاصه في عمله، وتوطين نفسه على التضحية والمفاداة.

وثانيهما: إنه كان يحكم على أعدائه من تاريخهم البعيد، ويؤمن إيماناً راسخاً ومطلقاً بخستهم، وسوء نواياهم، وخبث سريرتهم، فلا يرقب فيهم ومنهم عهداً، ولا ذمة.

أليس لديه الدليل على كذب عهودهم، وخلف وعودهم؟؟

دليل واضح فاضح، ووثيقة دامغة قاطعة.

هاهو الحسين بن علي حليف الأمس، وظهير النضال، وها هو ابنه فيصل يخرج من دمشق جريح الفؤاد، دامع المقلتين، وحرابهم تتحداه وتتعقبه.

فأين الوعود؟ وأين المواثيق والعهود؟؟ أين الدولة العربية الموحدة؟ ترفرف عليها الراية العربية؟ ويجلس على عرشها أبناؤه؟

هؤلاء المستعمرون الطارئون على البلاد، هم ـ في رأي صالح العلي ـ أحفاد أولئك الغزاة الذين اجتاحوا الأرض العربية منذ أربعة عشر قرناً، ومازالوا يوالون الغزوة إثر الغزوة، ويعاودون الكرة تلو الكرة، ويلقون الإخفاق عقب الإخفاق، ليس لهم وازع من ضمير، ولا رادع من وجدان.

***

وجاء شعر صالح العلي كثورته، صورة صحيحة صادقة عن روحه ونفسيته، وتعبيراً عن عمله وتحركه الاجتماعي، والقومي، والوطني، صافياً كطبيعته، واضحاً كفكرته، عميقاً صميمياً كعقيدته، نقياً كسريرته ليس فيه غموض، ولا تعقيد، ولا تعمية، ولا غمغمة..، فيه البطولة، وفيه الإباء، يطفح بالإنفة والكبرياء، فيه الثورة والتمرد، وفيه ـ إلى جانب كل هذا ـ التواضع والدعة، والإيثار، والتضحية، والمفاداة.

وشعر صالح العلي وإن كانت الثورة منطلقة ، ونفسية التأثر أرضيته، وروح المقاتل تختلج بين أحرفه وكلماته وسطوره، فقد تناول بالإضافة إلى منطلقه وأرضيته؛ جوانب

متعددة من السياسة، والمجتمع، والوطن، والقومية، والطابور الخامس، وصراع الغرب والشرق.

ولعل المسألة الشرقية وما يحاك حولها، وينفذ ضدها من المؤامرات، استأثرت بالكثير من اهتمام صالح العلي، وشعر صالح العلي، ولا غرابة في ذلك، فهي أم القضايا، وأعقد المشاكل، ومثار كل الحوادث.

طلب الغرب ثأره من بني الشرق

ووافى بعدة وعتاد

دافعوا عن بلادكم يا بني الشرق

وسيروا إلى العلى باتحاد[1]

رفاة حماة الشرق أقيال يعرب

تناديكم: لا تقبلوا الجور والعسفا

***

نصحتهم، خلوا البلاد وشأنها

ولا تسلكوا يا غرب، في شرقنا دربا

***

---

[1] كل الأمثلة الشعرية هنا هي من شعر صالح العلي.

يـا بـني الغـرب، حـاذروا غـضبة

إذا اســــتهدف الفخـــــار، ويمــــم

***

والـشرق كمـا يـراه صـالح العلـي مطلـع النـور، ومـصدر الهدايـة، ومهـد الرسـالات، عـاطر الريـاض، خـصب المرابـع، طيـب الجنـان، نفـيح بـالعطر والريحـان، مرتـع الحـور والولـدان كوثري الماء، أمنـع منـالاً مـن الـنجم علـى سموه ورفعتـه، تـراث اليعربيين الكماة، هذا هو الشرق بتاريخه وماضيه وفتوحاته، فماذا تضمره وتنويه يا غرب؟؟

هـل الـشرق إلا مـشرق النـور والـسنا

وروض البهـا المعطـار، والمربـع الخصب؟

هــل الــشرق إلا جنــة طــاب غرســها

بها الحـور والولـدان، والـكوثر العذب؟

هــل الــشرق إلا الــنجم عــزاً ومنعــة

يطــل علــى الــدنيا، وإدراكــه صــعب

تــراث الكمــاة اليعــربيين لم يــزل

منيعاً، فما تنوي على الشرق يـا غـرب؟؟

وما بلغ الشرق هذه المكانة هداية، وعزة وامتناعاً ونعمى وأمجاداً إلا لأنه موطن العرب ومهد العروبة.

اليعربيــــون جــــل الله فــــاطرهم

مـن ذكـرهم في سمـاء المجـد متـصل

***

لا يفخـــر الأجـــنبي المـــستبد بكـــم

فالمجـد، والفخـر، والعليـاء، للعـرب

***

هـاكم الـصيد، هـاكم كـل ليـث

يعربـي، شـاكي الـسلاح، غـضنفر

ودعـوا كبريـاءكم يـا بـني الغـرب،

فـــذا الـــشرق كـــم أذل، وصـــغر

وثبـــة للعـــلاء يـــا أمـــل الـــشرق،

فمـــا الحـــر غـــير مـــن يتحـــرر

هـــاهو الأجـــنبي جـــاء مـــن الغـــرب،

ليـــــستعمر الـــــبلاد، ويقهـــــر

وطـــن العـــرب لا تهـــن للأعـــادي

أيهـــا الـــشرق، وانـــتفض، وتنمـــر

إن مـــن خـــان عهـــد عـــزك يـــا شـــرق،

لجـــان جنايـــة لـــيس تغفـــر

ســـائلوا ـــ إن جهلـــتم عـــزة العـــرب

عـــن الفـــاتحين: كـــسرى وقيـــصر

***

ويحز في نفسه، ويكاد يفت في عضده، وينكأ جراحه، ويستثير شجونه وآلامه أولئك الخونة والمراؤون، وإذناب المستعمرين، والضالعون في ركابهم من العملاء والأجراء، الذين كانوا عيوناً راصدة، ترصد حركات وتحركات الثائرين، وتحصي عليهم سكناتهم وأنفاسهم، خدمة لسادتهم، وتمشياً مع روح الخيانة والعمالة المتأصلة في طبيعتهم، هؤلاء الذين أطلق عليهم المصطلح المعاصر اسم "الطابور الخامس"، والمعروفون بالمصطلح السياسي باسم "الجواسيس"، هؤلاء الذين باعوا أنفسهم وضمائرهم وأوطانهم وأمتهم بيعة بخس، ووكس وخسران، فبرئت منهم ذمة العروبة، والوطن، هؤلاء الذين تفضحهم ملامحهم، وسيماء وجوههم، وما أصدق القول، يكاد المجرم يقول: خذوني!!

يخادعنـــا بعـــض اللئـــام بمكـــره

ويحـسب أنـا لا نحـيط بـه عرفـا

يريـد بفعـل المكـر نـصر عـدونا

وهيهات ليس المكر عن صالح يخفى

وأقـرأ فيـه مـن أسـرة وجهـه الـضغائن

حرفـــاً مـــن ضـــمائره حرفـــا

***

برئـــت ذمـــة العروبـــة ممـــن

عـــن لقـــاكم يكـــل أو يتقهقـــر

لا يغرنكم رجال طغى الجهل عليهم

فـــــإنهم شـــــر معـــــشر

يعبـدون الـدينار، لا يرهبـون العـار،

قـــوم عـــداهم كـــل مفخـــر

نفـــر ضـــل ســـعيهم، فانبـــذوهم

ســـوف يـــأتيهم العـــذاب الأكـــبر

***

لا رعـى الله معـشراً أخلفـوا الوعـد،

وماتـــــت نفوســـــهم والـــــضمائر

مهـد الـدرب للـدخيل، وبـاع الأهـل

والأرض بيعـــة الـــوكس، خاســـر

***

ويـدرك الوسـائل الملتويـة والـصغار والأسـاليب الـتي لجـأ، ويلجأ إليها الـدخلاء وجواسيسهم مـن إشـاعة الـدعايات اللئيمـة المسمومة، ونـشر الطائفيـة، والعـشائرية، والعائليـة في أوسـاط الـشعب، وإيقـاظ النعـرات المذهبيـة بـين الفئـات، توصـلاً لأغراضهم وأهدافهم بهذه الطرق العوجاء والنفوس الدنيئة.

تبــذرون الــشقاق بــين شــقيقين،

فـــذا مـــسلم وذاك تتـــصر

عنـدما احتـل الفرنـسيون جزيـرة أرواد قبـل جـلاء الجيـوش التركيـة عـن سـورية، اسـتطاعوا أن يتـصلوا بـبعض العناصـر والأسـر، ويهيئـوا مـنهم "طـابوراً خامـساً"، يرصـد تحركـات الـوطنيين، ويـوافيهم بتقـاريره، عـن الوضـع العـام في المنطقـة والبلاد، عنـد ذلـك تنبهـت الـسلطات التركيـة للخطـر، فقامـت بنفي بعض هذه الأسر إلى شرقي الأناضول.

وهـذه الوسـائل الخسيـسة كانـت ــ ومازالـت ــ سـلاح المستعمر والحاقد والشعوبي المتربص يشهرها سلاحاً فتاكاً في وجه الأمم والشعوب، ويدسها سماً قاتلاً للعقول والنفوس.

بني الغرب لا أبغي من الحرب ثروة

ولا أترجى نيل جاه ومنصب[1]

ولكنني أسعى لعزة موطن

أبي، إلى كل النفوس محبب

كفاكم خداعاً، وافتراء، وخسة

وكيداً، وعدواناً، لأبناء يعرب

تودون باسم الدين تفريق أمة

تسامى بنوها فوق لون ومذهب[2]

---

[1] لم ترد في نسختي ب و ج ووردت في نسخة د.

[2] يقول لويس ماسنيون: إن من حق العرب علينا أن نرفع الصوت عالياً لنطلب إليهم أن يقاوموا الدعايات المبتذلة التي تقترح عليهم أن يتناسوا أمجادهم ويتنازلوا عن شرفهم وتقاليدهم ليستسلموا إلى القوى الاستعمارية ورؤوس الأموال المصرفية فليصمد العرب لأن العالم بأمس الحاجة إليهم، وليحترموا عربيتهم هذه الآلة اللغوية الصافية التي تصلح لنقل اكتشافات الفكر في كل الأقطار والأمصار، وليحافظوا على أصالتها فلا تنقلب مسخاً مقلداً للغات الآرية (ماكس فانتاجو: المعجزة العربية).

تعـيش بـدين الحـب قـولا ونيـة

وتـدفع عـن أوطانهـا كـل أجـنبي

ومـا شـرع عيـسى غـير شـرع محمـد

ومـا الـوطن الغـالي سـوى الأم والأب

ويحض قومه وأمته على التضامن واليقظة والتراص في مواجهة العدو كغيرهم من الأمم والشعوب المناضلة عن حقها في الحياة، المنافحة عن أرض أوطانها، ومقدسات تاريخها وتراثها.

مـاذا علـيكم لـو تعاهـدتم علـى

دفـع العـدو كأمـة اليابـان

ومع أن صالح العلي ثار ـ أول ما ثار ـ على الأتراك، على عنصريتهم، على تماديهم في التجني على العناصر العربية، على حقدهم السافر على كل حركة عربية قومية، فإننا لا نجد في شعره شيئاً من النيل منهم، أو التعريض بهم، لا تصريحاً، ولا تلميحاً، فهل يعني هذا أن صالح العلي كان مأخوذاً بالفكرة التي كانت تسود الأفكار في الإمبراطورية العثمانية، من أن ملوك بني عثمان هم "خلفاء" و"حماة الإسلام" و"الحرمين الشريفين". و. و.

صالح العلي يعتز بالحضارة الإسلامية، ويرى فيها المثل الأعلى للحياة الإنسانية والمجتمع الفاضل القائم على العدالة والمساواة والأخلاق.. ولكنه لا يقر النزعات الطائفية والمذهبية، والعنصرية، فناضل ضدها، ودعا إلى نبذها.

ولعل قسماً من شعره يتناول هذه الناحية ـ ناحية الثورة على الأتراك ـ لم يصل إلينا. إذ أن شعراً كشعر صالح العلي يرصد الكثير من الحياة السياسية في تلك المرحلة، والحركات القومية والعسكرية، ويدعو لليقظة، ويحض على الإصلاح، ويفاخر بالتاريخ، ويباهي بالتراث.. إن شعراً هذا شأنه لا يغفل جانباً من الحياة التي عاشها، ومارسها، وعاناها حرباً وثورة، ونضالاً.



صالح العلي... الثائر

وقبل الدخول إلى حرم الشعر ـ شعر صالح العلي ـ لا بد من إلمامة تاريخية خاطفة مكثفة جامعة لثورته توضح أسبابها ودوافعها، وتصف أهم أحداثها، تمهيداً لهذا الشعر وتصديراً له وتفسيراً، لأنه يدور في نطاق تلك الثورة، ويعبر عن أحداثها، ويدرج على أرضيتها، ويتغنى بطولاتها، وتمده بزخمها، ولهبها، وعنفوانها.

هذا الشعر الذي يترجم لفظاً وتعبيراً، وصورة وموسيقا، لغة الثورة والثائرين، رصاصاً، وقنابل، وأزيزاً، ودمدمة وهديراً.

يصف وقائعها، وحوادثها وأحداثها وأمكنتها، وآثارها وأثرها في المجتمع والنفس ـ نفس الفرد، ونفسية الجماعة ـ ليسلمها للأجيال.. للأحفاد... للتاريخ.

رعف لهيب.

وانتفاضة كبرياء.

وخيلاء بطولة.

الثورة في أرقام وسطور

❖- في سنة 1915 شكل السفاح جمال باشا الوالي التركي في بلدة "عاليه" لبنان محكمة عسكرية عرفية لمحاكمة أحرار العرب الذين يطالبون بالاستقلال الذاتي لوطنهم.

- وفي آب 1915 أصدرت هذه المحكمة حكماً بالإعدام على القافلة الأولى من الشهداء، وأعدموا شنقاً في بيروت.

- وفي 6 أيار 1916 أعدمت القافلة الثانية من الشهداء في ساحة المرجة بدمشق.

- وفي 10 حزيران 1916 ثار الحسين بن علي في الحجاز على الأتراك بعد أن قطع له الحلفاء بلسان السير مكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر عهوداً ووعوداً بتوحيد البلاد العربية وتنصيبه ملكاً عليها، فأرسل رسله ودعاته إلى البلاد العربية يحضونها ويحرضونها على الثورة ضد الأتراك، وقد ضج العرب من عسفهم وجورهم، وصلفهم وغرورهم،

وعنـصريتهم، وتنكيلـهم بـأحرارهم، وتعلـيقهم علـى أعـواد المشانق.

ـ وثار صالح العلـي علـى الأتـراك عـام 1918 بعـد أن اتـصل بـه رسـل الـشريف حسين، وبـدأ اصـطدامه معهم عنـدما حـاول بعـض جنـودهم اقتحـام بيتـه في قريتـه "كـاف الجـاع" بناحيـة القـدموس، باعتبـاره ميـالاً ومؤيـداً لـسياسة الـشريف حـسين، فاتخذ من هذه المناسبة وسيلة وذريعة، وأطلـق عليهم الرصـاص فقتل منهم اثنين.

وحاولـت الـسلطات التركيـة بعـد هـذه الحادثـة اعتقالـه ومحاكمته، فامتنع واستعصى، وحمل السلاح، .. وثار.

ــ ترصـد صـالح العلـي مـن معقلـه في الـشيخ بـدر جنـود الأتـراك وقوافلـهم العـابرة علـى طريـق حمـاة ــ طرطـوس مـروراً بالشيخ بدر.

وفي منتصف هذه الطريق، وفي الموقع المعروف بـ "النويحة" والواقـع علـى مـسافة 5 كيلـو مـترات في الجهـة الـشرقية مـن الشيخ بدر نشب أول معركـة بينه وبـين رجـال القوافل وحماتها من الجنود الأتـراك، حيـث هـاجمهم برجالـه، وتغلـب علـيهم، و هـزمهم، وغنم سـلاحهم ومعداتهم، وحمولة قافلتهم.

ـ ولعل أكبر معركة بين ثوار صالح العلي وبين الأتراك هي معركة "وادي العيون" حيث تصدى الثائرون لمجموعة كبيرة من الجند التركي تعبر الجبال باتجاه الشمال مجهزة بكل وسائل الدفاع وأنواع الأسلحة، فاشتبكوا معها ودارت معركة أسفرت عن مجزرة رهيبة بلغ فيها عدد القتلى من الأتراك ثمانين قتيلا، وهرب الباقون، وغنم الثوار كل سلاحهم وعتادهم، وسقط من الثوار عدد من القتلى وفيهم بعض النساء.

وظل صالح العلي ورجاله يتعقبون الجنود الأتراك، ويلاحقونهم حتى اضطروهم إلى تحويل طريقهم عن منطقة الشيخ بدر ـ طرطوس ـ إلى حمص ـ طرطوس. وأصبحت المنطقة نظيفة من ظل جنودهم البغيض.

***

ـ في أول تشرين الأول 1918 دخلت جيوش الحلفاء سورية بقيادة الجنرال اللنبي قائد الجيوش المتحالفة، وفيصل بن

الحسين قائد الجيش العربي، والضباط الفرنسيين، و... لورنس ملك العرب غير المتوج[1] ونوري السعيد.

ــ كان نوري السعيد يحمل رتبة جنرال في الجيش العربي، وكان توماس لورنس مستشاراً سياسياً لفيصل، وضابط ارتباط بين قيادة جيوش الحلفاء والجيش العربي لأنه يجيد العربية.

ـ في الأول من تشرين الأول 1918 هبت دمشق بغوطتها، وأنهارها، بكنائسها، ومآذنها بلغتها العربية، وأحجارها الآرامية، هبت أقدم مدينة في التاريخ بشيبها وشبابها، ونسائها ورجالها، كهولها وأطفالها، لتستقبل الوافد من الصحراء من مكة مهد الإسلام الحامل في برديه وفي عطفيه تاريخ العروبة، وفي أردانه نفاح الشيخ والقيصوم، فيصل بن الحسين، ليقيم صرح الدولة العربية الواحدة، ترفرف عليها الراية العربية الواحدة، بعد استعمار تركي بغيض جثم على صدر الأمة طيلة أربعة قرون 1516 ـ 1918.

---

[1] قال السير مكماهون نائب ملك بريطانيا في مصر لتوماس لورنس عندما عينه مستشاراً للأمير فيصل بن الحسين: لقد تأكد لنا من أن فكرة ما أخذت تتغلغل بين العرب في جميع الأقطار التي يسكنونها، وعرفنا بأن سورية ــ أو دمشق على الأصح ــ أضحت البؤرة الأساسية لتلك الفكرة (يقصد فكرة القومية العربية).

ـ في 5 تشرين الأول 1918 أذاع فيصل على الشعب العربي في سورية بياناً يطلب فيه من الشعب التضامن والاتحاد لإنشاء الدولة العربية الواحدة.

ــ في 8 تشرين الأول 1918 أي بعد سبعة أيام من دخول فيصل إلى سورية نزلت الجيوش الفرنسية على الشواطئ السورية، وأنزلت العلم العربي عن الدوائر الرسمية، ورفعت العلم الفرنسي مكانه، وأظهرت بذلك نواياها، ونوايا الحلفاء وأنهم وضعوا معاهدة سايكس ـ بيكو الفرنسية البريطانية السرية موضع التنفيذ، ساخرين بالوعود، هازئين بالعهود.

ـ في 8 تشرين الثاني 1918 وبعد هدنة "مودروس" أذاعت فرنسا وبريطانيا بياناً مشتركاً صرحتا فيه: إن ما هدفناه إليه من الحرب ـ وهو تحرير الشعوب الخاضعة للنير العثماني ـ قد تحقق الآن، وانهما مستعدتان منذ اليوم لإقامة حكومات مستقلة في سورية، والعراق تكفل لهذين القطرين تطوراً سياسياً حراً.

ـ وكان قد سبق هذا التصريح معاهدة سايكس ـ بيكو السرية[1] كما سبقه وعد بلفور في 2 تشرين الثاني 1917 بإنشاء الوطن اليهودي في فلسطين.

***

ـ في 15 كانون الأول 1918 عقد صالح العلي مؤتمراً ضم عديداً من شيوخ الجبل وزعمائه، وأسفر هذا المؤتمر عن:

1 ـ عدم الاستسلام للفرنسيين.

2 ـ الدفاع عن الوطن وعن الحرية.

3 ـ مبايعة صالح العلي بالقيادة.

ـ بلغت أنباء هذا المؤتمر الفرنسيين بواسطة عملائهم، فدعوا صالح العلي للاجتماع بهم فأبى، فجهزوا عليه أولى حملاتهم التي تحركت من بلدة القدموس، وهاجمته من الشرق فانقض عليها برجاله وهزمها شر هزيمة مخلفة وراءها 35 قتيلاً، وعدداً من الأسرى والجرحى، وعديداً من الأسلحة والعتاد والذخيرة.

---

[1] تمت هذه المعاهدة بين فرنسا وبريطانيا في 26 أيار 1916.

ـ يقول الفرنسيون في الكتاب الذهبي لجيوش الشرق:

احتلت جيوشنا مدينة اللاذقية في أوائل عام 1918 وعلى الإثر انتفض العلويون علينا وأعلنوا العصيان بقيادة أحد الإقطاعيين الشيخ صالح العلي، وقد استطاع ذلك الطاغية وأنصاره أن يحتفظ بالجبل حتى غاية 1921 وقد استطاع العصاة أن يقلقوا أمننا، ويهاجموا كتائبنا، ومراكز جيوشنا ومعسكراتنا طوال هذه المدة.

ـ ومن الجدير أن نلاحظ هذه التعابير ـ تعبير الفرنسيين أنفسهم: على الإثر ـ انقض علينا ـ أعلنوا العصيان ـ استطاع أن يحتفظ بالجبل حتى غاية 1921 ــ استطاع العصاة أن يقلقوا أمننا ــ يهاجموا كتائبنا ــ ومراكز جيوشنا ومعسكراتنا طوال هذه المدة.

ـ وفي 2 شباط 1919 أعاد الفرنسيون هجومهم على مقر الثورة، فهزمهم الثائرون وكبدوهم عشرين قتيلاً، وبعض الجرحى والأسرى.

ويقول الكتاب الذهبي: (إن هؤلاء الثوار يشبهون الجان بظهورهم المفاجئ، وبمناوراتهم الشيطانية، فقد بلغت الجسارة بالثوار مبلغاً عظيماً، إزاء ضعف القوات الفرنسية المعسكرة في المنطقة، وبات الخطر يهدد المدن الساحلية مباشرة، وقد

حدثت عدة هجمات عنيفة على جبلة، وبانياس، وطرطوس، ولولا تدخل أسطولنا لتمكن الثوار من التمركز في هذه المدن).

ـ ويقول الكتاب عن صالح العلي: (لقد اضطرب العدو بعد احتلال بلاد الشام وملحقاتها، وقطعت عنه الإمدادات، ولكن عناد الشيخ صالح العلي وشراسته، لا تزال تصلي من حولنا النار، إن هذا الرجل خطر، ومخيف، وقد تشرب مبادئ الملك الهارب فيصل، فأصبح يحارب بدون عقل، إنه رجل عنيد حقاً، وهو يحارب بدون أمل).

ـ نظم صالح العلي ثورته فأنشأ:

1 ـ قيادة تنظيمية إدارية برئاسته، يعاونه فيها العقداء.

2 ــ أنشأ نظام العقداء، والعقيد شخصية تتحلى بالشجاعة والخبرة وتتمتع بالطاعة من أتباعها.

ومن كل عشيرة شكل عقيداً أو أكثر ليحصل نوع من التنافس على التفوق في المعارك.

3 ـ ديواناً للبريد يصله بدمشق ومناطق الثورة.

4 ــ ديواناً للمجاهدين تحفظ فيه أسماؤهم وكتائبهم وأسلحتهم.

5 ــ ديوانــاً لبيــت المــال تثبــت فيــه الإعانــات والتبرعــات، والأعطيات والمكافآت.

6 ـ كتيبة للتفتيش وضبط الأمور.

7 ـ هيئة للأمن، والرقابة والاستطلاع.

8 ــ فرقــة للدعايــة للثــورة، وقــد بــث رجالهــا في القــرى والدساكر، وبين الجنود.

9 ـ محكمة عسكرية للثورة[1].

وبهــذا الجهــاز أصــبح للثــورة كيانــاً تنظيميــاً، ووضــعاً منــسقاً، وأصــبح تحركهــا ســليماً ومأمونــاً، وازدادت قــوة وحيوية.

ــ وفي 25 أيــار 1919 توســط الفرنــسيون الجنــرال اللــنبي البريطــاني للتــدخل، فطلــب إلى صــالح العلــي أن يــسمح للقــوات الفرنسية المعسكرة في القدموس أن تعبر الطريق المارة بالشيخ بــدر إلى طرطــوس،[2] فــأدرك المكيــدة ولكنــه أجــاب الطلــب

---

[1] كانــت هــذه المحكمــة برئاســة المجاهــد علــي زاهــر مــن "حمــام واصــل" وعضوية كل من محمود إسماعيل (الحطانية) ومحمود ضوا "العصيبة".

[2] جــاء في رســالة الجنــرال اللــنبي إلى صــالح العلــي قولــه: إن الحلفــاء الــذين قدموا لتحرير سورية من ظلم العثمانيين وإعطائها الحرية والاستقلال لا =

ليقطع على البريطانيين ـ الوسطاء الطريق ثم تهيأ للمفاجأة، واستعد للمجابهة.

وكانت المفاجأة، ووضحت المكيدة.

نصب الفرنسيون مدافعهم فور وصولهم إلى الشيخ بدر، وصبوا نيرانها على قرية صالح العلي مباشرة، وبدون سابق إنذار، فأطبق عليهم الشيخ وأعوانه من كل الجهات، فقتلوا وأسروا عدداً كبيراً منهم، وفر الباقون.

ـ وفي 15 حزيران 1919 أعاد الفرنسيون الهجوم على مقر الثورة، فنظم الشيخ خطة محكمة، وكمن للجيش الزاحف في مرتفعات "وادي ورور" و"بيدر غنام" وإدغالهما، ولما توسط الجيش الفرنسي الوادي، وأصبح ضمن حلقة الثائرين المحكمة، وفي متناول رصاص بنادقهم، انقضوا عليه من المرتفعات المحدقة بالوادي، ودارت معركة كبرى أسفرت عن مقتل وجرح /800/ ضابط وجندي فرنسي، كما تم أسر ستة عشر جندياً، وتشتت من نجا من رصاص الثائرين، تاركاً في أرض المعركة سلاحه وعتاده غنيمة سائغة للمناضلين، واستشهد بعض الثوار.

يلقون منهم التكريم والحفاوة اللائقين، وإن موقفكم من القوات الفرنسية يدعو إلى الخيبة والعجب.

ـ وفي منتصف شهر تموز وقعت معارك في "عقر زتي" الواقعة على مسافة 20 كم شمال شرقي طرطوس، ومعارك في جوارها في نهر الإسماعيلية، واضطر الجيش الفرنسي إلى الانسحاب إلى بلدة طرطوس ليحتمي بالأسطول.

ـ بعد هذه الهزائم المتكررة التي أنزلها الثائرون بالفرنسيين، لجؤوا إلى المفاوضات وطلب المصالحة، وإنهاء الأعمال الحربية، فقبل الشيخ بالدخول في المفاوضة على الأسس الآتية:

1 ـ أن يكون الاجتماع في مقر الثورة ـ الشيخ بدر.

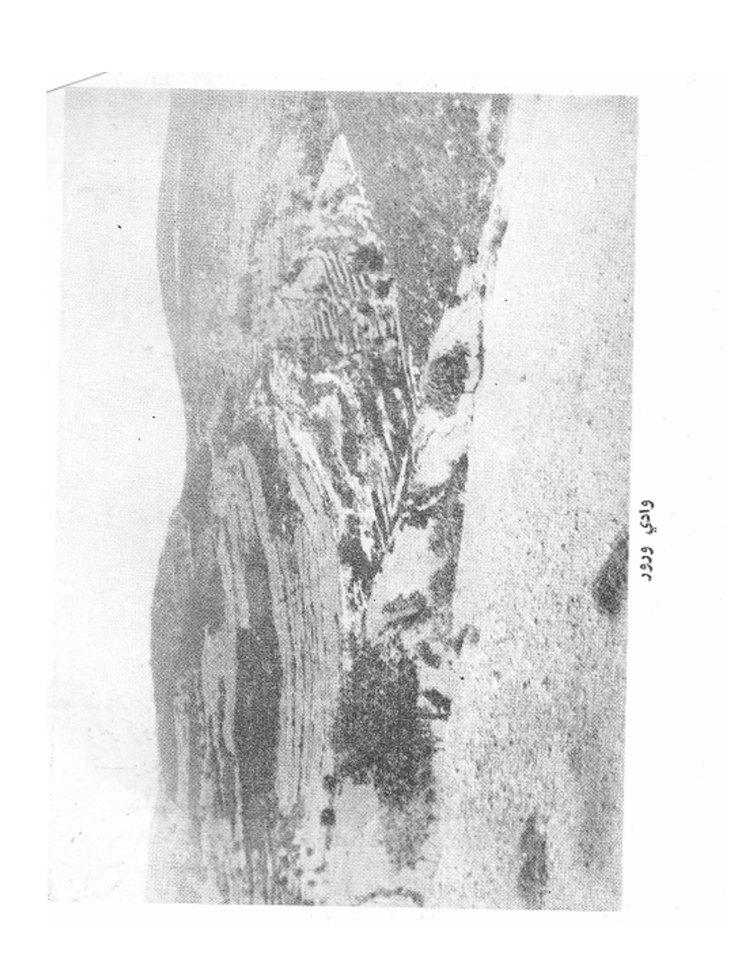
2 ـ أن لا يزيد مرافقو القائد الفرنسي المفاوض عن ثلاثة.

3 ـ أن يكونوا عزلاً من السلاح.

4 ـ الموافقة على ضم الساحل إلى سورية وجلاء الفرنسيين عنها.

5 ـ إطلاق سراح الأسرى.

6 ـ دفع تعويضات عن كل الأضرار التي ألحقتها الأعمال الحربية بالأهلين وممتلكاتهم.



وادي ودود

نقل الوسيطان[1] هذه الشروط للقادة الفرنسيين فوافقوا عليها ـ على ما فيها ـ وطلبوا الاجتماع المباشر بالرجل الثائر، لوضع الصيغة النهائية للاتفاقية فوافق.

ـ كان الفرنسيون يبيتون الغدر، مستفيدين من الهدنة التي أشيعت في أوساط الشعب، فأغاروا على بعض القرى الغربية وأحرقوها، وتمركزوا في قلعة القدموس، ثم تحركوا من الجهة الغربية باتجاه مقر الثورة.

ـ استقدم الفرنسيون فرقاً من المستعمرات مدربة على تسلق الجبال، وحرب العصابات، وتمركزت في القدموس على ميمنة الثوار.

ـ في 16 تشرين الأول 1919 أرسل فيصل ابن عمه الشريف عبد الله إلى صالح العلي ومعه الذخيرة والأسلحة والأطعمة والملابس.

ـ كان رشيد طليع حاكم حماه[2] من قبل فيصل سنداً ودعامة لثورتي صالح العلي في الجبال الغربية، وثورة إبراهيم

---

[1] كان الوسيطان أحمد الحامد وإسماعيل الطاهر الحامد.

[2] في مذكرات الشيخ يوسف السعدون أن رشيد طليع كان حاكماً لمدينة حلب فهل انتقل إلى حماة بعد احتلال مدينة حلب؟ وقد احتلت حماة بعد احتلال حلب بمدة ثلاثة شهور.

هنـانو في الـشمال، وضـابط ارتبـاط بـين قـادة الثـورتين وبـين فيصل في دمشق.

ـ كان عبد الرزاق المحمود سكرتيراً لثورة صالح العلي، ومشرفاً على "الشيفرة" والمراسلات السرية التي ترد من فيصل وغيره إلى صالح العلي، ومسؤولاً عن الإجابة عليها[1].

ــ هـاجم الثـائرون مقـر الجـيش الفرنـسي في طرطـوس، ودارت المعارك على أبواب المدينة ومداخلها، واستعمل السلاح الأبيض في الالتحام، ولولا تدخل الأسطول المرابط في عرض البحر باتجاه المدينة لسقطت في أيدي الثائرين، ثم انسحب المجاهدون بعد أن استولوا على بعض مستودعات السلاح والذخيرة.

ــ في 3 آذار ــ 1920 زحف الثائرون على قلعة القدموس، وحاصروها مدة فاستسلمت حاميتها، ونزح الأهلون إلى مصياف تحت حماية رجال الثورة حذراً من وقوع الحوادث والاعتداء على النازحين[2].

---

[1] يقال: إن في حوزة ورثته الكثير من هذه الوثائق.

[2] يقول محمد أمين غالب الطويل في كتابه تاريخ العلويين: إن صالح العلي اشترط على أهالي القدموس أثناء حصارها أن يعيدوا إليه كتاب النسب ــ نسب المحرزيين ــ وسيف الإمام الحسين ويظهر من سياق =

ـ في 8 آذار 1920 عقد المؤتمر الوطني بدمشق وأعلن فيه فيصلاً ملكاً على سورية.

ــ في 15 آذار 1920 أرسل الملك فيصل القائد غالب الشعلان لمعونة صالح العلي في قيادة الثورة وتنظيمها.

ـ ثم شكل عزيز هارون من اللاذقية "الفوج الملي" من أبناء اللاذقية وحمص وحماة، والحفة، وجبلة، وبانياس، وأرسل الملك فيصل الضابط جميل ماميش ليقود هذا الفوج، وشكل فيه مجموعة من الفدائيين.

ـ وخلال شهر آذار 1920 وقعت معارك "السودا" على بعد 12 كم شمال شرقي طرطوس، ومعارك في بعض القرى الواقعة غربي الشيخ بدر، واضطر الجيش الفرنسي إلى الانكفاء إلى ثكناته في طرطوس أمام المقاومة الباسلة، واحتمى بالأسطول.

الحديث أن هذين الأثرين فقدا من المحرزيين واستقرا في حيازة ساكني قلعة القدموس الإسماعيليين.

ومن دراسة التاريخ العام يظهر أن المحرزيين والإسماعيليين في العهد الفاطمي حكموا مصر حكماً مباشراً ومشتركاً.

ـ في 25 نيسان 1920 عهد مؤتمر "سان ريمو" إلى فرنسا بالانتداب على سورية كلها، أي بعد إعلان فيصل ملكاً عليها بـ 47 يوماً.

ـ وفي 14 تموز 1920 وبناء على مقررات مؤتمر "سان ريمو" وجه الجنرال غورو إنذاره المعروف إلى الملك فيصل يطلب إليه فيه:

1 ــ الاعتراف بالانتداب الفرنسي وفقاً لمقررات مؤتمر سان ريمو.

2 ـ إقرار الورق النقدي الذي أقرته فرنسا نقداً للبلاد.

3 ـ تسريح الجيش السوري.

4 ـ معاقبة الثوار.

5 ـ وضع الخطوط الحديدية تحت الرقابة الفرنسية.[1]

---

[1] من الوسائل التي تذرع بها كليمنصو رئيس الوزارة الفرنسية عند ما أبرمت معاهدة فيصل ــ كليمنصو في 6 كانون الثاني 1920 أنه أي فيصل يساعد ثورة صالح العلي ولذلك فحكومته ترى وجوب وضع الطرق الحديدية في سورية تحت إشرافها ورقابتها.

ـ في 25 أيار 1920 زحف الفرنسيون على قرية "كوكب" 5 كم غربي الشيخ بدر وأحرقوها، ولكن الثوار هاجموهم، وأجلوهم عنها.

ــ هاجم الفرنسيون قلعة الخوابي مقر آل المحمود وأحرقوها، ولكن الثوار استرجعوها منهم.

ـ أرسل يوسف العظمة وزير الحربية السورية دعوة إلى الشيخ صالح العلي للاجتماع به. لتدارس الأمور، واجتمعا بقرية "السويدة" شرقي مصياف، وتعاهدا على الاستمرار في الكفاح.

ـ في 12 حزيران 1920 طلب الفرنسيون ـ وللمرة الثالثة ـ المهادنة وأعلنوا قبولهم شروط الثائر بدون شرط أو قيد، ولكن الشيخ رفض طلبهم لما يعلمه من غدرهم، وفي الوقت الذي كان الوفد يفاوض فيه كان الفرنسيون يهاجمون قرية "كوكب" ويحرقونها للمرة الثانية.

ـ وهاجم الثائرون قلعة المرقب، واحتلوها ليتحكموا بطريق الساحل، بعد أن أسروا حامية القلعة.

ـ وفي هذه الأثناء جرت تعديلات في القيادة الفرنسية، واستلم "بولونجيه" قيادة القوات الفرنسية في سورية ولبنان، وتلقى الأوامر المشددة من وزارة الحربية الفرنسية بوجوب

القضاء على ثورة صالح العلي مهما كلفه ذلك من جهد وثمن ودماء.

- زحف "بولونجيه" باتجاه الشيخ بدر بثلاثين ألفاً معززين بالمدافع والطائرات، وأخذ يحرق في طريقه القرى والمزارع.

وأعد الشيخ صالح العلي وأركان حربه خطة لاصطياده، وأرسل طلائع من الثائرين يشاغلونه، ويتراجعون أمامه، وهو يلاحقهم ظناً منه أنهم يتراجعون هرباً، حتى وصل إلى "وادي العيون" حيث كمن الثائرون في شعاب الجبال وسفوحها، وقممها المحيطة بالوادي. وما كاد الجيش يحط رحاله، ويشرع في نصب خيامه، حتى فاجأه المجاهدون بالرصاص من كل الجهات، فاضطرب أمره لهول المفاجأة، وحاول الانسحاب باتجاه الغرب - الشرق - الشمال - الجنوب، فوجد كل الطرق مسدودة، فتفرق بدداً تاركاً عتاده وزاده، وكانت خسائره بالأرواح والمعدات كبيرة جداً، وأسقط المجاهدون في هذه المعركة طائرتين.

- بعد هذا الخذلان أقصت القيادة "بولونجيه" وأحالته إلى محكمة عسكرية.

- وتوسط الفرنسيون الإنكليز بعد هذا الاندحار والعار، فاتصل الجنرال اللنبي قائد جيوش الحلفاء بقائد الثورة طالباً

إليـه أن يجتمـع معـه بطرطـوس فـرفض الـشيخ هـذا الطلـب، واشترط الاجتماع في مقر الثورة.

وجـاء ضـابطان برتبـة جنـرال أحـدهما فرنـسي، والثـاني إنكليزي، ومعهما بعض الزعماء الموالين للفرنسيين، ليعلنوا لأتبـاعهم في الثـورة عـن مـوالاتهم للفرنـسيين، وشـعر الـشيخ بالمكيـدة فانـسحب مـن الاجتمـاع، ولحـق بـه المجاهـدون مـن مختلـف الفئـات، ووقـف الزعمـاء المتـآمرين واجمـين مخـذولين وباءت خطتهم بالفشل.

ـ بعد فشل الاجتماع توسل الضابط الإنكليـزي أن يجتمـع بالشيخ في بيته فوافق، وأملى الشروط التالية:

1 ـ ضم الساحل السوري والجبل إلى دمشق.

2 ـ أن تجلوا القوات الفرنسية خلال ستة شهور.

3 ـ يـسمح للقـوات الفرنـسية بنقـل المـؤن عـبر الـساحل الـسوري للقـوات المرابطـة في كيليكيـا علـى أن لا تكون مخفورة، وأن لا تتوقف أثناء مرورها.

4 ـ إطلاق سراح الأسرى.

5 ـ دفع التعويضات عن الأضرار التي لحقت بالأهلين.

6 ـ يسمح للبعثات الفرنسية بمزاولة النشاط الثقـافي تحت إشراف السلطة الوطنية.

7 ـ تعلن الهدنة فوراً.

وأعلنت الهدنة... وسافر وفد لدمشق لإطلاع الملك فيصل حاملاً إليه صورة عن الاتفاقية.

ـ وتشكلت لجنة من المجاهدين والفرنسيين والإنكليز لتقدير الأضرار، وطافت القرى ومواقع المعارك، وبلغت الأرقام الملايين.

ـ ولعب الإنكليز لعبة المكر والمراوغة، فكانوا يدفعون الفرنسيين للتشدد، ويظهرون العطف على الأهلين، والرغبة في مساعدتهم، ومساندة الثائرين.

ـ ونقض الفرنسيون الهدنة بعد ثلاثة أشهر من إعلانها. حيث كان أحد قادتهم المتمركز في قرية "عقر زيتي" يتبجح وينال من الإسلام والدين الإسلامي، والرسول الكريم، فأرسل إليه الشيخ صالح العلي إنذاراً مع رجل يدعى "حسن أبا النصر" فأعدمه الضابط فوراً رمياً بالرصاص[1].

---

[1] في رواية "الراية الثالثة" لعبد الرحمن الباشا: أن الرسول الذي أعدمه الضابط الفرنسي في قرية "عقر زيتي" اسمه أحمد وهو الذي اعتمده المؤلف بطلاً لروايته، ويذكر معه رفيقاً آخر اسمه عمر وهو الذي نجا من الموت لينقل النبأ للشيخ صالح بعد أن عذبه الفرنسيون عذاباً مريراً.

ثار الشيخ للكرامة المهانة، فأرسل بضعة من رجال كمنوا للضابط في طريقه المعتادة لطرطوس في موقع جسر نهر الحصين على بعد 6 كم من شمال طرطوس، وما أن عبر في المكمن حتى انهمر عليه الرصاص فقتل مع رفاقه العشرة شر قتلة[1].

ـ وحاول الفرنسيون تطويق الثورة من الجنوب، فأغاروا على قرى "حبسو" و"خربة الريح" و"الحقبانية" وأحرقوها.

ـ وحاول الفرنسيون استعادة قلعة المرقب لتأمين طريق مواصلات الساحل، وتجمعوا في بانياس فأدرك الشيخ قصدهم، فهاجم المدينة، ودارت المعارك حول ثكنات الجيش الفرنسي وتدخل الأسطول فانسحب الثوار.

ـ وفي 23 تموز 1920 سقطت حلب[2] وانتظر فيصل تدخل بريطانيا بالأمر، ولكن بريطانيا مرتبطة بمعاهدة سايكس ـ بيكو ـ أما اتفاقاتها ووعودها لأبيه فيسهل عليها التحلل منها.

---

[1] أقام الفرنسون نصباً تذكارياً لهذا الضابط مكان مقتله وهو عبارة عن قبر تعلوه شاهدة صغيرة. ويقع هذا القبر على المنعطف الكائن قبل جسر الحصين بمئة متر على يسار الطريق للمتجه من طرطوس إلى اللاذقية.

[2] مذكرات نجيب عويد ـ المتحف الحربي ـ دمشق ـ قاعة الوثائق.

ـ وفي 24 تموز غادر الملك فيصل دمشق يصعد الزفرة ويسكب الدمعة ويجرع المرارة واللوعة.

ـ وفي 25 تموز سقطت دمشق ودخلتها الجيوش الفرنسية بعد معركة ميسلون مزهوة مختالة[1].

ـ عقب دخول الفرنسيين لدمشق أقام رئيس الوزراء علاء الدين الدروبي مأدبة على شرف الجنرال غورو، وأذاع بياناً على الشعب السوري يبرز فيه أعمال الفرنسيين ويعدد مناقب فرنسة في تحرير الشعوب[2].

ـ في 7 أيلول 1920 عقد اتفاق بين إبراهيم هنانو ومصطفى كمال على مده بالسلاح، وكان هنانو بدوره يمد صالح العلي، وكان هناك تنسيق بين ثورتي هنانو والعلي

---

[1] يقال: إن عريضة نظمت قبل احتلال دمشق ووقعت من بعض الأسر في دمشق وأرسلت إلى الجنرال غورو في بيروت يطلب موقعوها منه إنقاذهم من حكم الملك فيصل، ويستعدونه على احتلال دمشق.

[2] موقف علاء الدين الدروبي رئيس الوزارة السورية يومئذ من الاحتلال والمحتلين يعطينا تفسيراً ودليلاً على وجود تلك العريضة التي تستعدي الفرنسيين على الملك فيصل وتزين لهم احتلال دمشق، ولقد لقي علاء الدين هذا مصرعه على يد الثائرين من أبناء وطنه في خربة غزالة في حوران عندما اندلعت الثورة هناك وأراد أن يتدخل شخصياً مع الفرنسيين لإخمادها.

حيث تنسق الخطط، ويتم تبادل المعلومات، وترصد تحركات الفرنسيين، وتراقب حركات عملائهم، ولم يستطع الفرنسيون إيجاد أية ثغرة بين الثورتين إلى أن ألقى هنانو السلاح، وانسحب من الساح[1].

ـ لم ينسحب هنانو من المعركة إلا بعد أن أخلف مصطفى كمال وعوده، وقطع عنه الذخيرة والسلاح ذلك بعد أن اتفق مع فرنسا على جلاء قواتها عن كيليكيا، وأصبح

---

[1] اتفق إبراهيم هنانو مع الأتراك على:

1 ـ أن تدفع الحكومة التركية إلى السوريين ما يحتاجونه من الخرطوش، ومدفع جبلي واحد، أو أكثر حسب اللزوم.

2 ـ شكل العلم يكون ذا وجهين: الأول عرب، ويكتب عليه إنما المؤمنون إخوة... والثاني تركي ويكتب عليه فأصلحوا بين أخويكم.

3 ـ لا تحدد حدود سورية وتركيا إلا بعد جلاء العدو، وحصولهما على الاستقلال التام.

4 ـ هذه الإعانة التي تقدمها تركيا لسورية هي إعانة الأخ لأخيه.

5 ـ تقدم الحكومة التركية بعض الجنود المدربين على المدفعية لتدريب الثوار على المدافع والرشاشات والقذائف.

ووقع هذه الاتفاقية في مرعش عن الحكومة التركية الوالي التركي صلاح الدين عادل.

يطارد السوريين الذين يعبرون الحدود لتركيا وبهذا تجلى حقد الأتراك على العرب[1].

ـ وقرر صالح العلي متابعة النضال بعد مغادرة الملك فيصل دمشق.

ـ هاجم القائد "رساك" الشيخ بدر عن طريق جبل "القليعات" الواقع في الجهة الجنوبية من الشيخ بدر، وصب عليها نيران مدافعه، فتصدى له ولحملته الشيخ سليم صالح (ابن عم صالح العلي) ومعه أربعة رجال من الثوار واستطاعوا أن يعبروا وادي النهر السحيق تحت وابل من الرصاص والقنابل، وينقضوا على الجنود الفرنسيين في "متاريسهم" فهرب القائد "رساك" وجنوده وتركوا كل ما في حوزتهم من سلاح وعتاد ومدافع، ولحق به الثائرون حتى قرية "بقعو".

ـ اكتشف صالح العلي بعد معركة "القليعات" أن الجهة الجنوبية تحتاج لحماية، فجرد حملة تمركزت في الدريكيش بقيادة الثائر المناضل اسبر زغيبي.

ـ في 26 تشرين الثاني 1920 نظم الجنرال غورو خطة لمهاجمة الثورة من الشرق بعد أن احتل حمادة ومصياف، فدرس الشيخ وأركان حربه الخطة، وسير فرقاً لتشاغل

---

[1] راجع مذكرات يوسف السعدون.

الجيش الزاحف وتتراجع أمامه، وتجره إلى الجبال حيث يسهل اصطياده، والقضاء عليه فهاجمت فرق المجاهدين مؤخرة الجيش فتحول إلى المؤخرة فاطبق عليه الثائرون فتراجع متقهقراً إلى مصياف بعد أن استمر العراك 15 يوماً.

- لعب عملاء الفرنسيين المندسين في صفوف الثورة دوراً خبيثاً بارعاً حيث رجع بعضهم من منطقة المعارك في جبهة مصياف، وأذاع في الشيخ بدر بين الحامية التي تركها الشيخ صالح العلي للدفاع عن مقر الثورة بأن إخوانهم المجاهدين محاصرون في الجبهة الشرقية، وأنهم بأمس الحاجة إلى مساعدتهم لفك الحصار عنهم.

وجازت هذه الحيلة على رجال الحامية، فأسرعوا مندفعين باتجاه الشرق تاركين مقر الثورة بدون حماية.

وفي الوقت ذاته اتصل العملاء بالجيش الفرنسي المرابط في طرطوس فزحف على الشيخ بدر واحتلها بدون أية مقاومة بواسطة هذه المكيدة.

- في كانون الأول 1920 أغار المجاهدون على مقر الجيش الفرنسي في مصياف وحوصرت البلدة مدة وجاءت الإمدادات للجيش الفرنسي من حماة. وعلم الجيش الفرنسي المرابط بالساحل بواسطة عيونه وعملائه أن الثوار اتجهوا إلى الشرق فزحف إلى موطن الثورة وتم له الاستيلاء عليها.

ـــ أدرك الـــشيخ أن العـــودة إلى مقـــر الثـــورة أصـــبحت مستحيلة، فاتجه إلى الشمال يصحبه بعض المجاهدين، وقبل أن يغادر المنطقة ودعه غالب الشعلان بعد أن طلب إليه أن يـصحبه إلى الباديـة حيـث يتـوفر المـأمن والامتنـاع علـى الفرنسيين، ولكنه رفض أن يغادر سلاح الكفاح.

ـ استقر الفرنسيون في منطقة الثورة، وشكلوا محكمة عسكرية، أخذت تصدر الأحكام بالإعدام على قادة الثورة، وتعدمهم فوراً.

ـ استقر صالح العلي في قرية "بشراغي" في جرد جبلة، فأرسل الفرنسيون حشداً من جنودهم لاعتقاله حيث يقيم في الموقع المعروف بموقع الشيخ حيدر الضهر (وهو أحد أجداده) استنفرت القرى، وقاد الشيخ الجماهير، وهاجم الفرنسيين في "وادي فتوح" فقضى على معظمهم، وهرب من سلم منهم، واستولى المجاهدون على كثير من العتاد، وتعتبر هذه المعركة من المعارك الكبرى في تاريخ الثورة[1].

---

[1] يقع وادي فتوح بين بشراغي، وبيت ياشوط، ولقد تغنى الشعراء في هذه المعركة يقول الشاعر محمود سليمان الخطب:

يا رياض التاريخ هل فيك من "فتوح" زهر؟ وهل لديك كباء؟؟

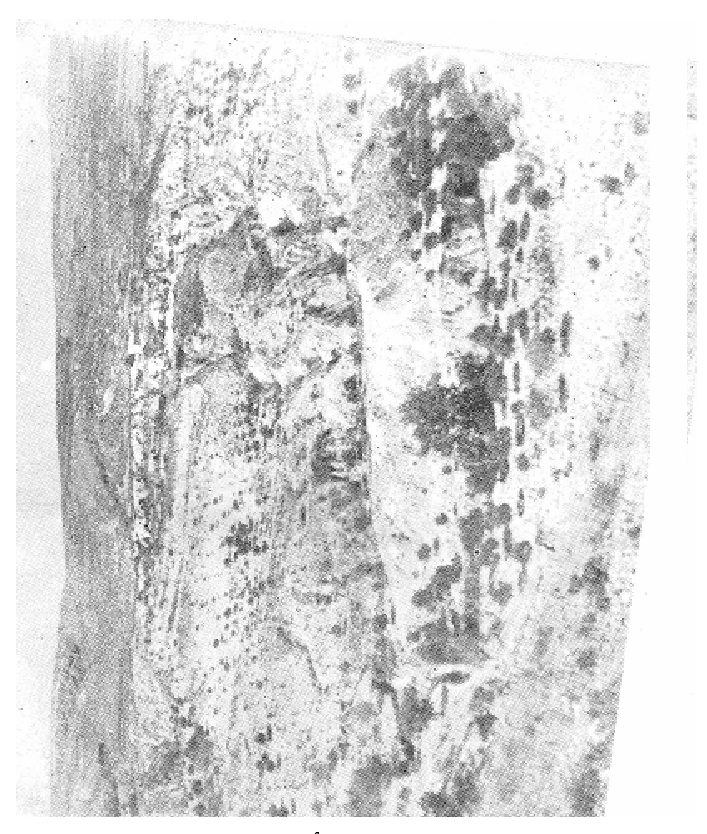
من على السفح من ضحايا لو استسقيت، جاد الدماء وضن الماء!؟

ـ وشكل الشيخ قوات جديدة، وانطلقت الثورة من جديد، وحاول الفرنسيون تطويقه من الشرق والغرب، والجنوب، فكانت موقعة "وادي جهنم" قرب قرية "أبي قبيس" وكانت لا تقل عنفاً وضراوة ودماء وعتاداً عن معركة "وادي فتوح" وقد توفر السلاح والذخيرة في هاتين المعركتين للثوار الجدد.

ـ ونشبت بعد ذلك معركة "قرفيص" واشتركت فيها المدفعية والطائرات على أوسع مدى. وكذلك وقعت اصطدامات دامية وعنيفة في جب عسعوس، شمال نهر السن، والدويلية، وتل صارم، وبارمايا شرقي بانياس، والبودي، وجور البقر، ومن أعظم معارك الشمال معركة "راس ملوخ" ويقع بجانب "السخابة" من الناحية الشرقية، ومعركة "الأجرد" أو "بسوطر" ويقع على بعد 3 كيلو مترات شرق السخابة، واستشهد في هذه الموقعة أحمد عبد الحميد أحد قادة الثورة، وأربعة من رفاقه، وقد حاول الفرنسيون في هذه المعركة رد اعتبارهم، والانتقام لضحاياهم في "وادي فتوح" و"وادي جهنم"[1].

[1] وفي معركة الأجرد وشهدائه يقول:

أو في سمعك الرهيف من ... لحن تعيده الأصداء؟؟
الشهيد الميمون في قمة "الأجرد" ... ودت مكانه الجوزاء
شهيد القبر أنه توج الأحرار ... غاراً، وتاجه الكبرياء
وقبور كأنها هالة البدر، ... لديه ترفها الأنداء
زوديهم سناك يا رحمة التاريخ، ... فالخلد ما علمت ثناء
وسلينا إذا تغمغت الأنباء ... زوراً، فأننا خبراء



جبل الأجرد

ـ ونشبت معركة جبلة حيث اجتاز الثوار الأسلاك الشائكة والتحموا بالسلاح الأبيض وخسروا عدداً من الشهداء.

ـ كانت الثورة تمول من قبل الملك فيصل، ولما غادر دمشق واحتلها الفرنسيون انقطع هذا المدد.

ـ وكان إبراهيم هنانو يزودها من الشمال، ولما ألقى السلاح في 12 حزيران 1921 امتنع هذا الزاد والمدد.

ـ احتل الفرنسيون شرق الثورة، وشمالها الشرقي، وجنوبها كما كانوا ينطلقون من الساحل الغربي، وبذلك استطاعوا تطويقها من كل الجهات، ولم يبق للثائرين مصدر للتمويل بالذخيرة والسلاح إلا ما ينتزعونه من العدو، وأدرك الفرنسيون ذلك، فأوعزوا إلى جنودهم ألا يتركوا وراءهم أي شيء ينتفع به الثوار.

ـ لم يكن ينقص الثورة المال فقد كانت التبرعات السخية تصل إلى قيادتها بشكل كثير وفير من الأهلين في الوطن والمهجر، ولم تكن تنقصها الإدارة الحكيمة الحاذقة، ولا الرجال الأشداء ولكن... كيف الحصول على السلاح وقد سدت المنافذ؟؟

ـ وتطوع أحد المجاهدين واسمه "محمد الأرناؤوط" للمغامرة، واستيراد السلاح والذخيرة من فلسطين عبر الأراضي اللبنانية، وحالفه التوفيق في المرة الأولى.

ـ وعاود الكرة، ولكن عيون الفرنسيين وعملاءهم المنبثين في كل مكان كانوا له بالمرصاد، فكمنوا له في قرية "تل وعاوي" الواقعة جنوب صافيتا، وصادروا القافلة الأولى وعددها 14 جملاً، وتتابعت مصادرة القوافل الأخرى.

ـ وفي 15 حزيران 1921 أمر الجنرال "نيجر" القوات الفرنسية أن تهاجم مقر الثورة في "بشراغي" على جبهة طولها مئات الكيلومترات، فتوزع الثائرون على هذه الجبهة الواسعة واستماتوا في الدفاع، وظلت كل فئة تدافع حتى آخر رصاصة تملكها، ووقع الانفصال بين الثورة وعناصرها، ونفدت الذخيرة، وظل الثائرون يتطلعون إلى النجدة والإمداد ولم يكونوا شعروا بالمكيدة التي دبرها أعداء الثورة.. ولما نفدت الرصاصات الأخيرة تفرق الثائرون.

ـ ومارس الفرنسيون أبشع ألوان الانتقام، فاقتيد الرجال والنساء والأطفال كرهائن، وفرضت الغرامات الباهظة، وشكلت المحاكم، فأعدمت، وسجنت، ونفت، ومارست كل ألوان التنكيل.

ـ وطلب الفرنسيون صالح العلي، وفتشوا القرى والأودية، والجبال، والمغاور، والغابات والكهوف، وبثوا العيون والعملاء؛ ولم يعثروا له على أثر وكانوا يشعرون أن كل ما أحرزوه من انتصار لا قيمة له إن لم يستسلم صالح العلي. وظلوا زمناً يشقون الطرقات في الجبال، ويقيمون التحصينات متوهمين هبوطه عليهم بين الحين والحين، متوقعين أن يداهمهم في حلكة الليل، أو في لألأة النهار.

ـ ورصد الفرنسيون مئة ألف فرنك فرنسي مكافأة لمن يلقي القبض عليه، أو يدل على مخبئه، ووعدوا، وتوعدوا، وأغروا؛ وهددوا ولكن بدون جدوى.

ـ وأصدرت محكمتهم حكماً بإعدامه، وألقت الطائرات صورة الحكم على مختلف قرى الجبل ومدنه الساحلية.

ـ اختبأ صالح العلي عاماً كاملاً، وأخيراً أصدر الفرنسيون قراراً بالعفو عنه، ووزعته الطائرات، وكان بتوقيع الجنرال غورو.

ـ قرر صالح الاستسلام ليرفع العسف والتعذيب عن المواطنين، وأرسل إلى مدينة جبلة يخبر المستشار بقراره، ويدعوه للحضور إليه في قرية "بشراغي" فأسرع إلى مقره وما

أن وقف أمامه حتى رفع الجنرال يده بالتحية العسكرية منحنياً بكل احترام، واصطحبه لمقابلة الجنرال "بيلوت" في اللاذقية[1].

ـ وكان صالح العلي مثار إعجاب الضباط الفرنسيين بشجاعته وجرأته وصراحته، وقوة عارضته، وعرض عليه الجنرال أن يشاطره حكم البلاد فأبى.. وأن يتسلم أكبر المناصب فرفض.. وأن يتقبل راتباً من المال فأنف، وأخيراً سأله الجنرال: إذن لماذا حاربتنا؟؟ فأجابه بهدوء: لأجل الوطن.

ـ ورجع الشيخ إلى بيته، وفرض على نفسه عزلة صوفية.

ـ ولما اعتدى الفرنسيون على دمشق عام 1945 أبرق صالح العلي البرقية التالية:

سيوف المجاهدين تتململ في الإغماد، ونفوسهم في غليان واضطراب لا نقبل امتهان الأمة، ولا أن تخرق حرمة الاستقلال، أنا للمعتدين بالمرصاد، وسيعلم الظالمون أي منقلب ينقلبون.

---

[1] راجع الصفحة 85.

وهزت هذه البرقية البلاد وأوقعت الفرنسيين بحيرة وقلق، وخوف وارتباك، وأرسل إليه سعد الله الجابري رئيس مجلس الوزراء يومئذ برقية يقول فيها:

برقيتكم هزت الضمير الوطني، وأيقظت الشعور القومي، وهيجت في نفوس المخلصين حب الجهاد، والرغبة في الاستشهاد.

***

وفي مطلع العهد الوطني تنادت البلاد حكومة وشعباً لتكريمه وأقيمت الحفلة في اللاذقية، وشهدها كل السياسيين والمجاهدين، والأدباء ورجالات الدولة، وعدد كبير من أبناء الشعب العربي في سورية وخارجها.



ـ وفي 13 نيسان 1950 أسلم صالح العلي روحه الطاهرة لبارئها، بعد مرض دام أشهراً، مخلفاً تاريخاً حافلاً بالمآثر مليئاً بالأمجاد والمفاخر، وشيع إلى مقره الأخير في الشيخ بدر، تاركاً وصية نادرة بين الوصايا، وأربع زوجات، وثلاث بنات.

ـ وهكذا تعتبر ثورة صالح العلي أم الثورات السورية، لأنها أولاهن وأطولهن وأعنفهن انطلقت في ربيع الأول سنة

1918 على الأتراك، ثم استمرت ضد الفرنسيين حتى أواخر حزيران سنة 1921.

* * *

ـ جمع صالح العلي بين مادية الحياة نظراً وعملاً فثار وناضل وكافح وقاد الطبقة العاملة المستضعفة المسحوقة، وغير واقعاً اجتماعياً، ووجه تاريخاً مثل كبار القادة الثائرين، وأصحاب الحركات الاجتماعية. ثم جمع إلى كل هذا نزوعه إلى التصوف، والانخطاف الروحي، والاستغراق في الله مثل كبار الصوفيين، فعادل بين قيم المادة، وقيم الروح، وقلما تسنى هذا لغيره.

صالح العلي تقاد له الدنيا، وتلقي إليه بأسبابها، حتى إذا تطامنت له وانقادت إليه بعد جماح وشماس عزف عنها وزهد بها، وتنكر لبهرجها، وأنكر زيفها وخداعها، وظاهرها، وترفع عن ترفها ونعيمها، وأقبل على ربه محتسباً معتاضاً راضياً.

هذا هو النضال بأسمى صوره، وأجلى مظاهره.

نضال اجتماعي ونضال ذاتي.

وجهاد لتغيير الواقع.. واقع النفس وواقع المجتمع.

وهذا هو الزهد بحقيقته.
زهد فيما وفر وتوفر للإنسان، قناعة واحتساباً.
لا زهد الإنسان فيما عز مناله، عجزاً وحرماناً.

***



مدفن ومسجد صالح العلي

صالح العلي... الشاعر

الفخر

يخادعنا بعض اللئام

شــربنا غـداة النـصر خمرتنـا صــرفا

ورفـــت علـــى الأوطـــان رايتنـــا رفـــا

وأصـــبح شـــعب الله للـــسيف حـــاملاً

ليجـــــدع للمـــــستعمرين بـــــه أنفـــــا

إذا اعتـــصم الأعـــداء منـــه بمعقـــل

منيـــع مـــن الأطـــواد ينـــسفه نـــسفا

وراح وصــوت النــصر يهتــف باسمــه

وعادتـــه أن يـــألف الكـــر والزحفـــا

وقــد ســطعت حريــة الــشعب بعــدما

على نورها الأعداء قد أسدلوا سجفا

يـــرف لـــواء النـــصر فـــوق ربوعنـــا

إذا الأجـل المحتـوم فـوق العـدى رفـا

وإنـــا ذوو حلـــم لمـــن جـــاء طائعـــاً

ولـــيس يـــرى منـــا أخـــو ثقـــة عنفـــا

يخادعنـــا بعـــض اللئـــام بمكـــره

ويحـــسب أنـــا لا نحـــيط بـــه عرفـــا

يريـــد بفعـــل المكـــر نـــصر عـــدونا

وهيهات! ليس المكر عن صالح يخفى

وأقـــرأ فيـــه مـــن أســـرة وجهـــه الـــضغـ

ـــائن، حرفـــاً مـــن ضـــمائره حرفـــا

واعلـــم مـــن يـــصفي الـــوداد لـــشعبه

ومـــن وده ــ مهمـــا تـــودد ــ لا يـــصفى

أخـــو همـــة تكـــسو الجهـــاد مهابـــة

تصب على الطاغين سحب الردى وطفا

***

وغاديـــة مـــن غاديـــات رصاصـــنا

تـــصيح بهـــم غـــضوا عـــن الـــوطن الطرفـــا

وكـــانوا كجـــيش الفيـــل بأســـاً ومنعـــة

ولكـــن حـــزب الله غـــادرهم عـــصفا

كـــستنا يـــد الأقـــدار بـــرد عنايـــة

مـــن الله لم يحـــذر بهـــا الواحـــد الألفـــا

إذا مـــدت الحـــرب العـــوان رواقهـــا

ترانـــا ليوثـــاً تـــأنف الـــضيم "والعـــسفا"[1]

وإهمالنـــا حـــرب العـــدو لغايـــة

تعـــبر عمـــن كـــدر الـــود، أو أصـــفى

***

إلهـــي!! بـــلادي تـــستغيث، ومالهـــا

ســـواك فنولهـــا الـــسعادة واللطفـــا[2]

وذمـــة أوطـــاني لـــدي وثيقـــة

ومثلي ـ بحمد الله ـ بالعهد من أوفى[3]

فـــسحقاً لمـــن بـــاع الـــبلاد بـــدرهم

ليلـــبس مـــن أموالنـــا زوجـــه شـــنفا

---

[1] في نسخة هـ و ب والعنفا، وفي نسخة ج والعسفا.

[2] في نسختي و ـ ب تستغيث بحولك العظيم. وفي نسخة ج كما وردت هنا.

[3] كذا في نسختي د ـ ز، وفي نسختي ج ـ وفى.

وتـــابع نهـــج الأجـــنبي مقوضـــاً

من الشرق مجداً فوق هام السهى حفا

بنـــى صـــرحه شـــم الأنـــوف جـــدودنا

فـــسيروا علـــى آثـــار أجـــداكم صـــفا

رفـــاة حمـــاة الـــشرق أقيـــال يعـــرب

تنـــاديكم، لا تقبلـــوا الجـــور والعنفـــا

عـــدوكم، لا تـــأمنوا لـــين مـــسه

فـــوالله ينـــوي أن يـــسومكم الخـــسفا

نـــصحتكم، والنـــصح للحـــر صـــالح

وأرجـــو مـــن الله التكـــرم والعطفـــا

***

الجهاد الحق

إذا مـا ذكـرت الـدار والأهـل والـصحبا

تفـيض شـؤون العـين مـدرارها سـكبا

وأمـسي وطـرفي لم يـذق سـنة الكـرى

إذا رامهـا يومـاً ترامـت بـه جنبـا

ودهـري خـؤون مـا ونـى عـن عـداوتي

ومثلـي أبـي لا يكلمـه عتبـا

إذا مـا جلـت بـالحزم والـصبر همـتي

مـن الـدهر خطبـاً راح يتبعـه خطبـا

ومـن بلبـان المجـد في مهـده (اغتـذى)

يـشيب علـى حـب الفخـار كمـا شـبا[1]

---

[1] في نسختي و ـ ب: غذي وفي نسخة ج اغتدى، أما في هـ فكما أوردناها هنا.

أبـــت همـــتي والعـــز والمجـــد في دمـــي

إباحـــة أوطـــاني لأيـــدي العـــدى نهبـــا

إذا رامهـــــــا ذو شـــــــرة بعتـــــــوه

أجـــرد مـــن عزمـــي لمـــصرعه عـــضبا

واســـتنكف الـــورد الـــنمير بذلـــة

وانهلـــه يـــوم الـــوغى بـــارداً عـــذبا

***

ولـــي بـــين أيـــدي الحـــق وقفـــة خاشـــع

بهـا (تـسكب) الأجفـان لؤلؤهـا الرطبـا[1]

وفي زحمـــة الأهـــوال كـــم لـــي مواقـــف

مـــلأت قلـــوب القـــوم مـــن هيـــبتي رعبـــا

إذا قام سوق الحرب، واحتدم الوغى

وجـــروا جيوشـــاً تمـــلأ الحـــزن والرحبـــا

مـــشيت للقيـــاهم بكـــل مجاهـــد

شـــجاع قـــوي القلـــب لا يرهـــب الحربـــا

---

[1] كذا في نسخة ج وفي نسختي هـ ب: سكب.

نـــصبت علـــيهم عارضـــاً مـــن رصاصـــنا

كما صبت "الوطفاء" من جوها السحبا[1]

نغـــادر أشـــلاء الجمـــوع (ضـــريجة)

كإعجـاز نخـل (جازهـا) عاصـف هبـا[2]

نـــصحتهم.. خلـــوا الـــبلاد، وشـــأنها

ولا تـسلكوا يـا غـرب في شـرقنا دربـا

ولا تجعلـــوا ليـــث المعـــامع (غاضـــباً)

علـى مـثلكم في كـل نازلـة حربـا[3]

عتـــوا وطغـــوا مـــستكبرين، ولم يعـــوا

ولـــو كـــان فـــيهم ذو حجـــى للنـــدا لبـــى

فـــسرت علـــيهم رابـــط الجـــأش، باســـلاً

بحـزب مـن الإخـوان.. أكـرم بهـم حزبـا

جهـــادهم في الله، والـــدين، والحمـــى

وحاشـــاهم أن يبتغـــوا النهـــب والـــسلبا

---

[1] في نسختي ج وب الأنواء.

[2] في نسختي هـ وب طريحة، وراعها.

[3] في نسختي هـ وب: صالحاً.

وكـــل فتـــى مـــنهم بـــصدق يقينـــه

مـــن الـــدين والإيمـــان قـــد مـــلأ القلبـــا

ســـــألتك يـــــا ربـــــي حيـــــاة قريـــــرة

لنـــا ، ولهـــم، والعـــز والنـــصر في العقبـــى

وكــن مــوئلاً للــشرق مــن كــل غاصــب

رأى "صـــالحاً" قدامـــه يـــأنف الغـــصبا

***

شكوى وعتاب

أنـــا أشـــكو مـــن لـــوعتي، وبعـــادي

وأبـــث الأســـى (زفـــير اتقـــادِ)[1]

ضـــارباً في الـــبلاد عرضـــاً وطـــولاً

تـــارة حاضـــراً وطـــوراً بـــادِ

ولكـــم لفـــني نهـــار، وليـــل

نائيـــاً عـــن أحـــبتي ومـــرادي

وأطـــوف الـــبلاد شـــرقاً، وغربـــاً

ســـالكاً مـــن حزونهـــا كـــل وادِ

تتنـــزى حميـــة العـــرب الأحـــ

ـــرار، بركـــان عـــزة في فـــؤادي

---

[1] في نسختي هـ وب إلى الآبادا.

أبعــث النهــضة المقدســة الحــرة،

روحـــاً تثـــور في الأجـــسادِ

***

نـــسي الـــشرق رفعـــة شـــيدتها

في ذرى الـــنجم همـــة الأجـــدادِ

ليت شعري، ماذا جنى السلف الصا

لح، في فعلــه علــى الأحفــادِ؟؟

طلب الغرب ثأره من بني الشرق،

(ووافـــى) بعـــدة وعتـــادِ[1]

بجيــوش جــرارة، تمــلأ الرحــب،

وتربــو علــى عــداد الجــراد

فــدعوت الــبلاد بــالعزم والحــزم،

ســـراعاً إلى شـــريف الجهـــاد

دافعوا عن بلادكم، يا بني الشرق،

وســـيروا إلى العلـــى باتحـــاد

---

[1] في نسختي ج و ب سقطت هذه اللفظة وجاء البيت مكسوراً.

إن أوطـــانكم تـــئن مـــن الأســـر،

وثقـــل القيـــود، والأصـــفاد

لا تخونـوا عهودهـا، وارتـدوا الإيمـان،

والحـــق عـــدة للجـــلاد

وانبـذوا الحقـد، والتخـاذل والـبغض

بعيـــداً، وســـارعوا لانقيـــاد

لا تـــضيعوا أمجـــادكم، واطلبوهـــا

في ظـــلال الـــسيوف والأغمـــاد

واســـتعيدوا أرث الجـــدود الميـــامين،

ولـــو في مخالـــب الآســـاد

إنمـــا راحـــة الـــشعوب، وحرياتهـــا،

في مـــشقة، واجتهـــاد

ضـل مـن يبتغـي الـسعادة في الحلـم،

ويبقـــى علـــى ســـرير الرقـــاد

فـإلى كـم أدعـوكم، وأنـاديكم،

وهيهـات!! مـن يجيـب المنـادي؟؟

* * *

طـال عـتبي علـى كـرام بهـا ليـل،

مـن الـشعب أخلفـوا ميعـادي

مـا لكـم يـا أحـبتي يـا أخلائـي

نـسيتم أخـوتي، ووداي

رضـي الله عـن زمـان التلاقـي

وزمـان الإسـعاف، والإسـعاد

لا تظنـوا، إنـي أحـول عـن العهـد،

ولا تـسمعوا لأهـل الفـساد

أنـا مـن لا تزعـزع الحـرب إيمـاني،

ومـا زلـت حافظـاً للمبـادي

شـهد الله إنـني المخلـص الـصا

دق، والمجـد بغـيتي، ومـرادي

كـان مـا كـان مـنكم!! وإلى الله

تعـالى، أشـكو جـراح فـؤادي

هـو حـسبي، وعـدتي، وعليـه

في أمـوري تـوكلي، واعتمـادي

وبـه أدفـع العـدو، وأرجـو الفـوز

في يـوم مبعثـي، ومعـادي

ربِّ!! يـــا خـــالق الـــسموات، والأر

ض، ويــا رازق الــورى، والعبــاد

برســـــول الهــــدى المـــشفع طـــــه

وبـــني فـــاطم بـــدور الرشـــاد

كــن معــيني، واشــدد بحولــك أزري

واكفني يا حفيظ كيد الأعـادي

وأجرنـــي ممـــا أخـــاف مـــن الـــدهر،

وأخـــشى وقوعـــه مـــن عـــوادي

وأنلـــني فخـــراً، ونـــصراً عزيـــزاً

وارم بالـذل مـن (يـروم) عنـادي[1]

وأنـــا "صـــالح" بفـــضلك مـــا زلـــت

أناديـك، (يـا مجيـب) المنـادي[2]

وأنلـــني فخـــراً، ونـــصراً عزيـــزاً

مـــشرقات بـــالعز والإســـعاد

---

[1] هكذا في نسخة ج أما في د وب فقد وردت (أرام) وهو خطأ.

[2] وفي نسختي هـ ب: فاستجب ما أنادي.

معارك

يوم فتوح[1]

مـــا كنـــت أحـــسب أن أرى بهـــوان
يومـــاً، وأن يعـــدو علـــي زمـــاني
حتـى نزحـت عـن الـديار، وصـاحبي
عقـــل الكهـــول، وهمـــة الـــشبان
وغـدوت مطـرود الزمـان، ولم أكـن
يومـــاً علـــى الـــوطن العزيـــز بجـــان
وغـدت بـلادي شـاغراً مـن مخلـص
حـــام، يحـــب كرامـــة الأوطـــان
حتـــى نزلـــت مـــن الـــبلاد بفتيـــة
بـــيض الوجـــوه، أعـــزة، غـــران

---

[1] فتوح واد بالجانب الشرقي من قرية بشراغي قضاء جبلة (راجع الصفحة 44).

شـــم الأنـــوف يـــزين قـــوة بأســـهم

جبـــل منيـــع، راســـخ الأركـــان

لمـــا دعـــوتهم لنـــصرة ديـــنهم

(قـام) الجهـاد، وبـاسمهم لبـاني[1]

وأتـــى العـــدو يريـــدني في حـــيهم

بإشـــارة مـــن غـــادر خـــوان

حتـــى إذا وقـــع القتـــال، وروعـــت

أبطالنـــــا الأرواح في الأبـــــدان

أبـصرت ذاك الحـين نـصري مـشرقاً

في وجـــه كـــل حلاحـــل، ديـــان

***

يـــا يـــوم فتـــوح، ويـــوم شـــبابه

أفـــديك مـــن يـــوم بكـــل زمـــاني

يـــوم أغـــر، وفتيـــة علويـــة

ترمـــي العـــدو بوابـــل الـــنيران

---

[1] في نسخة ج (هتف الجهاد).

فيـــه التقـــى المتحـــاربون، فيـــومهم

فـــرد، ولكـــن الرجـــال اثنـــان

رجـــل يـــذود عـــن الـــبلاد، وآخـــر

مـــستعمر، قـــد بـــاء بالخـــسران

ضعفت قوى جيش العدو، فأصبحوا

متـــسربلين مـــن النجيـــع القـــاني

صرعى على وجه الصعيد، تنوشهم

ضـــبع الفـــلا، وكواســـر العقبـــان

جـــيش، أبـــاد حمـــاتهم، وغـــزاهم

مـــن بأســـنا بالرعـــب جـــيش ثـــان

فتفرقـــوا، متـــشتتين علـــى الثـــرى

بعـــد اجتمـــاع الـــشمل في العمـــران

متخـــاذلين، يـــرف فـــوق رؤوســـهم

شـــبح البلـــى، ونواعـــق الغربـــان

هيهـــات!! لم تغـــن المـــدافع عـــنهم

شـــيئاً، ولا بلغـــوا بهـــن أمـــاني

***

يـــا عــصبة الـــصيد الغطـــاريف الألى

هـــاب (البعيــد) لقـــاءكم، والـــداني[1]

هـــــذي مــــواطنكم تــــئن (جريحـــــة)

تـــشكو العـــدو، كـــثيرة الأشـــجان[2]

ومـــن الكرامـــة أن تـــصونوا مجـــدها

مــــن كيـــــد كـــــل منـــــافق ملـــــسان

فلأنــــــتم جنــــــد الإلـــــه، وحزبـــــه

وعـــــدوكم مـــــن عنـــــصر الـــــشيطان

لا ترهبـــــوه، إنكـــــم في معقـــــل

تـــــنحط عنـــــه أعـــــزة الأكـــــوان

صـــونوا الـــبلاد مـــن الـــدخيل، وشـــيدوا

صـــــرح العروبـــــة، شـــــامخ البنيـــــان

لا تفـــشلوا عنـــد الـــصدام، ولا (تنـــوا)

كـــــي لا نـــــؤول لذلـــــة، وهـــــوان[3]

---

[1] في نسخة ج (القصي) وفيه المقابلة بين لفظتي القاصي والداني.

[2] في نسختي هـ ـ ب (حزينة).

[3] كذا وردت في نسخة و، أما نسخة "د" فقد وردت "لا تلوا".

إن التعاضـــد خـــير مـــا ترجونـــه

حـــزم الرجـــال، وعـــزمهم صـــنوان

فتمنطقـــوا بـــالحزم تبنـــوا معقـــلاً

يـــسمو برفعتـــه علـــى كيـــوان

كـم قـد رجـوت بـأن تـسيروا للعلـى

متعاضـــدين تعاضـــد الأخـــوان

مـــاذا علـــيكم لـــو تعاهـــدتم علـــى

دفـــع العـــدو كأمـــة اليابـــان

أفتـــذكرون العهـــد في عهـــد مـــضى

لمـــا اجتمعنـــا في حمـــى الـــديان

لا تنقضوا عهد الكتاب، فنقضه

ممـــا يجانـــب حرمـــة الإيمـــان

والله يشهد ما غدرت، ولم يكن

غـــير الإلـــه مراقـــب الخـــوان

كـــم ليلـــة مـــد الظـــلام رواقـــه

فيهـــا، ونحـــن بـــسيرة الأوطـــان

متـــداولين مـــن الحـــديث طرائفـــاً

مـــن دونهـــن قلائـــد المرجـــان

ويعطـــر الأرجـــاء بـــث حـــديثنا

بـــشذا العـــبير، ونفحـــة الريحـــان

حتـــى إذا نـــشر الـــصباح ضـــياءه

غنـــى الهـــزار بأطيـــب الألحـــان

مهمـــا نـــسيت مـــن الزمـــان، وفعلـــه

وطـــــوارق الأيـــــام والحـــــدثان

لم أنـــس أيـــامي، وإخـــواني، وأبطالـــ

ـــي الـــذين فـــراقهم أضـــناني

يـــا رب يـــا رحمـــن حـــل عقودنـــا

واربـــط علـــى قلـــب العـــدو الجـــاني

واغفـــر لعبـــدك في لقائـــك إذ غـــدا

بالـــسيئات مقابـــل الإحـــسان

يـــا هـــل تـــرى مـــا في الزمـــان أخـــو تقـــى

يزهـــو كفـــرع الروضـــة الفينـــان

مـــا زال "صـــالح" راجيـــاً مـــن ربـــه

حـــسن الرضـــا والعفـــو والغفـــران

وادي جهنم[1]

حـــول الطـــرف نحـــو وادي جهـــنم

فالمنايـــا علـــى ضـــواحيه حـــوم

وتـــــصفح ذي قـــــار إن هـــــو إلا

خـــبر مـــن حديثـــه قـــد تقـــدم

زحـــف الجنـــد مـــن فرنـــسا لحربـــي

بـــشظايا نـــار، وجـــيش عرمـــرم

وجمـوع يـضيق عـن بعـضها الرحـب،

أتـــت تبتغـــي بـــلادي مغـــنم

فتـــــصديت للجهـــــاد، وحيـــــداً

وانتـــضيت الإيمـــان بـــالله لهـــذم

---

[1] وادي جهنم شمال قلعة أبي قبيس قضاء مصياف.

ودعـوت الكمـاة للحـرب، والمـدفع

عـن نيـة العـدى يـتكلم

الجهـاد الجهـاد يـا يعربيـون،

فلبـى مـن بيـنهم كـل ضـيغم

وأدرعنـا مـن الثبـات دروعـاً

واقيـات لمـن إلى الله سـلم

صـرخة مـن فمـي دوت في بني الغـرب،

بـأن صـرح مجـدكم قـد تهـدم[1]

حولـوا طـرفكم عـن الـوطن الحـر

علـى الغاصـبين فهـو محـرم

ورمينـاهم بوابـل نـار

فـل جـيش المـستعمرين، وحطـم

وأحطنـا بهـم علـى ذروات

كـسوار إذا أحـاط بمعـصم

---

[1] ليس في اللغة "دوى" بالتخفيف وإنما دوّى بتشديد الواو، ولقد وقع في هذا الخطأ إبراهيم اليازجي في إحدى قصائده، وهو صاحب كتاب "أخطاء الصحف".

مــــا أرانــــي في ذلــــك الحـــين إلا
كقـــضاء مـــن المهـــيمن مـــبرم
إن تراءيـــت يـــصعق القـــوم والمـــوت
خيـــــال أمـــــامهم يتجـــــسم
أبعـــث المـــوت بالرصـــاص علـــيهم
فتـسيل النفـوس في النقـع عنـدم
عظموا بالعتاد، والجيش، والكثرة،
والطـــــائرات، والله أعظـــــم
مـا وقـاهم صـوت المـدافع، والنـصر
والنـصر مـن الله فـوق رأسـي خيم
لـو رأيـت الجمـوع في القـاع صـرعى
لوجـدت الأشـلاء لحمـاً بـلا دم
عـــصفت صرصـــر الهـــلاك علـــيهم
وتهـاوت كواسـر الطـير حـوم
وتبـــــارى المجاهـــــدون يـــــسدون
علـيهم، مـن حـولهم كـل مخـرم

يـا جـلال التـاريخ في صـفحات المجـد،

خلـــد عنـــا حـــديثاً مترجـــم

مـــن رأى مثلنـــا وللمـــوت ســـلطان

فنـــاء علـــى النفـــوس تحكـــم؟؟

نتبـــارى إلى الحـــروب ولا نرهـــب

موتـــاً حيالنـــا يـــتجهم!!

ونغذيـــه مـــن نفـــوس الأعـــادي

فـــوق مـــا يبتغـــي غـــذاء فيـــتخم

ألـــف المـــوت حربنـــا، وســـباع البـــ

ـــر والطـــير، مـــن فصيح، وأعجـم

حيـث سـرنا تظـل موكبنـا الطـير،

وتقفـــو الـــوغى فـــرادى وتـــوءم

قـــد كفلنـــا أقواتهـــا، وأزلنـــا

ســـغباً مـــن أذاه كانـــت تـــألم

لـــو درى الأجـــنبي قـــوة بأســـي

مـــا تحـــرى أمـــر القتـــال، وأبـــرم

صفحات التاريخ بيضاء كالصبح،

بضاحي جهادنا تتبسم

لا وقى الله يا فرنسا سراياك،

من الموت، لا حمى، لا سلم

كيف تبغين صالحاً؟ أعداك الرشد؟؟

أم غرك الزمان؟ وندم؟

ذاك وادي جهنم، فاصطليه وانهلي

إن (ظمئت) صابا وعلقم[1]

ها هو المجد باسمنا، يهتف الدهر

ويهدي التاريخ سفراً منمنم

والدنى ألسن تصوغ ثناء

والأهازيج باسمنا تترنم!!

يا بني الغرب حاذروا غضبة الشرق،

إذا استهدف الفخار، ويمم

---

[1] في نسخة، ج. ظمئت، وفي نسختي هـ وب: ظننت.

لـــو علمـــتم مـــن أمـــره مـــا جهلـــتم

لانثنيـــتم للغـــرب في البحـــر عـــوم

"المعـــــز" الأبـــــي أورثنـــــا المجـــــد

وأهـــدى لنـــا الفخـــار، وســـلم

والبهاليـــل مـــن بـــني العـــرب الـــصيد،

ســـقونا كـــأس المـــودة بلـــسم

أنفـــس لا تهـــون مـــا بقـــي الـــدهر،

وأنـــف العـــدو بالـــذل مـــرغم

والنفـــوس الـــشماء لا تعـــرف الـــرو

ع، وإن أظلـــم الزمـــان، ودمـــدم

***

يوم ورور[1]

(شــبح المــوت) صــاح: الله أكــبر

هـاكم يـا رجـال بـاريس ورور[2]

هـاكم الـصيد، هـاكم كـل ليـث

عربـي شـاكي الـسلاح، غـضنفر

هــاكم آيــة القــضاء علــيكم

هـاكم الـصالح الـشجاع، المظفـر

ثكلـت أمهـاتكم يـا بـني "الـسين"

ولا زال صـــفوهن مكـــدر

---

[1] يقع وادي ورور على مسافة أربعة كيلومترات في المرتفعات الواقعة غربي الشيخ بدر.

[2] في نسخة هـ ملك الموت.

فـإليكم حربـاً يـشيب لهـا الطفـل،

ومنهـــا قلـــب الـــصفا يتفطـــر

***

يـــا لـــه موقفـــاً يكللـــه الرعـــب،

ويـدعو المـوت الـزؤام، فيحـضر

يمطـــر الأفـــق فيـــه وابـــل نـــار

فـترى الجـيش بـالتراب معفـر!

والمنايـــا تحـــول، والمـــوت ينـــسل،

لقـبض الأرواح، أشـعث، أغـبر

مـــن رأى مثلنـــا رجـــالاً، وللمـــدفع،

والطـــائرات صـــوت جهـــور

نتبـــارى إلى الجهـــاد، وقـــد هلـــل

صـوت النـصر العزيـز، وكـبر

***

يـا فرنـسا غـضي عـن الـشرق طرفـاً

فلكـــم ذل دونـــه مـــن تجـــبر

غيــل أبنـــاء يعــرب حليـــة المجـــد،

يفديـــه مــــنهم كــــل قـــسور

هـا هـي الحـرب قـد أدارت رحـى الهـو

ل، وولى الجبـــان ذعـــراً، وأدبـــر

فاســـتقوا مـــن رصاصـــنا غاديـــات

ضـل مـن شـام برقهـا، فاسـتمطر

جـــزتم البحـــر تبتغونـــا، فعومـــوا الآ

ن هـــذا بحـــر مـــن الـــدم أحمـــر

ودعـوا كبريـاءكم يـا بـني الغـرب،

فـــذا الـــشرق كـــم أذل، وصـــغر

برئـــــت ذمـــــة العروبـــــة ممـــــن

عـن لقـاكم يكـل، أو يتقهقـر

لا يغـــرنكم رجـــال طغـــى الجهـــل

علـــيهم، فـــإنهم شـــر معـــشر

يعبـــدون الـــدينار لا يرهبـــون العـــار

قـــوم عـــداهم كـــل مفخـــر

نفـــر ضـــل ســـعيهم، فانبـــذوهم

سـوف يـأتيهم العـذاب الأكـبر

خـسئت طـائراتكم، إنـني الطـود

رسـا لا يهـاب خـسفاً، ويحـذر

كيـف يـا أسـفه الأنـام جهلـتم

مـا حكـاه التـاريخ عنـا، وسـطر

عــودة ـــ إن جهلتمونـــا ـــ إليـــه

واقـرؤوا مـن كتابنـا مـا تيـسر

هـل رأيـتم أبطـال يعـرب هـانوا

أم علـيهم مـنكم مليـك تـأمر؟

سـائلوا. إن جهلـتم عـزة العـرب،

عـن الفـاتحين كـسرى، وقيـصر

***

يـا فرنـسا أبيـت إلا قتـالي

وبهـذا قـضى الإلـه، وقـدر

ومـلأت البحـر الخـضم سـفيناً

ورحـال الربـى عتـاداً وعـسكر

ومـــن الطـــائرات قـــد أقـــتم الجـــو،

وكـــادت شمـــس النهـــار تكـــور

وبـــذرت الـــشقاق بـــين شـــقيقين،

فـــذا مـــسلم، وذاك تنـــصر

وظننـــت الأمـــر اســـتتب، فـــذوقي

شـــر مـــا قـــدمت يـــداك مكـــرر

***

ضـــقت مـــن حربنـــا بـــورور ذرعـــاً

لا عـــداك التـــاريخ يـــا يـــوم ورور

أمـــن الطـــير قوتـــه، وســـباع الـــبر

فيـــه، ومـــا "فتـــوح" أكثـــر

فـــترى القـــوم في ضـــواحيه صـــرعى

فكـــأن العـــدى أصـــيبوا بـــصرصر

ضـــاقت الأرض والـــسماء علـــيهم

وغـــزاهم جـــيش الجهـــاد، فـــدمر

وأحطنـــا بمـــن تقـــدم منـــهم

وأذقنـــا صـــرف الـــردى مـــن تـــأخر

مــــن رآنـــي بيـــوم "فتـــوح" والقـــوم

بأشـــــلاء بعــــضها تتعثـــــر[1]

ورجــــال الجهـــاد تـــستبق المـــوت،

كـــأن الحمـــام للقـــوم كـــوثر

أقحـــم الحـــرب لا أهـــاب المنايـــا

بـئس مـن يرهـب المنايـا... ويحـذر

ذاك يـــوم بــــه شــــفيت غليلـــي

مـن عـدوي، وصبح نصري أسفر

ونعــــاهم نـــاعي المنيــــة لمــــا

وردوا حوضنا، وعز المصدر

***

يـــا بـــني أمـــتي نـــصيحة خـــل

مخلـص.. في أمـوركم قـد تبـصر

---

[1] سقطت لفظة "من" من نسخة و وفي نسخة هـ:

من رآني في موقف الروع والقو م شــظايا ببعــضها تتعثــر

لا تضيعوا الوئام، لا تضمروا الحقد،

فعقبـــى الـــشقاق ذل مقـــرر

وثبـــة للعـــلاء يـــا أمـــل الـــشر

ق، فمـا الحـر غـير مـن يتحـرر

هـا هـو الأجـنبي، جـاء مـن الغـرب،

ليـــستعمر الـــبلاد، ويقهـــر

كـــافحوه بعـــزمكم، وأطيعـــوا

داعـي الله إذ دعـاكم، وذكـر

***

مـــوطن العـــرب لا تهـــن للأعـــادي

أيهـا الـشرق، وانـتفض، وتنمـر

وحـد الـصيد مـن بنيـك البهاليـل،

وسـر في طليعـة الكـون، واظهـر

إن (مـن) خـان عهـد عـزك يـا شـرق،

لجـــان جنايـــة لـــيس تغفـــر[1]

---

[1] سقطت لفظة "من" من نسخة "و" وفي نسخة "هـ".

ســــــتراني أيفي، وإن غـــــدر الدهــــــ

ـــر، وحـــبي مـــن الريـــاء مطهـــر

فعلـــى كـــل بقعـــة منـــك يـــا شـــر

ق، ســــلام بـــصدق ودي معطـــر

***

يا أمة العرب[1]

أشـكو إلى اللّه مـا ألقـاه مـن وصـب
مـن هـارج مـاج بـين الجـد واللعـب
خـان الزمـان فـلا خـل أخـو ثقـة
يرجـى لـدى حـادث الأيـام والنـوب
وقـد تـراكم بالفـساق، مـشتبكاً
هذا الفسيح.. وبالأحقاد والكذب
فالليـث ينظـر شـذراً في مرابـضه
والنمـر يـرمقهم في نـاظر الغـضب

***

وفرصـة للـذئاب الطلـس قـد سـنحت
والفتـك غايـة مـا تبغيـه مـن أرب

---

[1] وردت في "د" و"ج".

وما كفيت أذى حتى الكلاب غدت

ولاغـــة في إنـــاء الأري، والـــضرب

تتيــه كـبراً، وتمــشي في تبخترهــا

مختالـــة، وبهـــا داء مـــن الكلـــب!

يــا للأســى!! تلــبس الأيــام زينتهــا

لغــير أهــل التقــى، والفــضل والأدب

هـان الكـرام، فذوبي يا نفوس جوى

وأصــبح اللــؤم في عــال مــن الرتــب

أرنــو إلــيهم بعــين الحــزن، وا أســفي

والقــوم مــا بــين ظمئــان، وذي ســغب

فــانثنى، وأغـض الطـرف مـن حـزن

وفي الفــؤاد تلظـــى جـــذوة اللـــهب

لـو أنـصف الـدهر كـان الأمـر متزنـاً

المجــد للــرأس، لــيس المجــد للــذنب

***

يـا أمـة العـرب، هبـوا مـن سـباتكم

فمــا علمــت لهــذا النــوم مــن ســبب

الـــــروض روضــــــكم، والحـــــوض

والمــاء دون ســواكم، يــا لــذا العجــب

هبــوا إلى المجــد، لا خــوف، ولا رهــب

فليــبرأ العــرب مــن خــوف، ومــن رهــب

لا يفخـــر الأجـــنبي المـــستبد بكـــم

الفخـــر، والمجـــد، والعليـــاء للعـــرب

والمجـــد يعلـــم، والعليـــاء مـــا لكـــم

في ذمــة الــدهر مــن حــق، ومــن طلــب

مــا كــان للغــرب ســلطان لــشرقكم

لــولا تــشعبكم كـــلاً علـــى شـــعب

سيروا إلى المجد صفاً، طاب غرسكم

إن التخـــاذل داعــــي الويـــل والعطـــب

أبنـــاء يعـــرب، لا هانـــت شمـــائلكم

فمجــدكم حليــة الأجيــال، والحقــب

إنــي لمــا نــالني مــن جــور غاصــبكم

أكاد أقضي أسى من فرط ما هو بي

وجاء في نسخة ج بعد البيت السابع:

كإنمـــا الليـــث لم يخلـــق لـــه ظفـــر

ولا نيـــوب لتحميـــه مـــن العطـــب

وكــل مــا هــو في الإنــسان مكتــسب

ولا تقـل: فيــه شــيء غـير مكتـسب

والمــرء كالنبــت ينمــو حــسب منبتــه

ولــيس يثمــر مــراً منبــت العنــب

من عاش في الشرف الزاكي زكا شرفاً

حتــى عــلا في المعــالي أشــرف الرتــب

فــاحرص علــى أدب يــا صــاح، وأحــي بــه

فإنمـــا قيمـــة الإنـــسان بـــالأدب

***

شرق وغرب وعروبة
أين الألى

بــشراك يــا شــرق، لاح الفــوز والأمــل
وفـــارق النـــور في آفاقـــك الطفـــل

(إن المـــصائب) إن حلـــت علـــى بلـــد
صـــعب القيـــاد أبـــي فهـــي ترتحـــل[1]

وإنمـــا آفـــة الأقـــوام إن نقـــضوا
حبــل الــولا، وعــرى بغــضائهم فتلــوا

لله يـــا عـــزة الـــشرق الـــتي دفعـــت
عنــك العــدو الــشديد.. البــيض والأســل

***

---

[1] في نسخة ب: كل المصائب.

صـــان الـــبلاد، وأهلوهـــا غطارفـــة

بـيض الوجـوه جميـل كـل مـا فعلـوا

لا يرهبـــون مـــن الأعـــداء نازلـــة

ولم يكـــن لهـــم غـــير العلـــى شـــغل

مستمـــسكين بحبـــل الله، مـــا وهنـــوا

مـــن العـــدو، ولا يـــوم اللقـــا فـــشلوا

نجـــا بـــآرائهم لمـــا أتـــيح لهـــم

قـــوم بمختلـــف الآراء قـــد دخلـــوا

نهـــج العلـــى واضـــح للكـــل في ســـعة

والحـــق متبـــع، والأمـــر ممتثـــل

يـــا قـــوم قـــد حـــان حـــين تـــسخرون بـــه

ممـن بكـم سـخروا مـن قبـل، أو جهلـوا

إن الكـــرام قليـــل، إن رجـــوتهم

لكـــن لهـــم فـــوق هامـــات العلـــى قلـــل

أيـــن الأولى دانـــت الـــدنيا لـــسطوتهم

وانحـــط في عـــزه عـــن مجـــدكم زحـــل

اليعربيـــــــون جـــــــل الله فـــــــاطرهم

مـن ذكـرهم في سمـاء المجـد متـصل

فالـــصدق والعـــدل والتقـــوى شـــعارهم

والحــق ألــف علاهــم حيثمــا نزلــوا

***

يــا أمــة العــرب يــا إســلام حــسبكم

هـذا التخـاذل، والإهمـال، والكـسل

هبـوا إلى المجـد يـا قـومي، فمـا برحـت

تهفــو لمجــدكم التيجــان، والحلــل

إذا نظــرتم لمــا في الغــرب مــن ســنن

كــل بــه ســائر طلقــاً، ومــشتغل

لا يبتغــون ســـوى نيــل العلـــى أمـــلا

ولم يكــن لــسواكم ذلــك الأمــل

مـــاذا أقـــول؟ وقـــد فـــازوا بـــه، وغـــداً

لنــا بمــضماره الخـــذلان والخبـــل

حتـــى إذا غربـــت عنـــا الأمـــور بـــه

واســتغربت بعــد حــين عهـدها الطلـل

شـعت علينـا شمـوس الفـوز مـشرقة

يـرد طـرف العـدى عـن نورهـا الكلـل

يـا شـرق!! سـر للمعـالي، وأدرع هممـاً

شمـاء، ليـست عـن العليـاء تنفـصل

في الغـرب أصـوات حـزم يبعثـون بهـا

مـن في القبـور، فتـسمو فـيهم الـدول

مـن مـنكم بـالعلى يقفـو مـآثرهم

وترتـوي مـن يديـه البـيض والأسـل

مـا كنـت أطلـب مـنكم فعـل مـا فعلـوا

مـن القبـيح، ولكـن نيـل مـا وصـلوا

أبـاؤكم فـوق هامـات الفخـار علـوا

فكيـف أبنـاؤهم عـن مجـدهم نزلـوا؟؟

هـم الألى حفظـوا مجـداً تـراثكم

قـبلاً، فهـلا فعلـتم مثـل مـا فعلـوا

هـم الألى دوخـوا الـدنيا بعـزتهم

وتـابعوا نهـج مـا جـاءت بـه الرسـل

قـــوم، كـــرام بهاليـــل، غطارفـــة

مـا راعهـم في الـوغى خيـل، ولا رجـل

لا يغفـــر الـــوطن المحبـــوب ذلتنـــا

إن لم (نجاهـد) رجـالاً مجـده خـذلوا[1]

صـــونوا الـــبلاد بـــأرواح غلـــت ثمنـــاً

فإنمـــا قيمـــة الأحـــرار مـــا بـــذلوا

صـــرخت مستنهـضاً للمجـد كـل فتـى

حـر، فمـا سمعـوا قـولي، ولا عقلـوا

مـا كنـت أسـكن أرضـاً لـيس يـنعم لـي

عـيش بهـا، ولأخـرى لـذلي النقـل

***

مـولاي أنـت المنـى، والعبـد "صـالح" يـا

رب العبـــاد علـــى عليـــاك متكـــل

***

---

[1] في نسخة ج (نقارع).

سمونا فوق الدين والمذهب[1]

بـني الغـرب، لا أبغـي مـن الحـرب ثـروة
ولا أترجـى نيـل جـاه ومنـصب
ولكـنني أسـعى لعـزة مـوطن
أبـي، إلى كـل النفـوس محبـب
كفـاكم خـداعاً وافـتراء وخـسة
وكيـداً وعـدواناً لأبنـاء يعـرب
تـودن باسـم الـدين تفريـق أمـة
تـسامى بنوهـا فـوق ديـن ومـذهب
تعـيش بـدين الحـب قـولاً ونيـة
وتـدفع عـن أوطانهـا كـل أجـنبي
ومـا شـرع عيـسى غـير شـرع محمـد
ومـا الـوطن الغـالي سـوى الأم والأب

---

[1] لم ترد في نسختي ب ج ووردت في د.

الشرق

هــل الــشرق إلا مــشرق النــور والــسنا
ورروض البهـا المعطـار، والمريـع الخـصب
هــل الــشرق إلا جنــة طــاب غرســها
بها الحور، والولـدان، والكـوثر العـذب
هــل الــشرق إلا الــنجم عــزاً ومنعــة
يطـل علـى الـدنيا، وإدراكـه صـعب
تــراث الكمــاة اليعــربيين، لم يــزل
منيعاً، فما تنـوي على الشرق يا غـرب

***

بني الشرق

بـني الـشرق، إن الغـرب ينظـر نحـوكم

بعـين مـن البغـضاء قـد ملئـت أذى

يـــا أمـــة الإســـلام هـــبي، وجاهـــدي

وكوني بعين الغرب يا أمتي قذى

فـــإن يـــك مـــن حـــق الـــبلاد جهادنـــا

فخير... وإن عن دين طه، فحبذا

***

أربع مصائب

نوائـــــــــب نـــــــــواب، ووزر وزارة
ونـدبـــة منـــدوب، (وفوضـــى) مفـــوض[1]

أبـــين علـــى أن لا يكـــون بـــشرقنا
بنـــاء مـــن الإصـــلاح غـــير مقـــوض

فيـــا شـــرق لا تيـــأس، فـــدتك نفوســـنا
وكـــل جمـــوح مـــن بـــني الغـــرب، روض

فمـــا أنـــت إلا مـــشرق النـــور والـــسنا
ومـا الغـرب إلا مـن رشـاش السنا (يـضي)[2]

***

---

(1) في نسختي ج وهـ (فوض)

(2) في نسختي هـ ـ د (باضي) بالهمزة.

يا فرنسا

يـــا فرنــــسا لا ترومـــــي شــــرقنا
إنـــه الغيـــل، وفي الغيـــل أســـود
واحــــذري في الـــدهر مــــني غـــضبة
تمــــلأ الــــدنيا عتــــاداً وجنـــود
فـــــــسرايانا إذا مــــا طلعـــــت
وتــــراءت، فوقهـــا تهفـــو البنـــود
وانــــبرت نحـــو العلـــــي وثابـــة
عنــــت الـــدنيا إليهـــا بالــــسجود
يـــا فرنـــــسا لا تظــــني: إننــــا
نقبــل الخــسف، فمــا نحــن عبيــد
ســـوف تلقـــين مـــن العـــرب ـــ وقـــد
أجمعـــوا رأيهـــم ـــ يومـــاً شـــديد

وتعـــــضين يــــــداً مــــــن نــــــدم

يـــوم لا ينفـــع مكـــر.. (لا يفيـــد)[1]

فكــــأني أنظـــــر اليـــــوم الــــذي

مـــالكم فيـــه جيـــوش، وعميـــد

***

يــــا فرنـــسا! إنـــه الـــدهر، ومـــا

بــــرح الــــدهر هبوطــــاً وصـــعود

خففــــي مـــــن جــــبروت ظــــالم

إنمــــا أمجادنــــا ســــوف تعــــود

وتــــرين العــــرب صـــــفاً واحـــــداً

يعـــشق المـــوت، قيامــــاً وقعــــود

إنهـــا الأبطـــال، ظمـــأى للـــوغى

تطلـــب الـــورد، وقـــد آن الـــورود

هتــــف المجــــد بــــآذان بـــــني

يعـــرب الأحـــرار عزفـــاً ونـــشيد

---

[1] هكذا في نسخة ج أما في نسختي هو ب فقد وردت (ويفيد).

فتبـــــــاروا للمعـــــــالي أســـــــداً

تقـــنص الأبطـــال قـــسراً، وتـــصيد

مـــــــن رأى مثلـــــــهم إن ســـــــعرت

نـــار حـــرب تمـــلأ الـــدنيا وقيـــد

واصـــــطلوها لا يهـــــابون الـــــردى

يهتـف المـوت بهـم: هـل مـن مزيـد؟؟

***

يـــا بـــني الـــشرق لقـــد آن لنـــا

أنـــف الـــذل، وتحطـــيم القيـــود

هـــا هـــو الغاصـــب في أطلالكـــم

مطمـــئن البـــال، بـــراق الوعـــود

دمـــــروه، زلزلـــــوا أركانـــــه

زعزعـــوا الكـــون وهـــاداً ونجـــود

أمطـــروا الخـــسف علـــى أعـــدائكم

صـــبحوهم بـــــبروق، ورعـــــود

***

فمتـــــى، والقلـــــب يهفـــــو شـــــغفاً

انظــر الــشرق بكــم حــراً ســعيد؟؟

ومتـــــى ألمـــــح مـــــنكم نفـــــراً

يتبـــــارون إلى العليـــــاء، صـــــيد؟؟

ومتـــــى الـــــدهر يـــــريني أمـــــتي

في هنــاء البــال، والعــيش الرغيــد؟؟

ومتـــــى أغـــــبط دهـــــري إذ أرى

رايــة (العــرب تهــادى) وتميــد؟؟[1]

حـــسبكم أبنـــاء شـــعبي مـــا مـــضى

يــا بــني الإيمــان أوفــدوا بــالعقود

قـــــدر الله علـــــيكم، وقـــــضى

هــذه الحــرب، فــلا تــألوا جهــود

لا تكنـــــوا بـــــالقلوب (المرضـــــا)

طهــروا مــن غلــها تلــك الكبــود[2]

---

[1] في نسختي ج وهـ وردت (الإسلام تزهو) فأثبتنا ما ورد في نسخة ز.

[2] هكذا وردت في كل النسخ، ومن المعلوم أن ألف الإطلاق لا تقع إلا في القافية.

وانهـــــدوا وثبـــــاً إلى نيــــل العلــــى

حنــت البــيض إلـــيكم في الغمـــود

***

لا تخـــــوني مـــــوثقي يـــــا أمــــتي

أنــــا عـــن صـــدق ودادي لا أحيـــد

لا تراعــــي مــــن ســــرايا أقبلـــت

وعتـــــاد، وعديـــــد، ووعيـــــد

فعـــــسى النـــــصر مــــن الله لنـــــا

وقريـــــب نـــــصره غـــــير بعيـــــد

إنـــــه الـــــذخر، ونعــــم المرتجــــى

ســــوف يــــردي كـــل جبـــار عنيـــد

***

يـــــا شـــــباب اليــــوم ثــــوروا لغـــد

وتـــآخوا، واحفظـــوا مجـــد الجـــدود

جاهـــدوا عـــن فـــضل أحـــسابكم

بـــئس مـــن حوضـــه لـــيس يـــذود

عطـــروا الـــشرق بزاكـــي نـــشركم

وأضـــــفروا التـــاج عـــبيراً، وورود

هــــذه روحـــي فـــدى عـــن وطـــني

هـــان مـــن بـــالروح حبـــاً لا يجـــود

***

رب! يـــا ذا الحـــول، كـــن لـــي ناصـــراً

واحمـــني مـــن كـــل شـــيطان مريـــد

واكفـــــني كيـــــد عـــــدو مـــــارق

واعـــد أيـــام نـــصري يـــا معيـــد

واكـــــسني جلبـــــاب فخـــــر، وتقـــــى

واجعـــل الأعـــداء يـــا رب حـــصيد

حقـــــق الآمـــــال في تـــــدميرهم

لأرى أجلاءهـــم في الـــشرق عيـــد

***

لا رعى الله معشراً[1]

سـائل الـسهل والـذرى، والمعـابر

واسـأل الـسفح، والقـرى، والمقـابر

عـن لهيـب الكفـاح، عـن وثبـة الليـث،

غـضوباً، يدمـدم الحقـد، ثـائر

كـل شـبر مـن الـتراب المفـدى

مـن دمانـا معنـدم اللـون، عـاطر

أن في الغيـل ـــ لـو علمـتم ـــ أسـوداً

لا يـرام العـرين، والليـث خـادر

لا رعـى الله معـشراً اخلفـوا الوعـد،

وماتـت نفوسـهم، والـضمائر

---

[1] هذه القصيدة لم ترد إلا في نسخة د.

معـــشر يـــضمر الخيانـــة، والغـــدر،

لأوطانـــــه، خبيـــث الــــسرائر

مهـــد الــــدرب للـــدخيل، وبـــاع الأرض

والأهـــل بيعـــة الـــوكس، خاصـــر

كـــم رجونـــاهم وظلـــت وعـــود القـــوم،

كـــالغيم خلبـــاً غـــير مـــاطر

نكثـــوا بـــالعهود لؤمـــاً، وغـــدراً

هـــل يفـــي بالـــذمام، والعهـــد غـــادر

واستباحوا الحمـى، فـدارت ـ ومـا زالـت،

علـــى المعتـــدي ـــ تـــدور الـــدوائر

لم ينـــل مـــن جهادنـــا الكـــر، والفـــر

ووهـــج الـــوغى، وهـــول المجـــازر

أن تقـف ثـورة الـسيوف، فمـا زالـت هنـا

ألـــف ثـــورة في الخـــواطر

***

الصداقة

خليلـــي إذا صـــادفت مـــن وده محـــض

يـصان لديـه المـال والـدين والعـرض

فـــصله بقلـــب ضـــاق عنـــه وعـــاؤه

ولـو أنـه الـدنيا : الـسماوات والأرض

وعاملـــه فيمـــا يقتـــضي مـــن صـــداقة

وإلا فـــذاك الحـــب آخـــره بغـــض

فـــصدق الفتـــى تنبيـــك عنـــه فعالـــه

كما عن صحيح القلب ينبئك النبض

وإن الفتـــى لـــولا الـــصداقة والوفـــا

بنـــاء جـــدار شـــاهق كـــاد يـــنقض

فنافلـــــة الإنـــــسان ثبـــــت وداده

ومحـض وداد الـصالحين لــه فــرض

فــلا تــنقض الإيمــان بعــد شــروطها

فتوكيـدها أن لا يكـون لهـا نقـض

ومــن يــنقض الإيمــان بعــد شــروطها

يحــق لــه مــن بعــد رفعتــه خفـض

وكــن واثقــاً بالعهــد فــالله شــاهد

له البسط فيما يصطفي، وله القبض

ولا تـــأمنن مكـــراً يحيـــق بأهلـــه

فـلا طولـه يجـديك نفعـاً، ولا العـرض

***

حكم وعبر

مضى الحر طراً، ليس في الدهر منصف

وكـــل وداد فهـــو مـــنهم تكلـــف

وكـــل إذا عاهدتـــه فهـــو نـــاقض

لعهـدك، (أو واعدتـه) فهـو مخلـف[1]

وأبنـاء هـذا الـدهر، كالـدهر لم يثـق

بهـــم، وبـــه، إلا جهـــول، ومـــسرف

فـإن كنـت يـا مـولاي ذخـري، وعـدتي

فلـــست أبـــالي فـــيهم أن تزخرفـــوا

***

[1] هكذا وردت في ج أما في ب فقد جاءت (أن عاهدته).

اختبار الناس

وزهـــدني في النـــاس معـــرفتي بهـــم

وطـول اختبـاري صـاحباً بعـد صـاحب

فلـــم ترنـــي الأيـــام خـــلاً تـــسرني

مباديـــه، ألا ســـاءني في العواقـــب

ومـــا كنـــت أرجـــوه لـــدفع ملمـــة

مـــن الـــدهر إلا كـــان إحـــدى النوائـــب

فـإن كنـت يـا عـين الـولاة مـراقبي

وعـــزي، وجـــاهي لا أبـــالي بعائـــب

وإن كنت نور العقل، فالعقل مرشدي

إلى كـــل رأي بالإصـــابة، ثاقـــب

***

العلم والعمل

إذا كنــت ذا علــم، ولم تــك عــاملاً

فأنــت كــذي رجــل، ولــيس لهــا نعــل

وإن عملــت كفـــي، ولم أك عالمـــاً

أكــن مثــل ذي نعــل ولــيس لــه رجــل[1]

وإن كنــت ذا علــم تقيــاً، وعــاملاً

أكــن رجــلاً في شخـصه مثـل الفـضل

***

[1] ورد في هـ و ب هكذا:

وإن كنت ذا عمل ولم تك عالماً   فأنت كذي نعل وليس لها رجل

ولكننا أثبتنا ما في ج.

مساجلات وإخوانيات

قربك ربيع[1]

رويد هواك غادرني صريعاً

وأحنى فوق أحشائي الضلوعا

وقاسمني فؤادي مستبداً

و(حرم) مقلتي بعد الهجوعا

عشقتك، والهوى بيني وبين الألى

عشقوا المنازل والربوعا

وغنوا في سعاد كل معنى

وصبوا في منازلها الدموعا

اعد وصلاً، فقربك لي ربيع

أصيفاً كان فصلي، أم ربيعا

---

[1] جواب الشاعر أحمد إسماعيل ـ الرقمة.

وردد كـــاملاً، وانظـــم خفيفـــاً

وســـرح في قوافيـــك الـــسريعا[1]

وعللـــــني بإنـــــشاد المعـــــاني

وأنـشدني مـن الـشعر البـديعا[2]

فمنطقـــك الفـــصيح بـــه بيـــان

يكـــاد اللـــب فيـــه أن يـــضيعا

قـــصيدتك الـــتي أهـــديت، بيـــت

القـصائد، ســار منظومـاً منيعـا

تعـــبر عـــن معـــان غامـــضات

وحاشـــا أن تبـــذر، أو تـــذيعا

***

أخـــي ســـامح!! فـــإن الـــشعر فـــن

بأســـواق الكـــساد لـــدي بيعـــا

ولــــيس لـــصالح إلا دعـــاكم

يـــرد بـــه إذا لاقـــى الجموعـــا

---

[1] في هذا البيت إشارة إلى تمكنه إلى علم العروض.

[2] وفي هذا البيت إشارة إلى علمي المعاني والبديع.

شكوى إلى خليل

خليلــي أطلــت الهجــر، فــابغ التلاقيــا

فهـل كنـت يومـاً عـن ودادك لاهيـا؟

فقــد عــرف الإخــلاص فيــك ســجية

عــلام بهجرانــي أطلــت التماديــا؟

ومـا كنـت يومـاً عـن أخ الـود معرضـاً

ولا لخليــل صــادق الــود جافيــا

لــئن كــان ريــب الــدهر فــرق بيننــا

فقــد زاد قلــبي يــا خليــل تــدانيا

ومـا زال نـصب الطـرف شخـصك مـاثلاً

أفي حـضر أصـبحت أم كنـت باديـا

هــو الحــب في الله المهــيمن ذي العــلا

وهيهــات قلــبي لــيس يهــوى الغوانيــا

تآخـــت علـــى صـــدق الـــولاء نفوســـنا

وقـــد نهلـــت كـــأس المـــودة صـــافيا

وكانـــت نفـــوس تـــألف البعـــد ســـاعة

حنانيـــك فـــالأعوام ألقـــت مراســـيا

تحملـــت عـــبء البحـــر حينـــاً ولم أكـــن

عـن الـذكر مـن صـرف النوائـب لاهيـا

أســـفت لهجـــر المخلـــصين، وبعـــدهم

ومــا كنــت يومــاً يــا زمــان مباليــا!!

تتـــابع أيـــامي، وصـــحبي بمعـــزل

فأحـــسب أيـــامي الـــضواحي لياليـــا

وقـــد نثـــرت عينـــاي عقـــد مـــدامعي

فعـــدن يواقينـــا ، وكـــن لآليـــا

اليـــة ذي وجـــد مـــشوق بقـــربكم

بحـــبكم مـــا كنـــت للعهـــد ناســـيا

ولا لعهـــود المخلـــصين أحـــبتي

وتوكيـــد إيمـــاني لهـــا رحـــت ســـاليا

ولكـــنني أصـــبحت ـــ والله كـــالئي

حليــف تـــصاريف تـــشيب النواصـــيا

وهـــا أنـــا في الـــدنيا طريـــد ، وليـــتني

علمــت ذنـــوبي عنـــد شـــعبي ماهيـــا

فهــل كـــان ذنــبي عنــدهم غــير أنــني

بنيــت لهــم مجــداً علــى الــنجم ســاميا

تخاطبــــه الجــــوزاء وهــــي بعزهـــــا

وددت، وحـــسبي أن تكـــون سمائيـــا

ومـــا كـــان حظـــي مـــنهم غـــير أنهـــم

أضـاعوا عهـودي، واسـتمالوا الأعاديـا

وقـــد كنـــت أصـــفيت الجميـــع مـــودتي

وكنـــت علـــى نفـــسي بـــذلك جانيـــا

وكـــم مـــن فتـــى يبـــدي التـــودد والـــولا

ويمطـــر فـــوقي مـــن أذاه غواديـــا

خـــبرتهم، فالـــدين والعهـــد عنـــدهم

مــضاع، فــدعني يــا خليــل، وشــانيا

علـــي لأهـــل الـــدين عهـــد حفظتـــه

فمــا لــذوي الغــدر الــذميم، وماليــا؟

هجـــــرتهم (لا آمنــــاً) شــــر غـــــدرهم

وأصـبحت عـن أهلـي وصـحبي نائيـا[1]

وكنــــت أرى مـــدحي لأبنـــاء أمـــتي

جـديراً، فقـال الـشعر: صـغني أهاجيـا

ولمـــا رأت عينـــاي مـــا يجلبونــــه

علــى الــوطن المحبــوب أنــشدت راثيـا

نــسوا عـــزة الـــشرق المنيعـــة والعـــلا

نـسوا يـوم كـان الـشرق للغـرب غازيـا

يرفــــرف فــــوق المـــسلمين هلالـــه

وتغـــزو جيـــوش المـــسلمين النواحيـــا

إذا هللـــوا باســـم الإلـــه، وكـــبروا

شــروا أنفـساً بـالرخص كـن غواليـا

---

[1] في نسخة ج (لا خائفاً).

خليلــــي! مـــا للقـــوم عـــافوا تـــراثهم

وشــرق الــسنا عــن مجـده عـاد سـاهيا

فهـــل أمنـــوا غـــدر الـــدخيل.. ومكـــره

يزيــل الجبـــال الــشامخات الرواســـيا

نهـــــضت لـــــدفع الأجـــــنبي، ورده

وأحـــسنت بـــالله العظـــيم رجائيـــا

وعاهـــدني قـــوم علـــى مـــا أريـــده

فلمـــا بلـــوت القـــوم كـــانوا بلائيـــا

وذكـــرتهم عهـــد الكتـــاب.. وليـــتني

وجـدت فتـى مـنهم علـى العهـد باقيـا

وبـــشرني بالنـــصر توكيـــد عهـــدهم

فلمـــا انتهـــوا للحـــرب كـــانوا نواعيـــا

وفيـــت لأوطـــاني، وشـــعبي مـــودتي

ومـــا كـــان شـــعبي بـــالمودة وافيـــا

ســـوى نفـــر، بـــيض الوجـــوه، أعـــزة

أجـــابوا ســـريعاً للجهـــاد نـــدائيا

لقيـــت بهـــم وجـــه العـــدو، بهمـــة

بلغـــت بهـــا عنـــد الـــصدام منائيـــا

ولكـــــنهم قـــــل، وجـــــيش عـــــدوهم

كثير، يحاكي السيل إن كان طاغيا

ولـــو لم يعـــث ذئـــب التخـــاذل بيـــنهم

لمـــا فـــل عـــزم مـــنهم كـــان ماضـــيا

وكـــم رفـــرف النـــصر المـــبين علـــيهم

مـــراراً، وقلنـــا: قـــد بلغنـــا الأمانيـــا

وقـــد علـــم الأقـــوام، أنـــي سميـــذع

أخـــو همـــة شمـــاء، صـــعب قياديـــا

وإنهـــــم بـــــالحرب لا يبلغـــــونني

فـــصبوا علينـــا بالخـــداع الـــدواهيا

ومـــا كنـــت مـــن صـــوت المـــدافع شـــاكياً

فأصـبحت مـن صـوت الخيانـة شـاكيا

***

ذكرى[1]

قلبي مع الركب، إن شئتم سلوا العيسا

فالعقل من بعدهم قد صار مأنوسا

سروا، فسار فؤادي أثر ركبهم

وأودعوا الجسم من هجرانهم بوسا

يا طيب أيامنا في "رستن"[2] كرمت

فيك العهود، فقد كانت فراديسا

إذ كنت تجمعنا في منظر حسن

ومجلس كان بالإخوان مأنوسا

فما لصالح إلا حبهم أرب

فالقلب في حبهم ما زال مغموسا

---

[1] سافر بحراً إلى أمريكا الجنوبية عام 1937 فكتب هذه الأبيات.

[2] قرية صالح العلي.

وغاب رجال الفضل!!

تعتبر هذه القصيدة وثيقة تاريخية لهؤلاء الرجال الأعلام الذين عاصرهم صالح العلي

تزعــزع ركــن المجــد ، وانــثلم الفخــر
وحـل الأسـى في مـصرنا ، وقـضى البـشر
وغـاب رجـال الـدين، والفـضل، والتقـى
فطـرف العلـي قطـر، وقلـب النـدى جمـر
وحــسبك مــن جــور الزمــان وصــرفه
خطــوب جلــيلات ينــوء بهــا الظفــر
هــو الــدهر، والأرزاء مــا برحــت بــه
يــروح بهــا عــصر، ويغــدو بهــا عــصر
حيــاة الفتــى مهمــا صــفت في زمانــه
فــلا بــد عقبــى الأمــر يمزجهــا المــر

ومــــا الــــدهر في أعمالــــه، وفعالــــه

ملـــوم، فـــإن الـــدهر شـــيمته الغـــدر

وأفعالـــــه فـــــيمن تقـــــدم عـــــبرة

لمــن كــان ذا لــب، ونــار لــه الفكــر

تبـــصرت في الـــدنيا طـــويلاً، وفعلـــها

(فاغضضت) من طرفي، وكلي بها خبر[1]

فمـــن تخـــذ التقـــوى إلى الحـــشر زاده

نجـــا، وبـــذكر الله ينـــشرح الـــصدر

وحـــب بـــني الزهـــراء للمـــرء جنـــة

يفـــوز بهـــا في حـــشره الـــصادق الحـــر

وحفـــظ ولاء الـــصالحين، وبـــرهم

تنـــال بـــه الزلفـــى، ويزكـــو بـــه الأجـــر

هـــم الطيبـــون الطـــاهرون ذوو النهـــى

ليـــاليهم ذكـــر، وأيـــامهم شـــكر

---

(1) في هـ و ب "ففضيت" وهو خطأ.

أبـــانوا طريـــق الـــصالحات، وأوضـــحوا

لنـــا مـــن معـــاني الـــدين مـــا ضـــمه الـــسفر

أئمــــة عــــدل، يــــشرقون بنــــورهم

ليــوث، غيــوث، عمــدة ســادة، غــر

ضــــمائرهم ضــــمت كنــــوز معــــارف

وأخلاقهـــم بـــرء لمـــن مـــسه الـــضر

ثقـــاة، هـــداة، يهتـــدي برشـــادهم

كـــأنهم بـــين الـــورى الـــشمس والبـــدر

نمـــت بـــشذاهم روضـــة العلـــم والهـــدى

فطابـــت بهـــم أرجاؤهـــا، وزكـــا النـــشر

فهـــم للعـــلا رمـــز، وهـــم للتقـــى حلـــى

وهـــم للهـــدى نـــور، وهـــم للنـــدى عطـــر

ألفـــتهم عـــصراً، فكـــانوا شموســـه

وحـل القـضا، فـالكون مـن نـورهم قفـر

فقـــرن نـــواهم ـــ إن تأملـــت ـــ رابـــع

تقدمـــه مـــن هجـــرة المـــصطفى عـــشر[1]

---

[1] أي في القرن الرابع عشر الهجري.

فللـــه يـــا عهـــد الـــسرور بقـــربهم

تكـاد تـذوب الـنفس إن عـادني الـذكر

زمـــان "علـــي"، نـــوره مـــشرق الـــسنا

يكللـــه مـــن نـــور بارئـــه الطهـــر[1]

وينطـــق عـــن رأي ســـديد، وحكمـــة

أحاديثـــــه شـــــهد، وألفاظـــــه در

ويـــسفر كالبـــدر المـــنير بطلعـــة

وإخوانـــه مـــن حولـــه أنجـــم زهـــر

محمـــد، والـــشهم المكـــرم غـــانم

سمـا مجـد سـلمان بهـم، وزكـا النجـر[2]

وكـان مـن الـصيد الكـرام بعـصرهم

ميـــامين لم ينـــزل بـــساحهم النكـــر

قـضوا بعـدهم، فلتـذرف العـين دمعهـا

علـى الـدين والإخـلاص، وليفقـد الـصبر

---

[1] يقصد به والده علي سلمان وقد توفي سنة 1308هـ.

[2] هما عما صالح العلي.

سـلام علـى روح "الخطيـب" ورحمـة
وجـاد ثـراه الطيـب العفـو والغفـر[1]
أمـام، تقـي، فيلـسوف، مهـذب
شـريف، عفيـف، عـالم، عامـل، حـر
إذا قيـل: مـن قطـب الرصـانة والحجـى
أشـار إليـه الفـن، والـنظم، والنثـر
وان مـشكل في الـدين، جـيء بيوسـف
فطـي المعـاني الغامـضات، لـه نـشر
دهـى مـصرنا خطـب جليـل لفقـده
كمـا دهيـت في فقـد أجـداده مـصر[2]
وكـان لـه في الله، والحـب، والـولا
أخ صـادق الإيمـان، أفعالـه غـر
تقـي، نقـي، عابـد، متهجـد
فأسـحاره حمـد، وآصـاله شـكر

---

[1] الشاعر العالم يوسف علي الخطيب "جيبول".
[2] يشير إلى الخلفاء الفاطميين أجداد المحارزة.

هـو ابـن علـي يوسـف عيـد عـصرنا

عليـه سـلام الله مـا طلـع الفجـر

وعبـد إلى الـرحمن جمعـة ذو التقـى

صـنائعه غـر وأعمالـه بـر

ورمـز التقـى والزهـد حمـدان سـيدي

دعـاه لنـا في كـل نائبـة ذخـر

ومحـرز غـرس الطيـب الـذكر يوسـف

ببـذل العطايـا والنـدي كفـه بحـر

كـذا رمـضان الطهـر مـرهج ذو التقـى

بواضـح برهـان لـه نبـع الـصخر

وفي رمـضان غـرس سـلمان نتقـي

بحـسن دعـاه كـل حادثـة تعـرو

وعيـسى خليـل كـان للرشـد كعبـة

وسـلمان عيـسى نجلـه رفـده وفـر

وقطـب المعـالي والرشـاد محمـد

سمـا رمـضان باسمـه، ولـه الفخـر

ميـامين، مـنهم مـن قصـصنا علـيكم

ومـنهم لم نقـصص، فـإنهم كثـر

يكـــاد فـــؤادي عنـــد ذكـــري علاهـــم

يطـــير شـــعاعاً، إذ يـــضيق بـــه الـــصدر

تـــضيق بـــي الأرجـــاء عنـــد أذكـــارهم

ويـــودي بـــي الوجـــد المـــبرح، والهجـــر

وإنـــي فقـــدت الـــصبر بعـــد فـــراقهم

وذبـــت حنينـــاً بعـــدهم، ولـــي العـــذر

هـــم عمـــدة الـــدين الـــذين بهـــديهم

وإيمـــانهم قـــد هـــدموا مـــا بنـــى الكفـــر

فلمـــا دعـــوت الـــصبر بعـــدهم عـــصى

وطـــاوعني في وحـــدتي الـــدمع والـــشعر

وإنـــي حفـــيظ عهـــدهم طـــول مـــدتي

وحـــبهم ذخـــري إذا ضـــمني القـــبر

فـــأوجههم نـــور، وألفـــاظهم هـــدى

ونائلـــهم بحـــر، وأفـــضالهم غـــزر

علـــيهم ســـلام الله، إن صـــفاتهم

ومجـــد علاهـــم (لا يـــرام) لـــه حـــصر[1]

---

[1] في نسخة هـ و ب (لا يطاق).

نسيتم عزة الوطن المفدى[1]

بـني وطـني وإخـواني سـلاما   عـلامَ أرى تفـرقكم علامـا؟

دعـوا هـذا التخـاذل والخـصاما   وسـيروا للعلـى نفـراً كرامـا

لنبني مجد يعرب من جديد

نـسيتم عـزة الـوطن المفـدى   وفخـراً حـازه، وعلـى ومجـدا

فكيـف بـه عـدوكم استبدا   وقـد فقـتم علـى الماضـين عـدا

ونجمهم علا سعد السعود

أيبقـى الـشرق مـضطهدا يـضام   وفي كفيـه يـضطرب الحـسام؟

أضـاء الـصبح، وانقـشع الظـلام   فهبـوا واسـتفيقوا يـا نيـام

تصرم، وانقضى عهد الرقود

---

[1] من قصيدة طويلة في التصوف والوطنية.

أفيقــوا مــن ســباتكم أفيقــوا فثــوب علاكــم نــضر أنيــق

وأعجـــب أن تقولـــوا لا نطيـــق قتــال عــدونا والحــرب ســوق

وربح النصر من رب مجيد

فــسيروا للعلــى والمجــد صــفا وســوموا الأجـنبي النـذل خـسفا

فــلا تتــصوروا وهنــاً وضــعفا فواحـدكم يـدين الحتـف ألفـا

وإن جهادكم بيت القصيد

بلادكــم مــن الــشكوى تــئن وقلـــبكم هـــنيء مطمـــئن

ألا تتعطفــــــون إذا تحــــــن لنــصركم ومــا برحــت تــضن

بمجدكم حفاظاً للعهود

عــدوكم الــدخيل بغــى وجــارا وجــر علــى بلادكــم الــدمارا

وإلا اقتـبس الرشـاد ولا اسـتنارا بــرأي المرشــدين ولا استــشارا

أخا عقل يفكر في البعيد

ووافق في حماكم كل نكس يبيــع فخــار أمتــه بفلــس

وينــوي أن يــسومكم بــبخس فتعــساً للبغــي وألــف تعــس

يتيه من الغباوة في برود

دعــــوتكم فهبـــوا للجهـــاد بقلـب قـد مـن صـخر جمـاد
وســـيروا للمفـــاخر باتحـــاد فـإن لمـا عـراكم في فـؤادي
لهيب الحزن يلفح في الكبود
أبيــت أئــن مــن ألم الجــروح وانظـر ضـيق ذا البلـد الفـسيح
ولم أك في دمـــوعي بالـــشحيح ولم أبخـل علـى وطـني بروحـي
مفيداً لم أكن بالمستفيد
أقـــول مقالـــة الأحـــرار جـــدا وأشـواق الحـزين تفـيض وجـدا
فـصالح للجهـاد قـد اسـتعدا فيـا أبنـاء ذا الـشعب المفـدى
إذا احتدم الوغى كونوا جنودي
فـدتك الـنفس يـا شـعب الإمـام وجـادك مـن سـحاب النصر هـام
عـززت فأنـت أجـدر مـن يحـامي عـن الـوطن العزيـز علـى الـدوام
ويقضي العمر في طلب الصعود
أتذكر ماضي العز القديم ورفعته على هام النجوم
فلا تعدل عن النهج القديم إلى نزعات شيطان رجيم
يثبط جيش عزمك بالعقود

وداوم طــاب غرســك والنبــات   علـى الفعـل الجميـل فـذا النجـاة
وفيــه الخــير أجمــع والحيــاة   وحـسن العفـو إذ كـان الممـات

وأمن المرء من حر الحديد

نـصحت فهـل مـن الإخـوان واع   دعـوت فمـن يجيـب نـداء داع
وذكــركم فتــى للعهــد راع   وإن الــــذكر أولى باتبــــاع

وقال الله: أوفوا بالعقود

إلى العليــاء يــا شــعب الوصــي   بنهـضتكم علـى الـنهج الـسوي
وذودوا كــل وغــد أجــنبي   ببأســكم وعــزمكم الأبــي

إذا كنتم أولي رأي سديد

إلى الـرحمن أشـكو في خـشوع   صــبابات توقــد في ضــلوعي
وأســأله الوقايــة للجمــوع   وحفظــاً للــبلاد وللربــوع

فإن الله أدرى بالعبيد

إلهــي لم أجــد إلاك ذخــراً   فـالهم منطقـي حمـداً وشـكرا
وصـالح يرتجـي عفـواً وغفـرا   ســلام الله والــصلوات تــترى

معطرة على الهادي الرشيد

ومن قصيدة في الغزل

جـــاءت تمـــيس بأعطـــاف وأشـــراك

ترمـي علـى نغمـات المقـول الحـاكي

هيفـــاء ورد خمـــر الحـــسن وجنتهـــا

فـوردت وجـنتي مـن مـدمعي البـاكي

تـشكي إليهـا صـبابات الغـرام، وهـل

يا ربة الحسن من عطف على الشاكي؟

قالـت: وقـد نظـرت ضـعفي المـبرح: مـا

أغـراك؟ قلـت: الـذي بالقتـل أغـراك

وقلـت: عبـدك!! قالـت بالـدلال: فمـن

تعـني؟ فقلـت لهـا: إيـاك، إيـاك

واســتخبرتني عــن قلــبي فقلــت لهــا:

أي والهـوى وجــلال اللطـف يهـواك[1]

لــولا التعبــد في نــسك الغــرام، لمــا

رأيـــتني بـــين عبـــاد ونـــساك

ولم أخـف صـولة البـيض الظبـاة كمـا

صـال الجمـال بلحـظ منـك فتـاك

يـا ربـة الحـسن هـلا تـرحمين (شـج)

لـولاك لم يـدر مـا الأشـواق، لـولاك[2]

أمـسكت عـن كـل حـب في سـواك فلـم

غـادرتني بـين إفطـار وإمـساك

كـم قـد رأيـت بمـرآة الحقيقـة مـن

مـرأى فمـا راعـتني مـرأى كمـرآك

---

[1] صحح الشطر الأول ن هذا البيت بخط الشاعر على الهامش على هذه الصورة (تستخبر الوجد عن قلبي فقال لها، ورأينا إثبات الأصل).

[2] هكذا وردت في كل النسخ التي أوردت القصيدة والصواب (شجيا) على المفعولية.

وكـم سـلكت سـبيلاً لم أجـد بـسوى

سـبيل حبـك مـن هـدي لـسلاك

هـل أنـت موجبـة الإمكـان واجبـة الوجـ

ـوب؟ أم قـدر البـاري فـسواك؟[1]

تـالله لم تقعـي بـين الـنظير، ولم

أصـف بمعنـى مـن الألفـاظ معنـاك!

ولم أكـن "صـالحاً" لـولاك، يـشملني

عـرف تنـشقته مـن طيـب ريـاك[2]

***

(1) في البيت بعض مصطلحات المنطق والفلسفة.

(2) في البيت استعمل "التورية" بين الاسم والصفة في لفظة "صالح".

تحية للديار

وداعـــاً بـــلادي قـــد نأيـــت وداعـــا

لقـد أصـبحت فيـك الخطـوب تباعـا

ترحلـــت لا قـــال هـــواك وإنمـــا

يعـــز علـــى مثلـــي يكـــون مـــضاعا

وجئـــت بـــلاداً مـــا مـــلأت حقـــائبي

بهـــا ولكـــم غـــادرت ثـــم متاعـــا

رضـــعت بهـــا ثـــدي الهـــوان وإنـــني

لهـــا حامـــد إن لم تـــتم رضـــاعا

وخانـــت جهـــادي ريبـــة وتقولـــت

أنـــاس بـــذمي ســـبة وقـــذاعا

ومـــا أنـــا بالجـــاني ولكـــن بهمـــتي

نهـضت عـن الـشعب الـضعيف دفاعـا

بهمـــــة ســـــيفي والــــيراع وعزمـــــة

تخـــــاذل بأســـــاً دونهـــــن ســـــباعا

وســـــيرت أقلامـــــي بكـــــل تنوفـــــة

فكـــان لهـــا في غيرهـــن سماعـــا

رميـت بجـيش الرعـب يـوم انطـووا بهـا

وكــــايلتهم صــــاع النـــزال فــصاعا

ورفرفـــت الأعــــلام خفاقـــة بهـــا

تمــد علــى النــصر المــبين شــراعا

وكنــت ابــن يــوم، والــسنون تنوشــني

تــصاريفها حتــى غــدون لفاعــا

***

الروضة

الـــــشاديان: النهـــــر والعـــــصفور

والـــروض غـــصن مـــائس، وغـــدير[1]

إن الحيـــــاة نعيمهـــــا حريـــــة

هيهـــات يـــنعم بالحيـــاة أســـير

أنعـــم بروضـــتنا وطيـــب أريجهـــا

قـــد ضـــاق عـــن أوصـــافها التعـــبير

فـــانظر دمـــوع الطـــل فـــوق زهورهـــا

فكـــــأنهن اللؤلـــــؤ المنثـــــور

والـــسرو مـــال كأنـــه ذو لوعـــة

بالمـــاس، وهـــو المنتقـــى المـــأثور

---

(1) في ب و د صفر الهزار وغرد العصفور).

والظـــل مـــد علـــى الحيـــاة رواقـــه

والـــــنجم طـــــرف للظـــــلام بـــــصير

وبـــدا لنـــا وجـــه الحبيـــب، فأشـــرقت

دنيـــا الجمـــال، وأدبـــر الـــديجور

والمـــاء يجـــري في الريـــاض جـــداولا

ينـــــساب في جنباتهـــــا، ويـــــسير

والعـــين ترتـــع والظبـــاء أوانـــس

ترنـــو فتفتـــك وهـــي عـــين حـــور

مـــن هـــدبها زهـــر البنفـــسج أزرق

فتحـــت لنـــا في الأقحـــوان ثغـــور[1]

***

مغنـــاي لم أتركـــك عـــن رهـــب، وإن

كثـــر الخاصـــم لـــي، وقـــل نـــصير

دافعـــت عنـــك، وللمـــدافع لمعـــة

يرتـــد عنهـــا الطـــرف وهـــو حـــسير

---

[1] في ج (من دونها زهر البنسج)...

وبـــذلت فيـــك الــــنفس في يـــوم بـــه

بــرق الرصــاص علــى الكمــاة مطــير

كـــم هـــدم الأعـــداء منـــك منـــازلاً

وانهـــار ـــ في الأنبـــاء ـــ فيـــك قـــصور

مـــا لـــي ومـــا للخـــائنين بأمـــة

ظـــل الـــبلاء يـــسير حيـــث تـــسير

***

أشكو بثي وحزني[1]

هــو الــبين حتــى لا ســلام، ولا رد

ولا نظــرة! أفــضى بــصاحبه الفقــد

لقــد نعــب الحــيين بــالبين بيــنهم

فــساروا ، ولا زمــوا جمــالاً، ولا شــدوا

ســرى بيــنهم ســير الغمــام كأنمــا

بــه مــن ســراه جنــة ، أولــه قــصد

فــلا عــين إلا وهــي عــين مــن البكــا

ولا خـــد إلا للـــدموع بـــه خـــد

---

[1] عن جريدة الفطرة التي تصدر في بوينس أيرس عاصمة الجمهورية الفضية الأرجنتينية ، وذكر البعض أن القصيدة لشاعر آخر ، ولم أجدها في النسخ التي عثرت عليها ، ولكن الكاتب الكبير سيف الدين رحال وهو من أدباء المهجر المعروفين، كتب في الجريدة المشار إليها مقدمة طويلة لهذه القصيدة ، ولم يتشكك في صحة نسبتها لصالح العلي.

فيـا مجـد حـدثني بأخبـار مـن مـضى

فأنــت خـــبير بالأحاديـــث يـــا مجـــد

لعـل حـديث الـشوق يطفـيء لـوعتي

مـن الوجـد أو يقـضي بـصاحبه الوجـد

هـو النـار في الأحـشاء تـصلى، وإنمـا

علـــى كبـــدي ممـــا ألـــذ بـــه بـــرد

لعمـــر المغـــاني فهـــي عنـــدي عزيـــزة

بـساكنها، مـا شـاقني بعـدها بعـد

فكانـت وفيهـا مـا تـرى عـين نـاظر

وأضحت وما فيها لغير الأسى وقد

خـــلاء مـــن الأصـــحاب إلا عـــصابة

حـــــداهم إلى عرفانهـــــا أزل فـــــرد

دعـــــتهم إليهـــــا حفـــــدة علويـــــة

وبالنفحـــة الحـــسنى فينعـــرف الـــورد

وقفنـــا، وســـلمنا، فـــردت بألـــسن

صـــــوامت ألا أنهـــــا ألـــــسن لـــــد

فمن مقلتي العبرى، ومن لفح زفرتي

لهـا شـرر بـين الحـشا مـا لـه زنـد

فيـا قلـب صـبراً أن أضـر بـك النـوى

فكـل فـراق، أو تـلاق لـه حـد

فقـد يـشعب الألفـان أدناهمـا الهـوى

ويلتـئم الـضدان، أقـصاهما الحقـد

علـى هـذه تجـري الليـالي بحكمهـا

فآونـة قـرب، وآونـة بعـد

ومـا كنـت لـولا الحـب أخـضع للمنـى

تـسيء، ولكـن الفتـى للـهوى عبـد

فعـودي صـليب لا يلـين لغـامز

وقلـبي سـيف لا يفـل لـه حـد

إبـاء كمـا شـاء الفخـار، وصـبوة

يـذل لهـا في خيـسه الأسـد الـورد

وأنـا أنـاس لـيس فينـا معابـة

سـوى أن وادينـا بحكـم الهـوى نجـد

نلـــين وإن كنـــا أشـــداء للـــهوى

ونغــضب مــع صــوت الــنفير فنــشتد

وحـــسبك منـــا شـــيمة عربيـــة

هـي الخمـر مـا لم يـأت مـن دونهـا حـرد

ولـــي كبـــد لم يبلـــغ المـــاء ريـــه

وفي الـنفس أمـر لـيس يدركـه الجهـد

ومـــا بـــي مـــن فقـــر لـــدنيا ، وإنمـــا

طلاب العلى مجد ، .. وإن كان لي مجد

وكـــم مـــن يـــد لله عنـــدي، ونعمـــة

يعــض عليهــا كفــه الحاســد الوغــد

أ صـدر عـن الموفـور يدركـه الخنـا

وأقنـــع بالميـــسور يعقبـــه الحمـــد!

ومن يك ذا نفس كنفسي، تصدعت

لعزتـــه الـــدنيا ، وذلـــت لـــه الأســـد

ومـن شـيمي حـب الوفـاء، ولم يكـن

لـــيخلص ود لم يحطـــه الوفـــا بعـــد

ولكـــن إخـــواني بخفـــض ورفعـــة

نسوا عهدنا حتى كأن لم يكن عهد

أحـــن لهـــم شـــوقاً، علـــى أن دوننـــا

مهامـــه تعيـــا دون أقربهـــا الجـــرد

فيـا ماسـك القرطـاس مـا بـال كتبنـا

ثـوت عنـدكم شـهرين لـيس لهـا رد

أفي الحـق أنـا ذاكـرون لعهـدكم

وأنـــتم علينـــا لـــيس يعطفكـــم ود

فـلا ضـير لـي أن يعقـب الله عـودة

يكـون بهـا عنـد المواصـلة النقـد

جـزى الله عـني مـن جزانـي بمثلـه

علـى نفسـه غـر الجبـاة بهـا ثمـد

فـلا تحسبوني غـافلاً عـن ودادكـم

رويـداً فمـا في مهجـتي حجـر صـلد

هـو الحـب لا يثنيـه نـأي، وربمـا

تـأرج مـن مـس الـضرام لهـا النـد

نــأت بــي عــنكم غربــة وتجهمــت

بـــوجهي أيـــام، خلائقهـــا نكـــد

أدور بعــــيني لا أرى غــــير أمــــة

مــن الفقــر والخــذلان يخطئهــا العــد

جــواث علــى هــام الجبــال لغــارة

يجــي بهــا ضــوء الــصباح لــدن يبــدو

إذا نحــن ســرنا صــرح الحــرب باسمــه

وصــاح القنــا للمــوت، واســتقتل الجنــد

ورحــت تــرى بــين الفــريقين كبــة

يحــدث فيهــا نفــسه البطــل الفــرد

علــى الأرض فيهــا للــدماء جــداول

وفــوق الــضحى الــلألاء مــن وقعهــا لبــد

إذا اشــتبكوا، أو راجعــوا الزحــف

بحــوراً تــوالى بينهــا الجــزر والمــد

تــشلهم رســل العطــاش، ونــدبها

مراغمـــة الـــسقيا وماطلـــها الـــورد

فهــم بــين مقتــول طــريح، وهــارب

طلــيح، ومأســور يحــار بــه العــد

نــروح إلى الجلــى ولــو أقبــل الــدجا

ونعــدو علــيهم بالــسيوف إذا نغــدو

***

ونقــع كلــج البحــر خــضت غمــاره

ولا مثقــل إلا المناصــل والجــرد

صــبرت بــه والمــوت يحمــر تــارة

ويثقــل طــوراً في العجــاج فيــسود

فمـا كنـت إلا الليـث انهـضه الطـوى

ومـا كنـت إلا الـسيف فارقـه الغمـد

صـئول وللأبطـال همـس علـى العـدى

ضـروب وقلـب القـرن مـن وجـل يعـدو

فمــا مهجــة إلا قنــاتي ضــميرها

ولا لبــة إلا وســيفي لهــا عقــد

ولا كــل ســاع بــالغ ســؤل نفــسه

ولا كــل طــلاب يــصاحبه الرشــد

إذا الحــق لم ينــصرك في كــل مــوطن

فمـــا الـــسيف إلا آلـــة حملـــها إد

أرى المـوت عقبـى كـل شــيء وإن نـأى

فلجــه، فمكــروه الفنــاء هــو الخلــد

ففيمـــا يخـــاف المـــرء ثـــورة يومـــه

وفي غــده مــا لــيس مــن وقعــه بــد

***

تكريم صالح العلي
حياً... وميتاً

بعد الجلاء تنادت سورية حكومة وشعباً، هيئات سياسية، ومنظمات، لتكريم الجهاد في شخص صالح العلي.

وفي مدينة اللاذقية التي شهدت جبالها وسهولها، مدنها وقراها، أوديتها وغاباتها كفاح صالح العلي وجهاده في سبيل عزتها وكرامتها، ونضاله المرير في سبيل الأمة العربية، والوطن العربي أقيمت حفلة كبرى في 25 نيسان 1945 ألقيت فيها الخطب والقصائد معدة صفات صالح العلي، مثنية على نضاله، مشيدة بما حققته ثورته لسورية وللأمة العربية من دعم للروح القومية، وإذكاء للعزيمة الوطنية، وإبراز للشخصية العربية الثائرة. وقلده في هذا الاحتفال رئيس الجمهورية وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الممتازة[1].



---

[1] لم تنشر وقائع هذه الحفلة في كتاب حتى الآن.

وارتقى صالح العلي إلى الرفيق الأعلى

فهبت سورية، والأمة العربية على امتداد الوطن العربي الكبير، للمشاركة والمواساة، وتعداد مآثر الفقيد، وأثره في النضال العربي، وتوالت البرقيات من الملوك والرؤساء العرب في سورية، وبغداد، والحجاز، ولبنان ومن المؤسسات الوطنية، والقومية، والمنظمات الشعبية، ورؤساء الأحزاب والبرلمانات ورابطات المجاهدين.

وأبنه البرلمان السوري، وأطلق اسمه على عدد من الشوارع تخليداً لذكرى جهاده في اللاذقية، ودمشق، وحلب، وحمص وحماة.

وأطلق اسمه على ثكنة طرطوس العسكرية.

وأقيمت له حفلة تأبين في مدينة اللاذقية شاركت فيها سورية برئاسة مجلس الوزراء والوزراء، والهيئات السياسية، وحملة الأقلام، والصحافة؛ والشعراء.

وأقيمت له حفلات تذكارية في المهجر ومن أبرزها تلك الحفلة التي أقيمت في عاصمة الجمهورية الفضية الأرجنتينية في صالون برينسبي في الثالث عشر من نيسان سنة 1952 تحت إشراف وزير سورية المفوض الدكتور زكي الجابي.

وأقامت له الجالية السورية في بيريسو "لابلاتا" حفلة ثانية شهدتها الجاليات العربية وممثلوها، وتحدثت عنها الصحافة العربية والأجنبية.

***

ومن الوفاء له، والخدمة للتاريخ أن ننتقي من تلك الاحتفالات بعض القصائد التي تساعد القراء على الإحاطة بكثير من أعمال صالح العلي، وجهاده، وجوانب شخصيته.

صرخة العرب

* للشاعر جورج صيدح

همـــت العاصــفات عــصفاً، فهيــا
نـــوقظ الـــشيخ علـــه يتهيـــا
مـــن يـــرد الإعـــصار عنـــا؟ إذا لم
نـــسأل القـــبر أن يـــرد "عليـــا"
هجـــــر عـــــامين لا يغـــــير قلبـــــاً!!
بمـــصير الـــديار كـــان حفيـــا
أو يغفـــــو وفي الجـــــوار ذئـــــاب؟
جـــل عـــن أن ينـــام نومـــاً هنيـــا
حــــدثوه عــــن المآســــي توالــــت
مــــذ فقــــدناه!! حــــدثوه مليــــا
أنــت الــشام مــن جراحــات مــصر
وكواهـــا أســـى فلـــسطين كيـــا

رجعـــت صـــوت تـــونس، فترامـــى

يمـــلأ الأرض والـــسماء دويـــا

شـــذ قـــوم أعمـــاهم الغـــي، صـــم

صـــدق الله (ســـوف يلقـــون غيـــا)

لا تقولـــوا: غـــدا الـــزعيم رميمـــاً

صـــرخة العـــرب تبعـــث الميـــت حيـــا

إنمـــا البعـــث أن يكـــون المـــسجى

حاضـــراً في قلـــوبكم، ونجيـــا

تتواصـــون بالجهـــاد كمـــا أو

صـــى، وبالثـــأر (بكـــرة وعـــشيا)

أن عكفـــتم علـــى ثـــراه، فنـــاجوا

روحـــه تـــسمعوا (نـــداء خفيـــا)

يـــستفز المجاهـــدين، ويهـــدي

مـــن أضـــاع الهـــدى صـــراطاً ســـويا

شـــاوروه في أمـــركم، واســـتمدوا

مـــن علـــي (لـــسان صـــدق عليـــا)

ذلـك القـبر، مـصحف المجـد، يطـوي

سـور اليـأس والـشهادة طيـا

ذلـك القـبر للـضجيع قـراب

لم يحجـب مـن هيبـة الـسيف شـيا

يتحـدى المـستعمرين، ويلقـي

في وجـوه العتـاة رسمـاً عتيـا

كلمـا أبـصروه في الحلـم طيفـاً

حـسبوا الطيـف ثـائراً علويـا

ثـورة الجـسم أخمـدوها، فهبـت،

ثـورة الـروح لا تخـاف قويـا

تتخطـى الحـدود تمـشي علـى الإبحـ

ـار، تعلـو إلى منـاط الثريـا

والمكـان القـصي حيـث نزلنـا

لـيس في روعهـا مكانـاً قـصيا

أن للـصالح العلـي مـدى الـدهر

ظـلالاً للـصالحين، وفيـا

وســـــــعيراً للمفتريــــــــن عليــــــه

ليـت شـعري، أجـاء شـيئاً فريـا؟؟

أنفـــق العمـــر في رضـــاء العـــوالي

واســـتوى عنـــد ربـــه مرضـــيا

ســـيرة يعـــرف النبيـــون فيهـــا

جملـــت بـــالتقى، وكـــان تقيـــا

أي قريـــع الحـــروب، هـــل مـــن وصـــاة

لرجـــال تخـــيروك وصـــيا

لا تلـــين الخطـــوب مـــنهم قنـــاة

لا يخـــرون للطغـــاة جثيـــا

أو يعـــيش الأبـــي مـــنهم كريمـــاً

أو يمـــوت الكـــريم مـــنهم أبيـــا

وهنـــوا ســـاعة الـــشجا، فتنـــادوا

حـــول مثـــواك ســـجداً وبكيـــا

نـــادهم في غـــد تجـــدهم خفافـــاً

لاقتحـــام المـــصفحات عـــديا

مـــا هـــدى الله شـــعبه كـــي يـــراه

مـــستهاناً بـــين الـــشعوب دنيـــا

يـــا نـــبي الجهـــاد ، إن بيـــاني

لقليـــل متـــى رثيـــت نبيـــا

يـــوم ذكـــراك أن عقلـــت لـــساني

وقـــوافيَّ، لم أكـــن عربيـــا

فقـــد الـــشرق فيـــك رشـــد ولـــي

ربنـــا (هبـــه مـــن لـــدنك وليـــا)

وعـــد الـــصابرين بالنـــصر ربـــي

(إنـــه كـــان وعـــده مأتيـــا)

***

أيها الصالح الأبي

* للشاعر محمد علي الحوماني

الأولى عـــززوا مـــضوا ، وبقينـــا   نـنــشد العــز مـــن رفــات أبينـــا

ويـل هــذي الآبــاء فيمــا تقاســيه علــى الــدهر مــن عقــوق البنينــا

لا الأمــاني تمــشي إلــيهم بنــا قــدماً ،ولا هــم إلى الــورا يمــشونا

نحـــن في عـــالم الملائـــك مـــوتى   نـــستمد الحيـــاة مـــن ماضـــينا

فكـــأن الحيـــاة لم تـــك إلا   جـــسداً رث، أو عظامـــاً بلينـــا

أيهـــا الـــصالح الأبـــي ترفـــق   بالإبـــا تحـــت بردتيـــك دفينـــا

غـاض هــذا الإبـاء حتـى حـسبنا   مدعيـــه في أرضـــنا مجنونـــا!!

يـا أمينــاً علــى العروبــة أزمعــت، فمــن ذا تركــت فينــا الأمينــا؟؟

كلنـا خـائن الـضمير، ويعطـي   عهـــده باللـــسان أن لا يخونـــا

معلـن ذاك مـا اسـتطاع، ويـأبى   ســـره أن يكـــون ألا خؤونـــا

كــل رأس منــا يــسف بــه التــا   ج، فيهـوي حتـى يـسف الطينـا

كبلتنـــا بـــه تقاليـــد لا دينـــاً   لمـــــسنا بـــــه، ولا تمـــــدينا

أرؤس يـــستخفها بطـــر العـــين، فتطغـــى جلاجـــلاً، وقرونـــا

كيف نمشي إلى الأمـام بـرهط   دفعونـــا إلى الـــوراء قرونـــا

أنـــا مـــنهم، وأنـــت يـــا صـــاحبي نمـــشي أرقـــاء والـــرؤوس تلينـــا

عهد "غورو" يا عهد ظلم الفرنسيس، أجرنا من عهد يعرب فينا

قـد عبـدنا فيـك الـصليب، ولكنـا عبـدنا في عهـدنا صـهيونا

يا عبيد السكسون عفواً فإنا   قد عبدنا من يعبد السكسونا

عبـــد الله في المجـــون يزيـــد   وعبـــدناه في يزيـــد مجونـــا

أيهـا الـصاعد الـسماء بـروح   أنـف الحـق في الثـرى أن تـدينا

قـد سـهمنا علـى ثـراك وجوهـاً   وشخـصنا إلى سمـاك عيونـا

إذ خـبرت الـدنيا، وأشـرفت   علـــى الآمـــرين، والناهينـــا

وتغلغلـت في الـضمائر، حتـى   جلـت فيهـا هواجـساً وظنونـا

فتحـــدث إلى الملائـــك عمـــا   كان مما أحببت أن لا يكونا

وتلمـــس كرســـي حيـــدر معقـــوداً عليـــه لـــواء علييـنـــا

ثــم أنبئــه بــالأولى خلفــوه   وتولــوا إمــارة المؤمنينــا

نفــر كالــذباب تحقــره العــين، وقــد طبــق الفــضاء طنينــا

يــا لهــم ســادة تولــوا علينــا   فأقاموا حكم الطواغيت فينا!!

لا تــبن عــن بنيــك يــا أيهــا الــصا   لح، فالمهلكــات في أن تبينــا

شــيعتك العيــون بــالنظر الــدا   مــي، وغــضت جفونهــا تأبينــا

ولـو أن الـدمع الـسخين يبـل الوجـد، لا رفـض مـن حـشا الباكينـا

ولــروى ثــراك بالــدم، حتــى   يــسترق الــورود، والنــسرينا

ولهاجت بلابل الـدمع ذكـراك،   فمالــت أســجاعهن حنينــا

جـل بعينيـك في الـسماء وسـل جبريـل، هـل سـاد في الملائـك حينـا؟

فمــشى، والقيــان بــين يديــه   تتغنــى، فتبــدع التلحينــا

وإذا مــا أشــار حــر إليــه   دق في أم رأســه إســفينا

يتعــالى في قومــه، عارضــاً منهــم علــى كــل ميــسم عرنينــا

وإذا أطبــق الــدخيل عليــه   خــر حتــى حــسبته عرجونــا

أشــرب الــسحت ناظريــه، فــإن حــدق ســاورت منهمــا تنينــا

أيها الراحل، اقتبس من علي جوهراً خلف صدره مكنونا

ثم ارث به عواطفنا الموتى، وسدد حكيمنا المأمونا

والتمس من يديه ما يلأم الجرح، وضمد شبابك المطعونا

علوي الشباب في الجبل السامي، تعهد شعارك الميمونا

أول الثائرين كنت بنا إذ كنت سيف العروبة المسنونا

ثار من لم يكن مكانك أياماً، وجعجعت بالعدو سنينا

مهبط الحوم الكواسر ما كنت بمن ثار فيك إلا عرينا

لم يغب صالح، ولما يزل يغري بك الفجر غرة، وجبينا

والعدو الدخيل لما يزل ينشيء فينا معاقلاً، وحصونا

فاذكر صالحاً بما كان يوليك دماً فائراً، وعرضاً مصونا

نحن في حاجة إلى مثل كفيه، تشد اليسار منا اليمينا

أيها ذا الشباب ما كان إلاك بما يعصم البلاد قمينا

كم فتحنا بك الحصون، فلما هنت، عدنا ضحية الفاتحينا

ساد حكم الدعي فينا، فعدنا بعد غزو، نستقبل الغازينا

كـم ظمئنـا قـبلاً؟ فحـال بنـا الظمـأ حماسـاً حتـى وردنـا "الـسينا"

وحملنا على السحاب أمانيـنـا ، فطرنا حتى بلغنا الصينا

ثــم هانــت نفوســنا ، فقعــدنا نتلقــى بهــا العــذاب الهونــا!

يـا شـباب الجيـل الجديـد ، مـشى الجيــل ، ولمـا تـزل مـع الثاوينـا!

أفــلا خطــوة إلى حيــث نحيــا ويعــود الوليــد فينــا جنينــا؟

***

الضيغم في عباءة الناسك

* للشاعر كامل الخطيب

بـين بـيض المنـى وسمـر العـوادي أي حــــرب تثــــور بالأحقـــــاد

لونـــت صـــفحة الحيــاة، فوجــه الدهـــر منهــا أعجوبــة النقــاد

تلـك حرباؤهـــا أم الــشاشة البيــضــاء معروضــة علــى الأشــهاد؟؟

يغمـــر النـــور ظلـــها لمحـــة الطـــرف، ويرتـــد عنـــه قبـــل ارتـــداد

كـسطور تخطهــا أنمــل الوهـــم علــى خــاطر الــصبا المتهــادي

أمــل ناصــع البيــاض، كمــا شــاء وبــأس محلولــك بالــسواد

جولــة، ثــم صـــولة وتـــرى الـــصقـر، لقـــى في حبائـــل الـــصياد!

عثـــرت بـــالمنون قادمـــة النـــسر، وكانـــت عليـــه بالمرصـــاد

بعـــد لأي مـــن الزمـــان مـــشى الدهـــر، إلى مبتغــاه ســهل القيــاد

يـــا دراري الأثـــير، ريِّ مجاليـــــه، وصـــبي ذكـــراه في الأوراد

وانثري عقدك النظيم رثاء هازئاً بالقريض والإنشاد

إنما نسرك السماوي لفظ هو معنى له، وأقصى مراد

ليس من يهبط المجرة ريان، كمن يصعد المجرة صادي

والظبى في النفوس أعظم فقداً من حلي السيوف، والأغماد

***

يا حماة الزمار، أين النجوم الزهر؟؟ أين الشموس في الأرآد

ما كتبتم،. في ذمة الله والتا ريخ، سطر على جبين البلاد

يقرأ الليل والنهار حواشيه، صلاة قدسية الأوراد

أغفل الدهر كل صفحة حسن وطوى خير صفحة من جهاد

صقلتها اليد التي صاغت الخلد لها، والفناء للآباد

وبرت صالحاً عميد المجلين نواة الجهاد يوم الجلاد

أول الذائدين في عهده الوضاء عن مجد يعرب، وإياد

قبساً في مجاهل الظلمة العمياء يهدي إلى سبيل الرشاد

وفرنداً يفل من عزمة الطغيان والغاشمين والرواد

من رآه إبان ثورته البكر، خميساً في واحد الأعداد

ضـيغماً في عبـاءة الناسـك الزاهـــد، طـوداً علــى ذرا الأطــواد
يمطـر الظلـم وابـلاً مـن رصـاص فـوق مـا تمطـر الريـاض الغـوادي
صــرفاناً يمجــه الغــيظ، حــرا ن، لظــى في النفــوس والأجــساد

***

مـن رأى في الملاحـم الحمـر ليثاً عربيــاً، يـشوي قلـوب الأعــادي
نـــاءم الليـــث يـــوم وقعـــة "فتـــوح" فـــدوى صـــداه في كـــل واد
ورمـــى العـــسكر اللـــهام بعـــزم علـــوي يـــشق قلـــب الجمـــاد
في رفـــاق كـــشعلة النـــار في الهيجـــاء، يـــذكو لهيبهـــا باتقـــاد
غائـــصات تحـــوك أنـــسجة الغـــدر، وتـــسعى بأرجـــل وأيـــادي
فـــدعاه لقـــى كإعجـــاز نخـــل خاويـــات علـــى الربـــى والوهـــاد
وإذا رجـع الـصدى "الأجـرد" الثـا كــل، فالغيــل مــريض الآســاد
بابن عبد الحميد، طاولت يـا "أجـرد" بيض الظبـا وسمـر الـصعاد[1]
بــشهيد لا يعــرف العهــد أوفــى منــه عهــداً، ولا يـصيب التفــادي

---

[1] أحمد عبد الحميد شهيد موقعة الأجرد المشهورة راجع ص 136.

مـــا ورى ميـــسلون عنـــك أحاديثـــك ألا صـــحيحة الإســـناد

وإذا "ورور" اســتفاق علــى الــصوت، فحــاد شــاقته نغمــة حــاد

أو تــراءت "جهـنم" يـوم واديهــا ، فمكــراً حاقـت بأهـل الفـساد[1]

حــسب الغــر أنــه ســيد الحــرب، وأغرتــه كثــرة الأجنــاد

فتبــاهى، وأيــن تيــه طواويــس ثمــود وعنجهيــة عــاد؟؟

وتمـادى حتـى بـدت جمـرة الحــرب، فـسدت عليـه طـرق التمـادي

وبــدا الــصالح العلــي شــهاباً مــن إبــاء، وشــعلة مــن ســداد

وإذا كبريـــاء كـــل مريـــد يتحـــداه حفنـــة مـــن رمـــاد

***

لفتــة يــا أبــا الجهــاد إلى الماضـــي، وعفــواً عــن ذلــة الحــساد

إنمــا الــرأس في الهياكـل محـسود، وبعـض البيــان بالأضـداد

ولهــاة الحــسود جفــت، فــلا ترطـب بالــدمع ســائلاً، والمــداد

عـصرتها الحقـود، إلا ثمــالات دم نضنـــضت شــفاه العــوادي

---

[1] موقعتان شهيرتان في تاريخ الثورة راجع ص 124 ـ 136.

لست أنسى ما أنس عصبة غدر ما وفت للحليف حق الوداد

يوم غست وأنت في قمة "القدموس" تلك الحيتان في "إرواد"[1]

ثم جرت إليك جحفلها الجرار غب الوعود والإيعاد

فتلقيته بإيمانك الجم عتاداً، أعظم به من عتاد

وتولى يصطك بالفارس الفارس من رعبه اصطكاك الزناد

وابن بنت النبي، واشجة القربى، يناجيك من وراء البوادي[2]

فيصل عاهل العراق يناديك بصوت الآباء والأجداد

و"المعز" الأب العظيم على التاريخ عزم ممثل لك بادي

فانبرت منك كل جارحة نصلاً تسقيه من دم الأكباد

للجهاد الأنوف، للوطن الحر، حفاظاً وعزة ومبادي

إن ملكت الجهاد حراً فميرا ث أب ماجد على الأمجاد

أو ملكت الفخار والشرف الجم، فعن منذر نماك، وهاد

***

---

[1] غس في البلاد: دخل فيها، والغس الضعيف اللئيم من الرجال.

[2] إشارة إلى القربى التي تربط صالح العلي والشريف حسين بالنبي (ص).

أيهـــا الراحـــل المـــودع مهـــلاً   مـــا مللنـــا الهـــوى علـــى الـــترداد

أنت طيف الكرى ونحن جفون   لا تمـل الجفـون طيـب الرقـاد

مـا وفت عهدك الأمانات إن لم   تـك تلـك العقـود في الأجيـاد

ذكـراً في النجـود عنـد الـذرا الـشم نـسيماً في غـصنها الميـاد

عبقـاً في النـسيم في الـساحل الطلـق حيـاً في فـؤاده الوقـاد

نغمـاً في غمـاغم الأبـيض الزخـار، بـين الأرغـاء والازبـاد

طيـب الله نـشر عهـدك يـا طيـب الفـوادي روائحـاً وغـوادي

وسقى الذروة المنيفة من رياك   منهلـة كـصوب العهـاد

وعليـك الـسلام حيـاً وميتـاً   يـا ربيعـاً مـضى بـلا ميعـاد

***

المجاهد

* للشاعر أحمد سليمان أحمد

الـصبح أبلـج، فـانظر آيـة سـربوا

حـسب الهدايـة هـذا المـنهج اللحـب!

دنيـا الجهـاد علـى آفـاق روعتهـا

فجـر مـن العمـر بالآمـال مختـضب

شـبابها الزهـر مـن عليائـك اغترفـوا

ومـن سـلافتها العـذراء قـد شـربوا

مـاض مجيـد ، وأحـلام يـضيق بهـا

صـدر العـصور، وتهـوي دونهـا الحقـب

سـارت بموكبـك الميمـون، فانتفـضت

مـن البلـى همـم ميمونـة قـشب!!

نـادى الجهـاد فلبـاه غطارفـة

غلـب مغـاوير أن يـدع الـوغى ركبـوا

في جبهــة النــصر مــن أمجــادهم أثــر

والفخــر في ذلــك الــسفر الــذي كتبــوا

ولاح صــــــالح في أفــــــراح أمتـــــه

كالعيــد وافــى فمــا يلقــاه مكتئــب

يـــا أيهـــا البطـــل الميمـــون طـــائره

أحييت بالـذكر مـن غـالوا ، ومـا سـلبوا

جابهــت خــصمك بالإيمـــان منــصلتاً

فارتـــد منهزمـــاً ، بقيـــاده الرعـــب!

في ذمـــة المجـــد والتـــاريخ ملحمـــة

أذكـــت بنـــا ثـــورة حمـــراء تلتهـــب

ركــب الجهــاد أظــل المجــد رايتــه

يمــشي بــه مــن عــلاه جحفــل لجــب

ركــب الجهــاد علــى آفاقــه ارتــسمت

دنيـــا تـــرنح في أرجائهـــا الطـــرب

***

يـا سـيف ثورتنـا الـدامي انـتقم هزجـاً

مـــن خـــائن في زوايـــا الليـــل يرتقـــب

أنـــات أمتنــــا الثكلـــى، وأدمعهـــا

ضــــغينة في فـــؤاد الحـــــر تتـــسرب

حريــــة العـــرب الزهــــراء شــــاحبة

يكـــاد يهـــوي بهـــا في بابنـــا اللغـــب

فــــأين شـــيمتنا العربيـــاء لا بليـــت

شمائــــل علمـــــتهم: أننــــا عـــــرب

بـــدا لهـــم بـــارق الأوهـــام، فابتـــدروا

ولاح وهـــج الـــسنا الهـادي فمـــا اقتربـوا

وكيـــف يـــنعم بـــال الحـــق في زمـــن

وحـــــق شـــــيعته الغـــــراء مغتـــــصب

إنــــي لألمـــح نـــور الحـــق منبلجـــاً

يجلـــو الظـــلام فـــلا وهـــم ولا ريـــب

والنـــصر مـــد جناحيـــه علـــى أمـــل

دامـــي المـــضارب حلـــى غمـــده الـــذهب

وإن مجـــداً لنـــا، شـــطراه مـــا انقـــسما

بناهمـــا الفكـــر، والهنديـــة القـــضب

لخالـــــد مكنتـــــه أدمـــــع، ودم

ومـــا تمكنـــه تعيـــا بـــه النـــوب

***

يـا رب عفـوك هـذا الكـون مـا برحـت

أطماعـــه يتلـــوى فوقهـــا اللـــهب

أمـــا الوفـــاء فـــدمع جـــف مـــورده

مـــا كـــان أعذبـــه لـــو بـــات ينـسكب

لا يبطـــر القـــوة الخرقـــاء مـــا وهمـــت

إنـــي لأحلـــف، مـــا للقـــوة الغلـــب

وكيـــف تـــسلبني حـــريتي.. وطـــني

حـــبي؟! أتـــسلبني مـــا لـــيس يـــستلب؟

إن الجريمـــة لا ترثـــي لـــصاحبها

أمواجهـــا الحمـــر في أذنيـــه تـــصطخب

***

يـــا جـــيرة مـــاطلوا حـــق الهـــوى، وسـلوا

أحبـــابهم، مـــا علـــى الأحبـــاب إن عتبـــوا

وأن في النفس شيئاً لست أذكره

وإن أشار إليه الشعر والخطب

خوفاً على بلد ضاعت مكانته

وأهله في صحاري الوهم قد ضربوا

ضمي جناحيك يا نعمى على أمل

تشتاقه بلغ النعمى فتنتهب

ميثاقنا الأبيض الرفاف طاف به

من الأمانات روح عاطر عذب

تعهديه بألحان العلى زمناً

حتى تذوب على أوتاره الشهب

حتى ليشرب من إنشاده سحر

من الفتوحات لا واهٍ، ولا شحب

أعلى الممالك ما العرفان رائدها

تصون أعلامه الهندية القضب

***

يا ابن الميامين سمعاً، فهي شاردة

عذراء يأسر منها سحرها العجب

إليـــــك أحملـــــها غــــراء زاهيـــــة

لهــــا العروبـــــة أم، والخلـــــود أب

ســـــياحة تحمــــل الألحــــان هاتفـــة

مـــا راعهـــا رهـــب، أو شـــاقها رغـــب

عــزت علــى خاطبيهــا ، فهــي غاليــة

ولـــيس يطمـــع فيهـــا اللـــهو واللعـــب

ولا ، وحقــك مـــا وفيـــت في غـــرري

حـق الجهـاد ، ومـن لـي بالـذي يجـب؟؟

فأقبــل أغانيهـــا الـــشماء مبتهجـــاً

فـــلا ينـــال بيـــاني اللـــوم والعتـــب

***

مصادر الكتاب

1 ــ تاريخ الشعوب الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى ــ بروكلمان.

2 ـ تاريخ الثورات السورية "مخطوط" ـ أدهم الجندي.

3 ـ معارك الحرية في سورية ـ فارس زرزور.

4 ـ الانتدابان في سورية والعراق ـ محمد جميل بيهم.

5 ـ لن تسقط المدنية ـ فارس زرزور.

6 ـ الراية الثالثة ـ عبد الرحمن الباشا.

7 ــ الكتاب الذهبي لجيش الشرق الفرنسي ــ القيادة الفرنسية.

8 ـ انتفاضة في الجبل[1] "بالألمانية" Bator Wolfgng.

9 ـ الثورة العربية الكبرى ـ أمين سعيد.

[1] يخلط هذا المؤلف ـ أحياناً ـ بين زمن الحوادث، والأشخاص.

10 ـ ثورة صالح العلي ـ عبد اللطيف يونس.

11 ــ كتب مدرسية لوزارة التربية ما بين 1955 ــ 1958 ــ مؤسسة الكتب المدرسية.

12 ــ مجلة العرفان ج 7 مجلد 35 ــ صيدا ــ لبنان لصاحبها أحمد عارف الزين.

13 ـ جريدة الفطرة ـ بونوس ايرس ـ الأرجنتين، موسى عزيزة.

14 ـ تاريخ العلويين ـ محمد أمين غالب الطويل.

15 ـ أحاديث مباشرة بين صالح العلي والمؤلف.

16 ــ أحاديث وتحقيقات توثيقية مع عدد من قادة الثورة الأحياء.

17 ــ موسوعة مجلة المعرفة السويسرية "جنيف" ــ الترجمة العربية.

18 ـ المراحل ـ عبد الرحمن الكيالي.

19 ـ مذكرات نجيب عويد "مخطوط ـ مديرية الآثار والمتاحف دمشق.

20 ــ مذكرات الشيخ يوسف السعدون "مخطوط" ــ مديرية الوثائق التاريخية ـ دمشق.

21 ـ مذكرات إبراهيم شغوري "مخطوط" ـ مديرية الوثائق التاريخية دمشق.

22 ـ من مذكرات هنانو "مخطوط" ـ مديرية الوثائق التاريخية دمشق.

الفهرس

إصدارات سلسلة

كتاب الجيب السابقة

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
1	المقاومة مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
2	المقاومة مختارات شعرية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
3	القصة القـصيرة فـي سـورية الراحلون	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2006
4	علامة الشام أحمد راتب النفاخ	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
5	رفقة السلاح ... والقمر	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
6	صوت في الظلام قصص ايطالية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
7	الخرز الملون خمسة أيام في حياة نسرين حوري - رواية وثائقية	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2007
8	الأديب - النص - الناقد / د. طه حسين ميخائيـل نعيمـة -فـؤاد الشايب -د. محمود أمين العالم - بدر شاكر السياب	د. خالد البرادعي	د. حسن حميد	2007
9	ظـاهرة (الأدب الـصهيوني) / إطلالة على :(المصطلح النـشاة الموضوعات)	محمـد توفيـق الصواف	محمـد توفيـق الصواف	2007
10	أبو خليل القباني رائـد المـسرح العربي	د. حسين جمعة	عبـد القـادر الحصني	2007
11	نازك الملائكة	د. حسين جمعة	عبـد القـادر الحصني	2007

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
12	الشاعر محمد الحريري مختارات	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2007
13	عبد ا عبد مختارات قصصية	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2007
14	الإصلاحيون أحمد أمين	د. حسين جمعة	د. خالد محي الدين البرادعي	2007
15	مختارات من أدب الأطفال	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
16	ياليل ونصوص أخرى	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
17	وداعاً يا دمشق	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
18	ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر إصدار الرابطة الثقافية النسائية في دمشق 1944م	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
19	إنصاف المرأة	د. حسين جمعة	عيسى فتوح	2008
20	أحب الشام -ناديا خوست	د. حسين جمعة	عبد القادر الحصني	2008
21	التراب الحزين بديع حقي	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
22	القصيدة الدمشقية وقصائد أخرى- نزار قباني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
23	مختارات من نوح العندليب شفيق جبري	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
24	مختارات من أعمال الأديبة غادة السمان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
25	مختارات قصصية للأديبة قمر كيلاني	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2008
26	مقالات دمشق - مكان وسكان وألوان	د. حسين جمعة	فادية غيبور	2009
27	سميح القاسم - الصورة الأخيرة في الألبوم	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
28	مقهى الباشورة -خليل السواحري	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
29	جبرا ابراهيم جبرا- عرق وقصص أخرى	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
30	محمود درويش - مختارات شعرية من دواوينه والانترنت	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
31	عائد إلى حيفا وأعمال أخرى- غسان كنفاني	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
32	عتبة رواية- صبحي فحماوي	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2009
33	حكاية الولد الفلسطيني 1971- أحمد دحبور	د. حسن حميد	د. حسن حميد	2009
34	أسئلة الثقافة في القدس والمقاومة- مقالات- المتوكل طه	د. حسين جمعة	د. حسن حميد	2009
35	مختارات من شعر علي الجندي	د. حسين جمعة	محمد حمدان	2010
36	الجولان في القصة السورية (حضور المكان)- علي المزعل	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
37	(الامريكي) أحمد رفيق عوض	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
38	ملكوت البسطاء- رواية -خيري الذهبي	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
39	مختارات قصصية رقصة ليلة الوداع - رشاد أبو شاور	د. حسن حميد	فاديا غيبور	2010
40	شفيق الكمالي ـــ مختارات شعرية زبير سلطان قدوري	زبير سلطان قدوري	فاديا غيبور	2010
41	الأعلام الشعري في التراث العربي - أحمد سويلم	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
42	الظل الثالث وقصص أخرى مختارات قصصية - د. خليفة صالح أحواس	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010
43	بريجيت مأساة تمثيلية ذات خمسة فصول-يوسف نعمة ا جد	د. حسين جمعة	فاديا غيبور	2010

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
44	انطوان تشيخوف دراسات ونصوص د. شاكر خصباك	د. ابراهيم الجرادي - عبد العزيز المفالح	د. ابراهيم الجرادي - عبد العزيز المفالح	2010
45	عبد ا البردوني قصائد مختارة ودراسات	د. حسين جمعة	د. ابراهيم الجرادي	2011
46	القصيدة تبحث عن نفسها (شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية السائدة)	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
47	مختارات من أدب الخيال العلمي العربي - رقم 004 يأمركم	د. طالب عمران	د. طالب عمران	2011
48	ا والغريب مختارات شعرية سلامة عبيد	فؤاد الكحل	د. ثائرزين الدين	2011
49	ماياكوفسكي غيمة في سروال	مالك صقور	د. ابراهيم الجرادي	2011
50	سليمان العيسى- اليأس : أمل يستنسخ أوصافه	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
51	محمد الفراتي مأخوذاً بالوردة والسيف مختارات شعرية	د. حسين جمعة	شاهر امرير	2011
52	نزيه أبو عفش حارس الآلام	د. ابراهيم الجرادي	د. ابراهيم الجرادي	2011
53	الشاعر العربي الحديث مسرحياً	د. علي جعفر العلاق	د. ابراهيم الجرادي	2011
54	حكم النبي محمد ليف تولستوي	مالك صقور	مالك صقور	2011
55	جان جاك روسو المصلح الاجتماعي - محمد عطية الأبرشي	مالك صقور	مالك صقور	2012
56	بدر شاكر السياب- منزل الأقنان	مالك صقور	مالك صقور	2012
57	حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي	د. جميل صليبا- د. كامل عياد	مالك صقور	2012
58	بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) عام 1968 مدحة عكاش-	د. حسين جمعة	مالك صقور	2012

م	عنوان الكتاب	تقديم الكتاب	اختيار الكتاب	سنة الكتاب
59	ابن الرومي حياته من شعره ج1 عباس محمود العقاد	مالك صقور	مالك صقور	2012
60	ابن الرومي حياته من شعره ج2 عباس محمود العقاد	مالك صقور	مالك صقور	2012
61	كان ما كان - ميخائيل نعيمة	مالك صقور	مالك صقور	2012
62	إمرأة من برج الحمل - اعتـدال رافع	ماجدة حمود	ماجدة حمود	2012
63	من النكبة إلى المقاومة والتجديد	مالك صقور	مالك صقور	2012
64	الأعاصـير - الـشاعر القـروي رشيد سليم الخوري	د. حسين جمعة	د. ثائرزين الدين	2012
65	عبـد اللطيـف عقـل دراسـات ومختارات	ياسين فاعور	ياسين فاعور	2012
66	حكيم الدهر أبو العلاء المعري	مالك صقور	مالك صقور	2012
67	الاصدار الأول للموقف الأدبي	مالك صقور	مالك صقور	2012
68	عبقريات العقاد (دراسة وتحليل)	مالك صقور	د. حسين جمعة	2013
69	الاشتراكية والأدب	مالك صقور	د. حسين جمعة	2013
70	رباعيات عمر الخيام	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
71	طبــائع الاســتبداد ومــصارع الاستعباد	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
72	ليس لدى الكولونيل من يكاتبه		مالك صقور	2013
73	ما الشعر العظيم؟	د. نزار بريك هنيدي	د. حسين جمعة	2013
74	الشعر بين الفنون الجميلة	أ.د. حسين جمعة	مالك صقور	2013
75	الفقــه والتــصوف والمــسائل الشرعية في الخلافة	أ. محمــد راتــب الحلاق	مالك صقور	2013